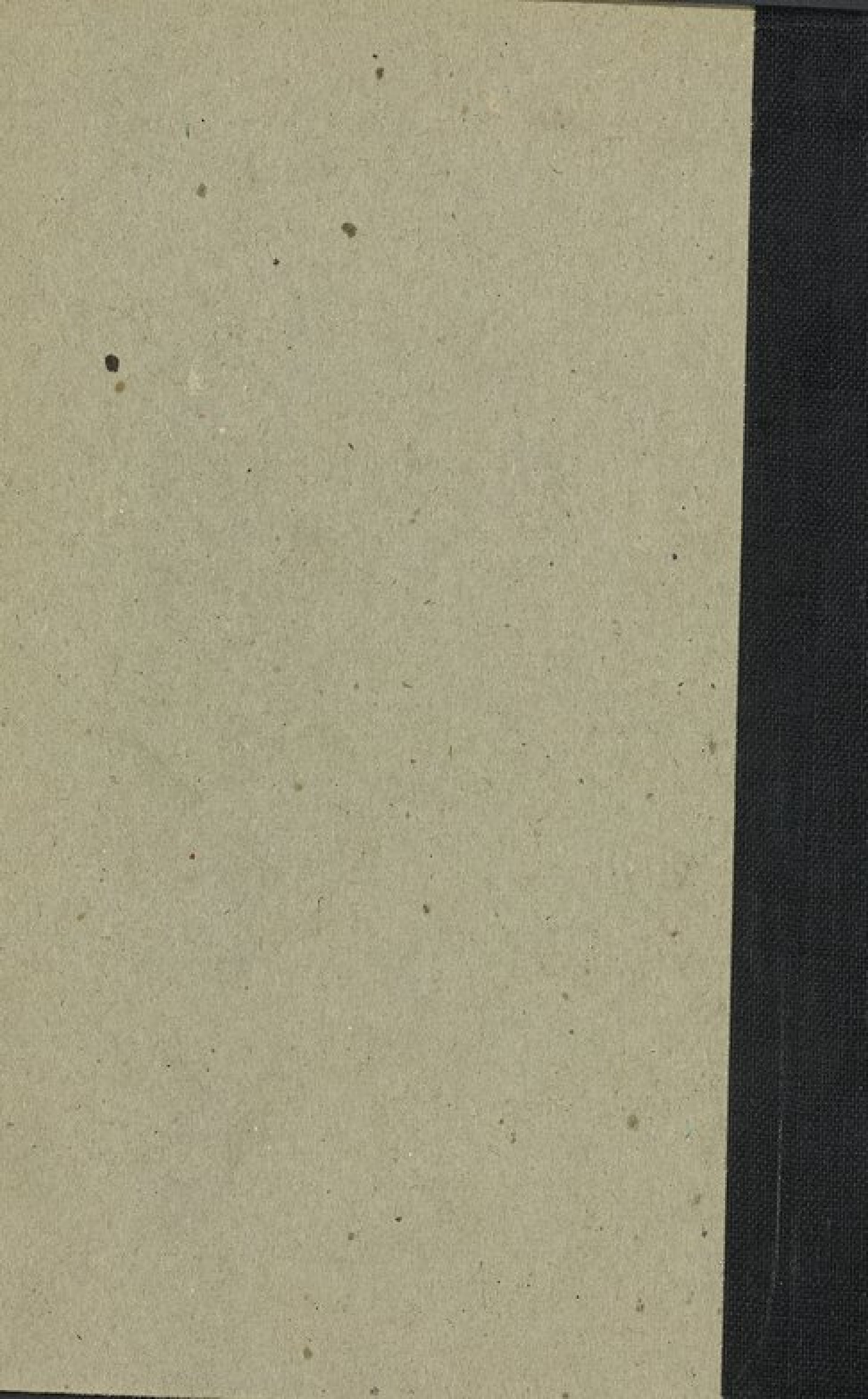
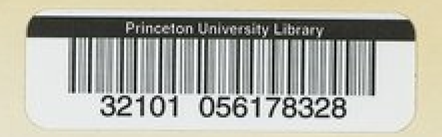



Princeton University Library
32101 056178328

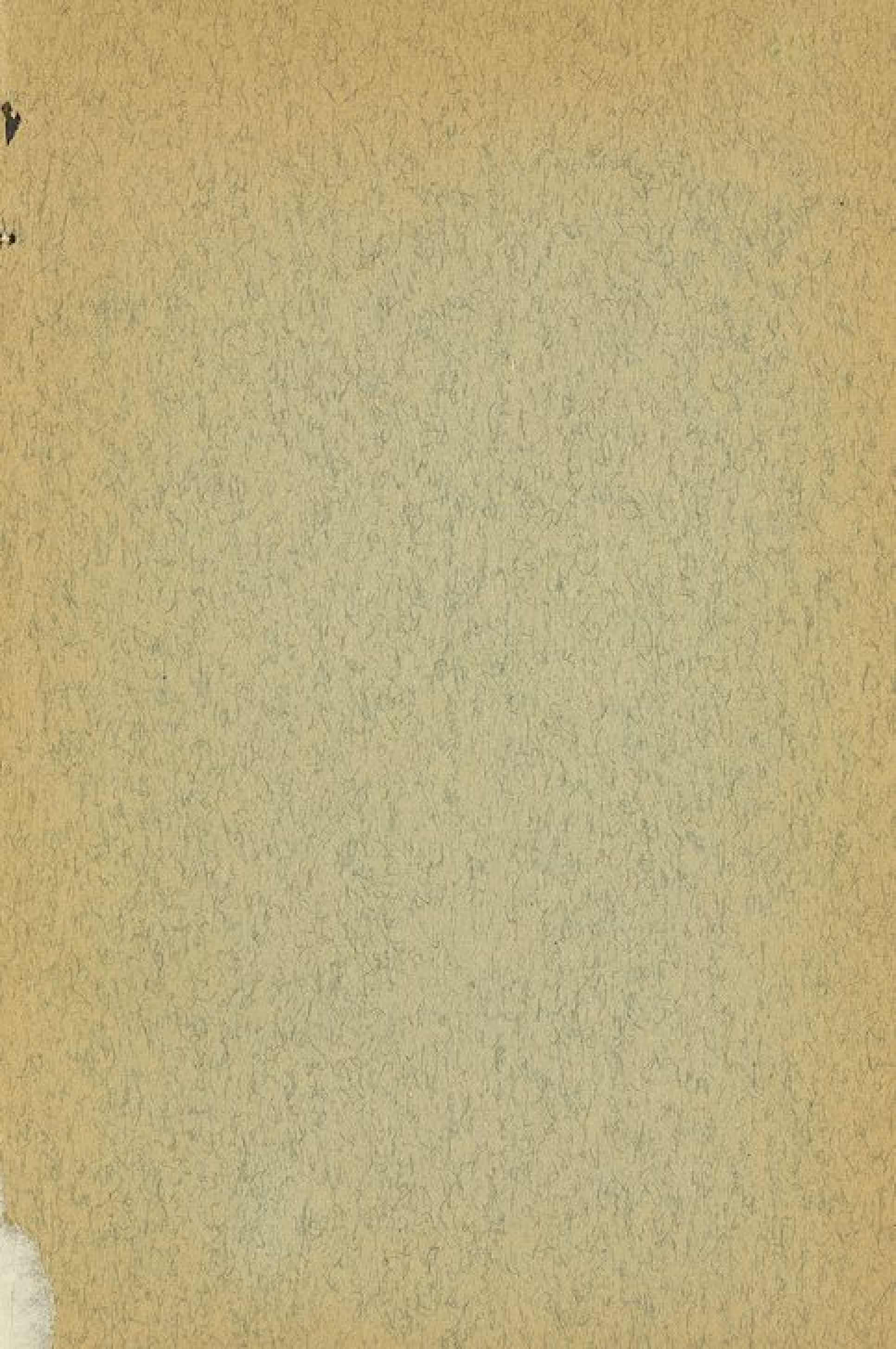


الشيعة في التاريخ

بقلم

العلامة الشيخ محمد حسين الزين

١٣٥٧ هـ مطبعة العرفان * صيدا ١٩٣٨ م



الشيعة في التاريخ

تأليف

محمد حسين الزين

١٣٥٧ هـ مطبعة العرفان * صيدا ١٩٣٨ م

مقدمة الشيعة في التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد على ماهدانا لتوحيده ، والإيمان برسله وأنبيائه ، والتمسك بالثقلين الكتاب الكريم والعترة الطاهرة ، والاحترام للصحابة المهتدين والتابعين لهم بإحسان . والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد وعلى آله الميامين وصحبه الأبرار .

وبعد — فإن طائفة من كتب التاريخ والملل غير الشيعية قد صورت عقائد الشيعة بصور باهتة فظيعة ، وتهجمت على أئمتهم وعلمائهم ، غير مستندة — في ذلك — إلى مصدر وثيق بريء من الاغراض السياسية والتعصبات المذهبية التي تمكنت — في القرون الغابرة — من نفوس الأكثرية الساحقة من الناس .

وكان يجمل بمؤلفي تلك الكتب أن يستندوا فيما يكتبونه عن الشيعة إلى مؤلفات الشيعة الكثيرة في العقائد والاحكام ، وان يعلموا ما يقوله علماء الشيعة في أصول الدين وفروعه ليحكموا عليهم بمقتضى تلك الأقوال . وإلا فمن الجور في الحكم — أن يحكم الإنسان على أخيه بما يتلقاه من أفواه خصومه أو يراه في كتب أولئك الخصوم ، بالأخص إذا كان ذلك المحكوم عليه في عالم الوجود معاصراً لأولئك المؤلفين مجاهراً بعقيدته ومذهبه ومثبتاً لهما في بطون الكتب المنتشرة في المعمور ،

ولنفرض — أن وجود الشيعة إنما كان في العصور الحجرية البائدة : لكن أليس آثارهم العلمية الثمينة قد بقيت إلى عصر هؤلاء المؤلفين ولم تزل زينة المكتبات إلى اليوم ؟ ! فكان على أولئك المؤلفين أن يروها ويستندوا اليها

كما يستند الكتاب الباحثون اليوم عن الاغريق — مثلا — أو عن الفينيقيين او البابليين إلى آثارهم الظاهرة ، ويفتشون في بطون الأرض عن الآثار الخفية ، أليس من المؤسف كثيراً أن لا نرى أحداً ممن كتب من غير الشيعة عن الشيعة قديماً أو حديثاً — يستند في الغالب إلى مؤلف شيعي

وكيف يستندون إلى مؤلفات الشيعة الطافحة بالبراهين الساطعة على اثبات التوحيد والنبوة وغيرهما من أركان الدين الإسلامي وأصوله ؟ ! وهم يريدون أن يحكموا جزافاً كما حكم ابن حزم «ان الروافض ليسوا من المسلمين وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى (١)»

ولفظ الروافض كان عنده وعند أمثاله نبزاً لعموم الشيعة حتى الاثني عشرية كما يظهر جلياً لمن راجع «الفصل» و «الخطط» و «منهاج السنة» و (الصواعق) وغيرها ويقول المقريزي (ان الرافضة بلغت فرقهم ثلاثمائة فرقة (؟) والمشهور منها عشرون . الاولى الإمامية ، الثانية من فرق الروافض الكيسانية الثالثة الخطابية الرابعة الزيدية الخ (٢) وقد نسب بعض العقائد الفاسدة إلى بعض أعلام الشيعة الإمامية وجعل لهم (من عنده) اتباعاً وأسماء فقال (والزرارية أتباع زرارة بن أعين احد الغلاة في الرفض . والهشامية أتباع هشام بن الحكم ، واليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن (٣)) إلى غير ذلك من الفرق التي اخترعها ولم يكن لها أثر ولا عين في الوجود .

ويقول ابن تيمية (ان الرافضة لا يعرفون إمام زمانهم ، فإنهم يدعون انه الغائب المنتظر محمد بن الحسن (٤)) ويقول أيضاً (ان شيوخ الرافضة كالمفيد والموسوي والطوسي وغيرهم انما أخذوا ذلك (القول بالعدل) من المعتزلة (٥) وقال في مكان آخر (الرافضة تجعل الأئمة الاثني عشر افضل من

---

(١) ج ٢ ص ٧٨ من فصله (٢) ج ٤ ص ١٧٣ من خططه (٣) ص ١٧٦ منها (٤) ص ٢٧ من منهاج السنة (٥) ص ٣١ من منهاجه

السابقين الاولين) ويقول ابن حجر الهيتمي (وزعمت الرافضة ان المهدي هو الامام محمد بن الحسن العسكري ثاني عشر الأئمة (١)) فهذا القول أو الزعم — على زعم الهيتمي — لا يقوله غير الشيعة الاثني عشرية فهم المقصودون إذن بهذا الخبر المفتعل الذي ادعى ابن جحر ان الذهبي أخرجه عن علي وان علياً (قال: قال رسول الله ﷺ يظهر في أمتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام (٢)) وان الدارقطني أخرجه بزيادة انه ﷺ قال لعلي (فإن أدركتهم فاقتلهم فإنهم مشركون قال قلت ما العلامة فيهم قال يقرضونك بما ليس فيك ويطعنون على السلف) وان ظهور اسم الرافضة بعد علي بقليل وثبوت الطعن على بعض السلف في حياة علي و كون علي نفسه قد طعن على ذلك البعض . انه ذلك كله يدل بوضوح على كذب هذا الخبر المحدد لظهور الرافضة في آخر الزمان والأمر بقتلهم لخصوص الطعن على الخاطئين من السلف ..

ومثله الاخبار المنسوبة إلى الشعبي والمفندة لعقائد الرافضة لأن الشعبي قد توفي سنة ١٠٥ هـ واسم الرافضة ظهر يوم نهض زيد بن علي سنة ١٢١ هـ أي بعد وفاة الشعبي بسنين ، ولكن ابن حجر تغافل عما في ذلك الخبر من علائم الكذب والوضع فلأجله كرره في صواعقه وأخذ يصول به كما كرر تلك الألفاظ البذيئة في حق الشيعة البريئين

وانا لنمر عليها مرور الكرام ولم نأت على ذكرها في كتابنا كرها بما تسببه — على الأقل — من تباعد القلوب الحريصين على تصافحها في مثل هذه الأيام الشديدة على الإسلام والمسلمين . وإنما ذكرنا غيرها من أقوال المقريزي وابن حزم وابن تيمية وابن حجر لنستدل بها على ان مرادهم بالرافضة — حينما يذكرونهم — عموم الشيعة حتى الاثني عشرية الذين هم من الإسلام

---

(١) ص ١٠٢ من الصواعق (٢) ص ٣ من الصواعق

في الصميم حيث تلقوا إسلامهم بأصوله وفروعه من كتاب الله وسنة رسوله تلك التي رواها لهم العترة عن جدهم عن جبرائيل عن الباري فلا « يجرون مجرى اليهود والنصارى » ولا يقولون « بالتناسخ وغيره » مما رماهم به المقريزي وغيره ولا « يقرضون عليا بما ليس فيه » فهم مسلمون لا مشركون وان جعلوا أئمتهم أفضل من السابقين الأولين أو طعنوا على بعض السلف المعاند لرسول الله ﷺ في قوله (لا يؤمن عبد حتى اكون أحب اليه من نفسه وتكون عترتي أحب اليه من نفسه ولا يدخل الإيمان قلب رجل حتى يحبهم لله وفي أخرى لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولرسوله (١))

ومن الحمق أو الجهل أو الجمود — ان يفرض على المسلمين موالاة من خالف قول رسول الله ﷺ (من سب أهل بيتي فإنما يرتد عن الإسلام ومن آذاني في عترتي فعليه لعنة الله ومن آذاني فيهم فقد آذى الله . ان الله حرم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبهم وصح ايضاً انه قال والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا ادخله الله النار (٢))

وقد أثبت التاريخ الصحيح وصححت كتب الحديث المعتبرة عند أهل السنة — ان بعض السلف قد سب أهل البيت على منابرهم وآذاهم وظلمهم وقتل خيارهم وحاربهم وأعان عليهم وأبغضهم وسترى اثبات ذلك ان شاء الله

أضف إلى ذلك ما عدده أبو عثمان الجاحظ من الآثام التي اقترفها بعض السلف طي رسالته في بني أمية . منها قوله « استوى معاوية على الملك واستبد على بقية أهل الشورى ، وعلى جماعة المسلمين من المهاجرين والأنصار في العام الذي سموه عام الجماعة وما كان عام جماعة بل عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكا كسرويا ، والخلافة غصباً قيصريا ، ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكيناه وعلى منازل ما رتبناه حتى رد قضية

---

(١) ص ١٠٥ من صواعق ابن حجر (٢) ١٤٠ من الصواعق

رسول الله ﷺ رداً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً، فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار، وليس (١) قتل حجر بن عدي واطعام عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعة يزيد الخليع، والاستئثار بالفيء واختيار الولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة، من جنس الأحكام المنصوصة والشرائع المشهورة، والسنن المنصوبة، وسواء جحد الكتاب ورد السنة إذا كانت في شهرة الكتاب وظهوره إلا ان احدهما أعظم وعقاب الآخر عليه أشد

وقد أربت (٢) نابتة عصرنا ومبدعة دهرنا فقالت لا تسبوه فإن له صحبة وسب معاوية بدعة، ومن بغضه فقد خالف السنة، فزعمت ان من السنة ترك البراءة ممن جحد السنة (٣) »

ومن ذلك السلف الذي يكون الطاعن عليه مشركاً كما يزعم ابن حجر — عمرو بن العاص الذي الب على عثمان (رض) وسر بقتله، ثم اجتمع مع معاوية يطالب بدمه من كان من أشد المدافعين عنه وأعطفهم عليه يوم أمر طلحة بمنع الماء عنه وتعجيل قتله.

كل ذلك كان من ابن العاص حباً بخراج مصر لا بعثمان ولا بمعاوية أيضاً وقد حذر الرسول ﷺ من اجتماعهما وأمر بالتفريق بينهما وصرح بأنهما لا يجتمعان إلا على غدر (٤) ومن السلف يزيد خليفة معاوية الذي « ولي ثلاث سنين (بعده) فقتل في الاولى الحسين (ع) وفي الثانية أخاف المدينة وفي الثالثة رمى الكعبة (٥) » وكفاه (حسنة) جهره بقوله

---

(١) الظاهر او ليس كما يدل عليه سياق الكلام (٢) اربت بمعنى زادت يقال اربى على الخمسين اي زاد عليها (٣) ص ٢٩٦ من رسائل الجاحظ طبع مصر (٤) انظر ج٣ ص١١٣ من العقد الفريد وص١٠٢ و ١٣٥ من تطهير الجنان المطبوع على هامش الصواعق (٥) ص٢٢٣ من تذكرة سبط ابن الجوزي وص١٠٣ من الفخري

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

ومثله مروان بن الحكم الذي كان من أشد الناس بغضاً لأهل البيت (ع) بشهادة ابن حجر الذي يقول « ومن أشد الناس بغضاً لأهل البيت مروان ابن الحكم . وكأن هذا سر الحديث الذي صححه الحاكم — ان عبدالرحمن ابن عوف (رض) قال كان لا يولد لأحد مولود إلا أتي به النبي ﷺ فيدعو له . فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هذا الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون . واستأذن الحكم بن العاص على رسول الله ﷺ فعرف صوته فقال ائذنوا له فعليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم يترفهون في الدنيا ذوو مكر وخديعة وما لهم في الآخرة من خلاق (١) »

« وصح ايضاً انه ﷺ رأى ثلاثين منهم ينزون على منبره نزو القردة فغاظه ذلك وما ضحك بعده إلى ان توفاه الله (٢) »

وقس عليهم مثل الوليد بن عقبة شارب الخمور والزائد في الفريضة، وعبدالله ابن ابي سرح الذي أهدر النبي ﷺ دمه : هؤلاء هم السلف الذين تطعن عليهم الشيعة عندما تقيسهم بمقياس الدين وتزنهم بميزان الشرع وتحكم عليهم بحكم الشارع الأقدس الذي خبرهم وعرف سوء نياتهم فلعنهم وحذر منهم وأهدر دم بعضهم وأمر بقتل آخر فقال ﷺ « إذا رأيتم معاوية بن ابي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه (٣) »

ثم ان كان الطعن على مثل هذا البعض من السلف يوجب الحكم بالقتل والشرك كما يشير اليه ذلك الخبر الموضوع . فلماذا لا يحكم بهما من طعن على خيرة السلف من اهل البيت ما يقرب من سبعين سنة على منابر الإسلام ؟ !

أليس تبرأة هؤلاء الطاعنين على أهل البيت وتكفير الشيعة لطعنهم على

---

(١) ص ١١٠ من الصواعق وص ١٥٥ من تطهير الجنان (٢) ص ١٢٩ من تطهير الجنان لابن حجر (٣) ج ١ ص ٣٤٨ من شرح النهج للمعتزلي

ذلك البعض من السلف بالخصوص إلا من التلاعب في الدين والحكم على حسب الهوى والغرض ؟ ! وان كان الموجب للشرك هو الطعن على جميع السلف فالشيعة تبرأ من ذلك أشد براءة لأنها تقدس الأكثرية الساحقة من السلف الصالح أعظم تقديس

ولا شك ان ابن حجر وزملاءه يعلمون ذلك من الشيعة ولكنهم ستروا وجه الذي علموا وراحوا يهولون الأمر على الناس ويلبسونهم ليبعدونهم عن أهل البيت وأشياعهم . ولقد بلغ التعصب الذميم من ابن خلدون حداً أفضى به للطعن على الأئمة المطهرين من الرجس بمثل قوله « وشذ اهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به . إلى ان قال — ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم بل اوسعوها جانب الإنكار والقدح (٣) » ولا يسعنا إلا ان نقول — هذه مذاهب اهل البيت مدونة في كتب العقائد وهذا فقههم مبسوط في كتب شيعتهم المطبوعة المنتشرة فليطلبها المنصفون وليطلعوا عليها ليعلموا ان اهل البيت لم ينفردوا في فقههم إلا في مسائل قليلة جداً واما غيرها فقلَّ ما تجد مسألة يخالفون فيها بعض ائمة اهل السنة إلا ويوافقهم غيره مثلا تراهم يخالفون ابا حنيفة (الفارسي) في تجويزه الوضوء بالنبيذ (٤) ويوافقهم الشافعي على ذلك وهلم جرا

---

(١) ص٣١٣ من مقدمته (٣) ذكر ابن خلكان « ان من مذهب ابي حنيفة تجويز الصلاة بجلد كلب مدبوغ ملطخ ربعه بالنجاسة ، وتجويز الوضوء بنبيذ التمر ، والقراءة في الصلاة بالفارسية ، وان خروج الريح من دبر المصلي لايفسد وضوءه وصلاته وان السلطان محمود بن سبكتكين عدل لذلك عن مذهب ابي حنيفة إلى مذهب الشافعي انظر ج٢ ص٨٦ من وفيات الاعيان وذكر الخطيب البغدادي في المجلد ١٣ من تاريخ بغداد « ان ابا حنيفة قال - لو ان رجلا عبد نعلا يتقرب بها إلى الله لم ار بذلك بأسا وقال - ان الايمان لا يزيد ولا ينقص ، وان إيمان ابي بكر وإيمان ابليس واحد ، وانه كان مولعا بالقياس فلم يتركه حتى مع الحجام إلى غير ذلك من المذاهب والمزاعم المبنية على الرأي والقياس » وفي اهل القياس « ورد متواترا عن النبي (ص) ستفترق امتي بضع وسبعين فرقة شر فرقة منها قوم يقيسون الدين بالرأي فيحلون به الحرام ويحرمون الحلال ج ١٣ ص٣٠٩ من تاريخ بغداد »

ولا يفوتنا ان نبارك لهذا الرجل على إسلاميته الصحيحة ؟ التي ترى مثل اهل بيت النبوة واركان الإسلام وقرناء الكتاب — شاذين مبتدعين ومثل صاحبها من الهداة المحافظين على سنة الرسول العربي دون عترته الميامين

ولقد اطلنا الكلام في الجملة و كدنا ان نخرج عما كنا نتوخاه من الاقتصار على ذكر بعض كلماتهم للاستدلال فحسب · لأن القوم قد قدموا على الحكم العدل الذي سيحشرهم — بلا شك — مع ذلك البعض من السلف لأن «من احب عمل قوم حشر معهم» فكيف إذا والاهم و كفر المسلمين لأجل الطعن عليهم بما ارتكبوه من الآثام ؟ !

وسيلقون ايضاً جزاء ما صنعوا من التهجم والافتآت على اهل البيت واشياعهم ومن بث الفرقة بين الأمة الإسلامية بتلك الأضاليل والأراجيف التي اودعوها في مؤلفاتهم وبقيت مورداً فياضاً يرده بعدهم من طبع على طابعهم ووشجت عروقه على طريقتهم حتى عصرنا هذا — عصر العلم وتحرير الافكار — كما يقولون ويا بعد ما يقولون لأننا نرى فيه كل عام فئة من المصريين والفلسطينيين والسوريين والعراقيين قد تلقوا تلك الأقوال تلقي الببغاء معرضين عن كل ما صح في صحيحي مسلم والبخاري «وهما اصح الكتب بعد القرآن باجماع من يعتد به من اهل السنة (١)» إذا كان معارضاً لأقوال اولئك الشيوخ الغابرين فكأنهم بنظرها معصومون من الخطأ اوالتعصب المذهبي · وكأن اقوالهم — عندها — وحي موحى لا يسوغ فيه التحليل والمحاكمة والعرض على المصادر الوثيقة في كتب الفريقين · الأمر الذي أدى إلى اثارة حفائظ الشيعة الذين نسوا أو تناسوا تلك التهجمات القديمة وهتفوا باسم الوحدة الإسلامية ، وباسم المصلحين من علماء الفريقين وملوكهم وزعمائهم الساعين إلى لم الشعث وجمع الكلمة ليكون المسلمون جبهة واحدة متراصة واقفة سداً منيعاً في طريق

---

(١) ص٥ من الصواعق

المهاجمين من الاغيار ، وجادة في سبيل الرقي الديني والسياسي معرضة صفحاً عن الفوارق المذهبية ما دام الجميع يرتلون كلمتي الشهادة في كل يوم خمس مرات

حقاً لولا وجود أولئك المصلحين لاتسعت دوائر الفتن التي تولدت من تهجمات الخضري على سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي (ع) (١) واحمد أمين بقوله (والحق ان التشيع كان مأوى يلجأ اليه كل من أراد هدم الإسلام الخ (٢)) وبقوله (كأن العقول كلها أجدبت وأصيبت بالعقم إلا عقل علي بن ابي طالب وذريته (٣))

ثم اقتفى اثر هؤلاء الحصان العراقي فأظهر كتابا أسماه (العروبة في الميزان) وزاد على زملائه بالطعن على أنساب القبائل العربية العراقية الشيعية بالخصوص وحاول مراراً أن يحصر العروبة في بني أمية وأشياعهم قائلا (هل العروبة غير بني أمية)

ثم لم تمض أيام قلائل حتى قرأنا في مجلة الرسالة المصرية عدد ٣١ من السنة الثانية مقالا للرحالة محمد ثابت المصري — مدرس الآداب بمدرسة فاروق الثانوية — تحت عنوان إلى خراسان طعن فيه الشيعة أعظم طعن ورماهم بالاستغناء عن الحج إلى مكة المكرمة بالحج إلى مشهد الرضا (ع) فكتبنا وقتئذ رداً عليه هادئاً ونشرناه في مجلة العرفان الأغر (م٢٥ ص ٩١) بعد أن أرسلناه إلى مجلة الرسالة وبعد أن يئسنا من انصاف صاحبها الذي اهمل حتى الإشارة إلى ردنا على رحالة بلاده مصر ، الأمر الذي يدل بوضوح على

---

(١) يقول الخضري المصري في المحاضرة ٣٦٥ ص٥١٧ من محاضراته « وعلى الجملة فإن الحسين أخطأ خطأ عظيما في خروجه هذا الذي جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف . وقد اكثر الناس الكتابة في هذه الحادثة . . وغاية الأمر ان الرجل طلب أمراً لم يتهيأ له ولم يعد له عدته فحيل بينه وبين ما يشتهي : إلى أن قال واما الحسين فانه خالف على يزيد الذي بايعه الناس ولم يظهر منه ذلك العسف والجور »

(٢) ص ٣٣٩ من فجر الاسلام (٣) ص٣٣٨ من فجر الاسلام

ان (الجماعة) لا يريدون ايضاح اخطائهم او انهم لا يريدون المناظرة وتصفية الحساب إلا مع من يشاؤون ..

وعلى اي فإنا قد ظننا يومئذ ان الرحالة قد اكتفى بما نشره في مجلة صديقه الزيات ولكن سرعان ان رأيناه في تلك السنة سنة ١٣٥٢ ﻫ يخرج كتاباً باسم (جولة في ربوع الشرق الأدنى) مليئاً بالأخطاء التاريخية والتهجمات الأثيمة على المذهب الشيعي وعلى علماء الشيعة وبلادهم المقدسة (١) مضافاً إلى ما دسه — عند كلامه عن النجف — من الطوائف التي لم تكن في عالم الوجود أو كانت ولم يبق لها اثر ولا عين على ظهر الارض بالأخص أرض النجف التي لم تضم غالباً — من يوم مصرت إلى اليوم — سوى الشيعة الاثني عشرية فمن الخطأ الفادح ما قاله عنها « وهي في زعم بعضهم مقر من كان أحق بالرسالة من النبي نفسه (٢) » وقوله عن مجتهديها وعلمائها « ويقول العلماء هناك أن المدافن عشرة آلاف لا تزيد ولا تنقص ، لأن سيدنا علياً يرسل

---

(١) وسرعان ان رأينا بعد تأليف الكتاب حضرة اسعاف النشاشيبي الفلسطيني الذي حضر سنة ١٣٥١ ﻫ مع اعضاء المؤتمر الاسلامي ، وجمل – لسوء حظ الاسلام – في لجنة الدعاية والارشاد إلى الاسلام – يخرج كتابا باسم الاسلام الصحيح . وليس فيه سوى الهدم للاسلام الصحيح وغير دعوة المسلمين – ويا للأسف – إلى تجسيم الله تعالى والاعتقاد بأن له يدا وعينا واذنا وغير ذلك ماكان يعتقده الحنابلة في القرن الرابع ودعا اليه ابن تيمية في القرن الثامن . وهناك غرض للنشاشيبي قد يكون سياسيا وقد يكون مذهبيا يتجلى طي كلماته الكثيرة الداعية ضد « الشرفاء » منها قوله ص ٣٧ « فليس هناك طبقات وليس هناك سادة وغير سادة وليس هناك شرفاء وغير شرفاء وليس هناك آل بيت نيت ليت ، ليس هناك انجاس ظل النجس يداس دع عنك المساس واللماس » وقوله ص ٨١ « كيف يقبل اليانون الاسلام إذا قيل لهم ان في الاسلام فرقة تقول إنا من اهل البيت أي بيت النبي » ولقد كفانا مؤنة الرد عليه اخواننا من أهل السنة وفي مقدمتهم الاستاذ محمد المجذوب من كتاب صيدا حيث الف كتابا في الرد عليه اسمه (القول الصريح) فليطلبه القراء من المؤلف فإن فيه براهين قوية

(٢) صفحة ١٤٢ من جولته

ما زاد من الجثث بعيداً فلا يعرف أحد مقرها ٠ ٠ وكم من جثث كانت تحملها السيارات وبعد الصلاة عليها تدفن وتظل كذلك حتى يتراءى لسيدنا علي أن يكشف عن مكنونها فتختفي ويدفن مكانها غيرها ٠ ٠ وفي النجف فئتان من الأهلين متباغضتان ولكل فئة أشياع وكثيراً ما يقتتلون تحت امرة مجتهديهم (١) »

ويقول في موضع آخر عن الشيعة « وقد بلغ بهم شكهم بالغير انهم يحتمون غسل كل شيء دخل بيتهم ثلاث مرات خشية ان يكون لمسه غير شيعي (٢) » ويقول « ان الحسين ورث العظمة الإلهية بسبب انه تزوج بشهربانو الفارسية (٣) »

إلى كثير من أمثال هذه الافتئاتات التي هزىء فيها بأخي النبي وسبطه الشهيد عليهم السلام والتي تحط — بصراحة — من كرامة مجتهدي الشيعة النزيهين الأبرار ٠ ومواقفهم المشرفة — في شتى الظروف والأحوال — اكبر شاهد على ذلك ٠

من تلك المواقف موقفهم يوم فتنة « الحصان » على أعواد المنابر يحثون الشعب العراقي الهائج على السكون ويمنحونه النصائح الكافية ، ولقد كتب بعضهم إلى جلالة المغفور له الملك فيصل يخبره عما قام به من الواجب الإصلاحي ويذكر له نصائح جمة تساعده على قمع الفتنة من جذورها ، فأجابه الملك المصلح بقوله : حضرة حجة الإسلام الشيخ محمد الحسين (٤)

لقد تلقيت كتابكم رفق الشيخ عبد الرسول ٠ وكل ما شرحتم به علم ٠ وقد اطلعت على ما قمتم به من نصائح ٠ جعلكم الله ذخراً للأمة ، ان المطبوع الذي صدر فهو لا شك كما اطلعتم عليه ٠ لا ينم إلا عن عقلية مجنون لا كثر

---

(١) صفحة ١٤٣ وصفحة ١٤٤ من جولته (٢) صفحة ١٥٣ منها (٣) صفحة ٢٧٨ منها (٤) هذا طبق الأصل المحفوظ لدى سماحة الشيخ مد ظله

ولا أقل ، انني حالما اطلعت عليه – وذلك قبل بخمسة أيام — قمت بواجبي نحوه وها هو صاحبه رهن السجن وسوف يلقى عقابه

أملي عظيم انكم وكل من فيه من الحمية الدينيـة ما يجب أن لا يترك مجالا يجعلني وأنا مسافر لقضاء مهمة تعود للإسلام مشغول الخاطر. هذا كل ما احب أن أقوله وانني أنتظر دعاكم الصالح والله يحفظكم

١٢ صفر سنة ٣٥٢ فيصل

وانني لأعجب كيف خفي على الرحالة موقف المجتهدين هذا، الذي لم يشر اليه في جولته ولا بحرف واحد مع انه يقول فيها (ص١٤٥) « وصادف ان كانت البلدة في هياج شديد يوم زرتها (٢٤ يونيه) لما شجر بـين الشيعة والسنيين على اثر كتاب أخرجه بعض السنيين وأسماه العروبة في الميزان طعن فيه الشيعة الخ » وعدم اشارته إلى موقف المجتهدين . اما لأنه ينافي مايريد من قوله « وكثيراً ما يقتتلون تحت امرة مجتهديهم » واما لأنه لم يشاهـد — وهو الأقرب — هياج النجف يومئذ وإنما سمع به بعد ذلك وجعل السماع كالعيان والغياب كالمشاهدة فراح يدعي انه شاهد هياج النجف يوم زارها (٢٤ يوليه — تموز) على الرغم من تقدم تاريخ ذلك الهياج على زيارته هذه بشهر ونصف ، لأن كتاب الحصان (العروبة في الميزان) إنما دخل النجف في أوائل صفر سنة ٣٥٢ ! وأوائل يونيو — حزيران سنة ١٩٣٤ وعلى الفور حصل الهياج ولكنه لم يدم بهمة المجتهدين سوى أيام ثلاثة أو أربعة ، يؤيد ذلك نفس تاريخ الكتاب المتقدم من جلالة الملك إلى سماحة كاشف الغطاء ، وفي هـذا الوقت لم يصل الرحالة إلى دمشق فضلا عن النجف وإنما وصل دمشق في أوائل تموز وفي ٥ منه حضر المولد النبوي هناك كما في ص٤٨ من جولته ثم بعد مدة سافر إلى تركيا ومنها سافر إلى العراق

ولو أردنا تتبع ما في جولته من اخطاء وتحامل وتحريف وتبديل لأتيناك

بالعجاب ولاحتجنا إلى مجلد كبير لا يسمح لنا الوقت الثمين باكماله . ولذلك اجتزأنا بذكر انموذج صغير يتناسب مع هذه المقدمة المتواضعة المختصرة لمثل هذا الكتاب المختصر ولا اخفي ان أهم البواعث على تأليفه ما رأيته في جولة الرحالة من التحامل الشديد على طائفة إسلامية كبيرة خدمت الإسلام وعلومه اكبر خدمة وأخرجت من الكتب الثمينة ما زين المكتبة الإسلامية ، ومن العلماء ما احرزوا السبق في جميع فنون الإسلام (١)

أضف إلى اننا لم نرَ أحداً – من الفريقين – تصدى للرد على الرجل سوى الأستاذ عبد الوهاب عزام في مقال مختصر نشره في مجلة الرسالة المصرية (عدد ٥٩ ص١٣٩٩) من السنة الثانية ورد عليه الأستاذ أمين الخولي يومئذ لذلك رأيت من الواجب تلبية نداء الواجب ، فرحت أغتنم العطلة الأسبوعية وغيرها من ايام الفراغ لمراجعة المصادر التي حرصت أن يكون اكثرها من مؤلفات اخواننا أهل السنة ، لتكون اكبر حجة للقارئ الكريم ، وابعد عن الاتهام والريب ...

وقد توفقنا – ولله الحمد والمنة – لإتمام هذا الكتاب في أواخر المحرم سنة ١٣٥٤ هـ وأسميناه « الشيعة في التاريخ » لبحثه غالباً عن مواقف الشيعة التاريخية وعن الفرق التي تشعبت منهم وأحوالها ونشأتها وعقائدها وأسباب تشعبها ، خصوصاً الغلاة الذين اتخذهم اهل التمويه والتلبيس طريقاً موصلا إلى الطعن على الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، ولذا أثبتنا بنوع خاص براءة أئمة الشيعة وعلمائهم من كل غال ومبدع . كما أثبتنا مجمل عقائد الاثني عشرية ليميز بينها وبين غيرها من العقائد الملصقة باسم الشيعة ، ولتقابل بعقائد الغلاة ويعرف بعد الصلة بينهما إلى غير ذلك من المباحث المفيدة التي جعلت تحت عناوين خاصة مستقلة خالية من قال الرحالة وأقول ، وان كان الغرض من بعضها التفنيد

---

(١) انظر كتاب الشيعة وفنون الاسلام طبع صيدا تتيقن صوابنا

الضمني لما سطره الرحالة في جولته من الأقوال الخاطئة البعيدة عن الحقيقة التي لا يحسن السكوت عليها والتغاضي عن اظهارها لكثير من النشوء المفتون بأقلام فئة خاصة من الكتاب أمثال ثابت خاشعاً لبهرجة الفاظهم ومبتدعات آرائهم يتلقاها بالقبول ، ويعتقدها كأنها حقائق ثابتة ممحصة ..

ولولا ذلك لكنا في غنى عن مناقشة الرحالة وامثاله الحساب وفي غنى عن بحث الخلافة الذي حدانا إلى ذكره كلام الرحالة عنها ابنا في التاريخ الصحيح ويثير الضغائن في مثل هذه الأوقات العصيبة القاضية على كل مسلم باهمال مثل هذه الأبحاث القديمة ، واقرار كل فرد على معتقده ما دام لا ينافي جوهر الدين الحنيف ، لأن في لوازم الحوار فيها والجدال حولها — الجرح والتعديل في الرواة ، ومس بعض الشخصيات في التخطئة — على الأقل — وكلنا يعلم ما لذلك من الاثر السيء عند السواد من الأمتين . لذلك جمدنا على نقل الشواهد التاريخية التي تساعدنا على ابطال مدعى الرحالة في الخلافة فحسب ولم نمس كرامة أحد بسلاح التحليل الفلسفي وغيره

وبالختام أرجو ان تكون نيتي — فيما كتبت — خالصة لله الواحد الاحد المطلع على النوايا وان يمن علي بجزيل الثواب على ما اصبت ، وجميل التجاوز عما اخطأت ، ومن القراء الكرام بيان ما يعثرون عليه من الأخطاء والأغلاط ولهم سلفاً جزيل الشكر وفائق الاحترام

كتب في النجف الاشرف غرة المحرم سنة ١٣٥٥ بيد مؤلفه

محمد حسين الزين العاملي



الفصل الاول

كلمة موجزة في الشيعة

١ معنى الشيعة في اللغة ٢ قدم تكوين الشيعة في الإسلام ٣ الذين تشيعوا في زمن النبي وثبتوا بعد وفاته ٤ متى اهمل لفظ الشيعة ومتى اشتهر مجمل عقائد الشيعة الاثني عشرية

معنى الشيعة في اللغة والكتاب الكريم

غير خفي على من تصفح موسوعات اللغة العربية والقرآن العزيز — ان لفظ الشيعة قد ذكر كثيراً فيهما بمناسبات عديدة ٠ وقد فسر معناه تارة بالأتباع والانصار ٠ وأخرى بالمشايعة — وهي المتابعة والمطاوعة — وان هذا الاسم قد غلب على كل من يتولى علياً وأهل بيته (ع) حتى صار اسما خاصاً ، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف انه منهم ٠٠ ولنكون على يقين مما ذكرنا نذكر لك نبذة صغيرة من أقوال علماء اللغة وآيات القرآن الكريم مع تفسيرها

قال في « القاموس » (ج٣ ص٤٧) — وشيعة الرجل أتباعه وانصاره والفرقة على حدة ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع ، والمذكر والمؤنث وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته حتى صار اسماً لهم خاصاً (ج) أشياع وشيع كعنب » وقال في النهايـة لابن الاثير (ج٢ص٢٤٦) (وأصل الشيعة الفرقة من الناس ٠ وتقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد ، وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم(؟) انه يتولى علياً رضي الله عنه وأهل بيته حتى صار لهم اسماً خاصاً ، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف انه منهم ، وفي مذهب الشيعة كذا اي عندهم ، وتجمع الشيعة على شيع وأصلها من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة » وهكذا جاء في

« لسان العرب » و « مصباح المنير » و « والصحاح » وغيرها . وجاء اسم الشيعة في الكتاب العزيز في سورة القصص (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) قال الزمخشري — ج ٢ ص ٣٧٥ — من كشافه في تفسيرها (اي ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل) . وفي سورة الصافات (ان من شيعته لابراهيم) (قال الزمخشري أيضاً (ج ٢ ص ٤٨٣) من كشافه — أي ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة الكذابين) وجاء غيرهما من الآيات

قدم تكون الشيعة في الاسلام بأمر نبي الاسلام

ذهب الكثيرون من المؤرخين والكتاب غير الشيعة إلى أن بدء نشأة الشيعة وزمان تكونها كان بعد وفاة النبي ﷺ ولكن الذين ذهبوا هذا المذهب في تحديد الزمان الذي حصل فيه التكون — قد اختلفت أقوالهم في التحديد .

فمنهم من يميل إلى أن تكون الشيعة كان في يوم (السقيفة) ذلك اليوم الذي صرح به رهط من أعلام الصحابة (رض) بتقديم أمير المؤمنين علي (ع) على غيره في الامامة وأولويته فيها معتقدين ذلك متدينين به (١) ومنهم من مال

---

(١) ممن ذهب ومال إلى ذلك من كتاب عصرنا الاستاذ محمد عبد الله عنان المصري في كتابه تاريخ الجمعيات السرية حيث يقول (صفحة ٢٦ منه) «ومن الخطأ ان يقال — ان الشيعة انما ظهروا لاول مرة عند انشقاق الخوارج وانهم انما سموا كذلك لبقائهم إلى جانب علي . فشيعة علي ظهروا منذ وفاة النبي (ص) كما قدمنا» وقد وافقه الاستاذ احمد امين المصري (ص٣١٧ من فجر الاسلام) ووافقهما الاستاذ ابراهيم حلمي العمر مدير المطبوعات العراقية الحالي حيث يقول «يرتقي عهد الفرقة الشيعية الى اوائل خلافة ابي بكر (رض) فإن قوما من الانصار رسخ في اذهانهم وبسق في ادمغتهم شجر الحب لعلي كرم الله وجهه انه اولى الناس بالخلافة لقرابته من رسول الله (ص) ورسوخ قدمه في الاسلام وجهاده في سبيله » وكان القائلون بهذا الرأي ثلة من صناديد قريش وفحول الانصار —من مقال نشره ص١٦٨ من مجلد ٥ من العرفان

إلى أن الشيعة تكونت أيام فتنة (الدار) أي أيام مقتل الخليفة عثمان(رض)
ويظهر من ابن حزم الميل إلى هذا القول حيث يقول (ج ٢ ص ٧٨ من فصله
— فإن الروافض ليسوا من المسلمين (؟) انما هي فرق حدث أولها بعد موت
النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة الخ)

ومنهم من مال إلى انها تكوّنت يوم وقعة «الجمل» في البصرة كما يظهر
من ابن النديم عند قوله في فهرسته (ص ٢٤٩) «لما خالف طلحة والزبير على
علي رضي الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان ، وقصدهما علي عليه السلام
ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله — تسمي من اتبعه على ذلك باسم الشيعة
فكان يقول شيعتي »

ومنهم من مال إلى انها تكونت يوم خروج الخوارج بصفين . وعلى كل فالحقيقة
بعيدة عما ذهبوا اليه جميعهم . لأن من عرف معنى الشيعة الذي تقدم ذكره
لاشك أنه يخالف اولئك على طول ولا يوافقهم البتة بمساعدة أن معنى الشيعة
سواء كان الموالاة أو المحبة أو التقديم أو المتابعة أو التمسك بالكتاب والعترة
— قد تكوّن قبل ذلك الزمان الذي حددوه أي في أيام نبي الإسلام
الأقدس أيام كان يغذي بأقواله عقيدة التشيع لعلي (ع) وأهل بيته ويمكنها
في اذهان المسلمين ويأمر بها في مواطن كثيرة آخرها يوم «غدير خم»
١٨ ذي الحجة سنة ١٠ من الهجرة بعد حجة الوداع وبعد أن أمره الله سبحانه
وتعالى بقوله الكريم «يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل
فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» قال الفخر الرازي (ج٣ص٤٢٨)
من تفسيره الكبير «نزلت هذه الآية في فضل علي بن ابي طالب عليه السلام
ولما نزلت أخذ رسول الله بيد علي بن أبي طالب وقال — من كنت مولاه
فعلي مولاه اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه (١) فلقيه عمر (رض) فقال

---

(١) ذكر في الصواعق ص٢٥ منه قوله (ص) يوم غدير خم عند ما رجع من حجة

هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة . وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي » وروى سبط بن الجوزي (ص ٣٢) من تذكرته « أنه لما قال النبي ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه — نزل قوله — اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي (١) وذكر للمولى عشرة معاني عاشرها الأولى . ثم قال — وجميع المعاني راجعة اليه لقوله (ص) — الست اولى بالمؤمنين من أنفسهم وهذا نص صريح في إثبات إمامته وقبول طاعته . إلى أن قال وقد أكثرت الشعراء في ذكر غدير خم فقال حسان بن ثابت الأنصاري ساعتئذ

يناديهمُ يوم الغدير نبيهم	بخمٍّ وأسمع بالنبي مناديا
وقال فمن مولاكم ووليكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
الهك مولانا وانت ولينا	ومالك منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق مواليا

فأنت ترى أن الذي بلغه رسول الله ﷺ لأمته — بأمر من الله تعالى

الوداع وبعد ان جمع الصحابة — الست اولى بكم من انفسكم — ثلاثاً — وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف . ثم رفع يد علي وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واحبب من احبه وابغض من ابغضه واخذل من خذله وانصر من نصره وادر الحق معه حيث دار — ثم قال ابن حجر — انه حديث صحيح لا مرية فيه وقد اخرجه جماعة كالترمذي والنسائي والامام احمد وطرقه كثيرة وكثير منها حسان واسانيدها صحاح جداً ، ومن ثم رواه ستة عشر صحابيا وفي رواية لأحمد انه سمعه من النبي (ص) ثلاثون صحابيا وشهدوا به لعلي لما نوزع ايام خلافته وقول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه الخ موضوعة مردود . فقد رواه الناس من طرق صحاح صحح الذهبي اكثرها »

(١) وفي مجمع البيان (ج٢ص١٥٩) ان النبي (ص) قال من كنت مولاه الخ بعد أن نزلت هذه الآية لا قبلها وهو الارجح

شديد — هو موالاة علي (ع) وأولويته بالإمامة وهي أظهر معاني التشيع وقد جعلها تعالى في كتابه العزيز وقرنها بموالاته وموالاة نبيه الكريم عند قوله جل اسمه في سورة المائدة « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا إلى قوله فإن حزب الله هم الغالبون » قال الزمخشري — ج ١ ص ٤٢٢ — من كشافه « انها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه (١) ثم قال قلت كيف صح ان تكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة ؟ قلت جيء به على لفظ الجماعة وإن كان السبب واحداً ليرغب الناس في مثل فعله »

وقال سبط ابن الجوزي كمقالة الزمخشري هذه وزيادة في ص ١٦ من تذكرته التي استشهد فيها (ص١٧) بقول حسان بن ثابت

أبا حسن تفديك روحي ومهجتي ... وكل بطيء في الهدى ومسارع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً ... فدتك نفوس الخلق ياخير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيد ... ويا خير شار ثم يا خير بائع
فأنزل فيك الله خير ولاية ... وبينها في محكمات الشرائع

وبقوله أيضاً

من ذا بخاتمه تصدق راكعاً ... وأسرّها في نفسه إسرارا
من كان بات على فراش محمد ... ومحمد أسرى يؤم الغارا
من كان في القرآن سمي مؤمناً ... في تسع آيات تلين غزارا

أشار بذلك إلى قول ابن عباس ما أنزل الله آية في الإيمان إلا وعلي رأسها وأميرها »

وكما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بولاية علي أمر بحبه وحب العترة الطاهرة

---

(١) واثبت نزولها في علي صاحب مجمع البيان (ج ٢ ص ٢١١) بطرق متواترة معتبرة عند الفريقين فراجع

وبالتمسك فيها وبتقديمها ومتابعتها وغير ذلك من صفات التقديم والتفضيل .
فكان ﷺ يقول « علي مني وأنا من علي وهو وليكم بعدي (١) » وبنذر
« كأني قد دعيت فأجبت ، اني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر
كتاب الله عز وجل وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؟ فإنهما لن يفترقا
حتى يردا علي الحوض ، سألت ربي ذلك لهما ، فلا تتقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا
عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم (٢) »

---

(١) ج ٥ ص ٣٥٦ من مسند احمد وص ٢٦ من الصواعق المحرقة لابن حجر

(٢) ص ١٤٠ من الصواعق الذي ذكر فيه هذا الحديث وحديث - أذكركم الله
في اهل بيتي وانه قال (ص) ذلك ثلاث مرات . وحديث الثقلين بلفظ اني تارك
فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا
علي الحوض الخ ذكر ذلك ص ٩١ من صواعقه ثم قال « ولهذا الحديث طرق كثيرة
عن بضع وعشرين صحابياً ومر له طرق مبسوطة وسمى رسول الله (ص) القرآن وعترته
ثقلين لأن الثقل كل نفيس خطير مصون وهذان كذلك إذ كل منهما معدن العلوم اللدنية
والاسرار والحكم العلية والاحكام الشرعية ولذا حث (ص) على الاقتداء والتمسك
بهم والتعلم منهم . وقال الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت وقيل انما سميا
ثقلين لثقل رعاية حقوقهما ثم الذي وقع الحث عليهم انما هم العارفون بكتاب الله وسنة
رسوله إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض ويؤيده الخبر السابق - لا تعلموهم
فإنهم أعلم منكم وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة وفي أحاديث الحث على التمسك بهم
اشارة إلى عدم انقطاع متأهل للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز
كذلك ولهذا كانوا امانا لأهل الأرض ويشهد بذلك الخبر - في كل خلف من أمتي
عدول ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ثم احق
من يتمسك به منهم امامهم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما قد مناه من مزيد علمه
ودقائق مستنبطاته ومن ثم قال فيه أبو بكر (رض) علي عترة رسول الله اه » وقال
ابن الاثير (ج ١ ص ١١٣) من نهايته بعد ذكر الحديث - وسماهما ثقلين لأن الاخذ
بهما والعمل ثقيل ويقال لكل خطير ثقل فسماهما ثقلين إعظاما لقدرهما وتفخيما
لشأنهما . وروى مسلم في صحيحه حديث الثقلين بطرق معتبره انظر ج ٢ ص ٢٣٨)

وعن ابن عمر « ان آخر ماتكلم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخلفوني في أهل بيتي (١) » وقال « من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله (٢) » وقال « عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن ابي طالب (٣) »

وقال صلى الله عليه وآله وسلم « انما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . وفي رواية هلك . النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي وفي رواية لأهل الأرض (٤) »

« الزموا مودتنا أهل البيت ، والذي نفسي بيده لاينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا (٥) » وقال « ان وزيري وخير من أترك بعدي يقضي ديني وينجز مواعيدي علي بن أبي طالب (٦) » وقال أيضاً وهو آخذ برقبة علي « ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا (٧) » وروى الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء انه قال صلى الله عليه وآله وسلم « من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن فليوال علياً من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعده ، فإنهم خلقوا من طينتي ورزقوا فهماً وعلماً ، فويل للمكذبين من أمتي القاطعين فيهم

---

(١) صفحه ٩٢ من الصواعق (٢) ص ٧٦ و ٧٧ من الصواعق (٣) صواعق (٤) ص٩٣ و ١١٤ من الصواعق (٥) ص ١٠٦ من الصواعق (٦) ص ٣١٢ من محاضرات الراغب الاصبهاني (٧) ج ١ ص ١١٧ من تاريخ أبي الفداء، وج ٢ ص ٢١٧ من الطبري وج٢ ص٢٢ من ابن الاثير وج١ ص١١١ وص١٥٩ من مسند أحمد وروى سبط بن الجوزي (ص٤٧) من تذكرته عن أحمد عن أنس قال قلنا لسلمان الفارسي سل رسول الله (ص) من وصيه ? فسأله سلمان فقال رسول الله (ص) من كان وصي موسى بن عمران ? فقلت يوشع بن نون فقال (ص) ان وصيي ووارثي ومنجز وعدي علي بن أبي طالب ثم قال سبط ابن الجوزي فإن قلت قد ضعفوا حديث الوصية فالجواب ان الحديث الذي ضعفوه في اسناده اسماعيل بن زياد تكلم فيه الدار قطني والحديث الذي ذكرناه رواه احمد وليس في اسناده ابن زياد انتهى كلام السبط

صلني لاأنالهم الله شفاعتي (١)» «وهذه الأخبار الخاصة التي رواها علماء الحديث الذين لا يتهمون فيه — وجلهم قائل بتفضيل غيره عليه (أي على علي) توجب سكون النفس ما لا توجبه رواية غيرهم (٢)

وهناك اخبار خاصة وعامة غير هذه مذكورة في كتب الفريقين واليك بعض ما جاء في كتب الفريق غير المتهم «بالرفض» ليتضح لديك النص على الأئمة واحداً بعد واحد، ويثبت عندك فضلهم وقدم تكون شيعتهم وحسن عاقبتهم في جوار الصادق الأمين وعترته الميامين عليه السلام «عن كتاب السمطين للشيخ محمد الحمويني المحدث الشافعي . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الإثنا عشر أولهم علي وآخرهم المهدي (٣)» وعن كتاب مودة القربى — قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للحسين أنت إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة وأنت حجة ابن حجة أخو حجة أبو حجج تسع تاسعهم قائمهم (٤)»

«وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي انك ستقدم على الله انت وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين . ثم جمع يده إلى عنقه يريهم كيف الاقماح — ذكر هذا الحديث ابن الاثير في نهايته (ج٣ص٢٧٦) ثم فسر فيها الاقماح برفع الرأس وغض البصر . يقال أقمحه الغل إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه»

«وقال صلى الله عليه وآله وسلم ياعلي أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا — ولما نزلت هذه الآية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية . قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي هم أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين (٥)

---

(١) ج٢ صفحة ٤٥٠ من شرح النهج للمعتزلي وج٥ صفحة ٩٤ من مسند احمد
(٢) ج٢ ص ٣٦٩ من الشرح (٣) ص٣٧٤ من ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفي
(٤) صفحة ١٣٩ من ينابيع الحنفي (٥) صفحة ٩٨و٩٩ من الصواعق

روى المسعودي « ان العباس بن عبد المطلب قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل علي بن ابي طالب ، فلما رآه النبي أسفر في وجهه فقلت يارسول الله انك لتسفر في وجه هذا الغلام فقال يا عم والله لله أشد حباً له مني ، انه لم يكن نبي إلا وذريته من صلبه ، وان ذريتي بعدي من صلب هذا ، انه إذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسمائهم وأسماء أمهاتهم ستراً من الله عليهم إلا هذا وشيعته فإنهم يدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم (١) »

ولو أردنا التبسط في الأخبار الدالة على قدم التشيع والآمرة به لاحتجنا إلى كتاب ضخم ، ولاضطررنا إلى الخروج عن خطتنا في الاختصار . ولذا اجتزأنا بهذه الأخبار الصحيحة المشهورة المتواترة (٢) وبخبر أبي حاتم الرازي

---

(١) ج٢ صفحة ٥١ من مروج الذهب وج١ ص٣١٧ من تاريخ الخطيب البغدادي

(٢) يقول ابن ابي الحديد المعتزلي (ج١ صفحة ٣٥٩ من شرح النهج) « وقد صح ان بني أمية منعوا من اظهار فضائل علي (ع وعاقبوا على ذلك الراوي حتى ان الرجل إذا روى عنه حديثاً لايتعلق بفضله بل بشرائع الدين لايتجاسر على ذكر اسمه فيقول روى ابو زينب فالأحاديث الواردة في فضله (بل وفضل ذريته) لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة لانقطع نقلها للخوف من بني مروان مع طول المدة وشدة العداوة ولولا ان لله تعالى في هذا الرجل سرا يعلمه من يعلمه لم يرد في فضله حديث ولاعرفت له منقبة » ثم راح يخبرنا (ج٣ صفحة ١٥ من الشرح) ماعمله بنوا أمية فقال «ان معاوية كتب نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة — ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب (علي) واهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤن منه ويقعون فيه وفي اهل بيته » واخبرنا ايضاً (ج١ ص ٣٥٦) من الشرح « ان بعض بني أمية عذل معاوية وقال انك قد بلغت ما املت فلو كففت عن لعن هذا الرجل فقال معاوية — لا والله حتى يربوا عليها الصغير ويهرم الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلا » واخبرنا (ج١ ص٣٥٨ من الشرح) « ان معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله فاختلقوا ما ارضاه : منهم ابو هريرة وعمرو بن العاص . ومن التابعين عروة بن الزبير الذي زعم أن عائشة حدثته — ان رسول الله (ص) قال لها ان سرك ان تنظري إلى رجلين من اهل النار فانظري إلى هذين قد

المنقول كما في ص٨٨ من روضات الجنات — عن كتاب « الزينة » قال « ان أول اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة . وهم ابو ذر وسلمان والمقداد وعمار . إلى أن آن أوان صفين فاشتهر بين موالي علي رضي الله عنه »

فإذا علمت ما قدمناه من ظهور الشيعة في عهد رسول الله ﷺ ومن انه أول المنوهين بفكرة التشيع والمغذين إياها بأوامره المطاعة وانه — وهو الذي لا ينطق عن الهوى — قد بشر علياً وشيعته برضاة الله تعالى ودخول الجنة عن يمين النبي ﷺ وشماله . إذا علمت ذلك فلا شك انك تحكم بسخف ما زعمه (١) بعض المرضى بداء التعصب الذميم من ان فكرة التشيع من مخترعات عبد الله بن سباء المعروف بابن السوداء وانها فكرة سبائية لا مساس لها بدين الإسلام أو انها فكرة سياسية أحدثها الفرس بعد قرن ؟!

الذين تشيعوا في عهد النبي والذين ثبتوا على تشيعهم بعده

. من الثابت المتيقن ان كثيراً من الصحابة قد احبوا علياً في حياة أخيه رسول الله ﷺ وكان حبه لديهم من علائم الإيمان ، وبغضه من علائم

طلما فنظرت فإذا العباس وعلي بن ابي طالب — واما ابو هريرة فجثا على ركبتيه في مسجد الكوفة وروى لاهلها انه سمع النبي (ص) يقول — ان لكل نبي حرما وان حرمي بالمدينة فمن احدث بها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين واشهد ان عليا احدث فيها فلما بلغ معاوية قوله اجازه واكرمه وولاه امارة المدينة واما عمرو بن العاص فانه روى الحديث الذي اخرجه البخاري متصلا بعمرو بن العاص قال سمعت النبي يقول ان آل ابي طالب ليسوا لي بأولياء »

(١) ولقد ابطل هذا الزعم الاستاذ محمد كردعلي (ج٦ ص٢٥١ من كتابه خطط الشام) حيث يقول « اما ما ذهب اليه بعض الكتاب من ان مذهب التشيع من بدعة عبد الله بن سباء المعروف بابن السوداء — فهو وهم وقلة علم بتحقيق مذهبهم ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن اقواله واعماله وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم في ذلك — علم مبلغ هذا القول من الصواب »

النفاق وكانوا يقدمونه على انفسهم ويفضلونه على جميع الصحابة، وكانوا يوالونه أشد موالاة بعد ما بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم — كما في الدرجات الرفيعة — على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن ابي طالب والموالاة له»

وكان عدد الذين بايعوا — يوم غدير خم — اربعين الفاً (١) وقيل سبعين الفاً، ويقول سبط ابن الجوزي «ان الذين بايعوا علياً كانوا مائة وعشرين الفاً (٢)» وكل هؤلاء كانوا شيعة «بمعنى الموالاة لعلي (ع)»

ولكن اسم الشيعة قد تغلب واختص يومئذ — كما علمت — بأبي ذر وسلمان وعمار والمقداد رضي الله عنهم لكونهم أخص الصحابة بعلي (ع) وأشدهم تظاهراً بحبه وموالاته:

وقد كان جميع الهاشميين — وقتئذ — وفي مقدمتهم العباس بن عبد المطلب من الشيعة وكذلك حذيفة بن اليمان، والزبير بن العوام، وخزيمة ذو الشهادتين وابو التيهان وهاشم بن عتبة بن ابي وقاص المعروف بهاشم المرقال وابو ايوب الانصاري وابو سعيد الخدري القائل «ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا ببغض علي بن ابي طالب (٣)» وخالد وابان الامويان وابو رافع وعدي بن حاتم الطائي وحجر بن عدي الكندي، وسعيد بن جبير وعثمان وسهل ابنا حُنيف وأُبي بن كعب والبراء بن عازب والاحنف بن قيس وثابت بن قيس بن الخطيم وقيس بن سعد بن عبادة وابوه أيضاً وحباب بن الارت وبلال مؤذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعبدالله ومحمد ابنا بديل وقُرَظة بن كعب الخزرجي وسليمان بن صُرد الخزاعي وحسان بن ثابت وانس بن الحرث وابو قتادة الانصاري وابو دجانة الانصاري وسعد بن مسعود الثقفي عم المختار ويزيد بن نويرة «وهو أول قتيل قتل من أصحاب علي بالنهروان وشهد له رسول الله بالجنة مرتين (٤)»

---

(١) كما في ج ١ صفحة ١٥٦ من تاريخ أبي الفداء (٢) صفحة ٣٣ من تذكرته

(٣) صفحة ٧٥ من الصواعق وجزء ٢ صفحة ٤٣٨ من شرح النهج للمعتزلي

(٤) ج ١ صفحة ١٥١ من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

ونافع بن عتبة بن ابي وقاص وابو ليلى الانصاري واسمه يسار ويقال داود بن بلال وكان ابو ليلى خصيصاً بعلي عليه السلام يسمر معه ومنقطعاً اليه وورد المدائن في صحبته وشهد صفين معه وفي ولده جماعة يذكرون بالفقه ويعرفون بالعلم(١)

وعدَّ غير هؤلاء من الصحابة المتشيعين لعلي (ع) كل من صاحب الدرجات الرفيعة وصاحب الاستيعاب والإصابة فراجع :

وجل هؤلاء قد ثبتوا على التشيع والموالاة لعلي بعد وفاة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك امتنعوا معه عن مبايعة ابي بكر (رض) في بدء الأمر لاعتقادهم ان علياً أولى بالإمامة من غيره (٢) وانه هو الإمام الحق والخليفة الشرعي لرسول الله الذي عقد الولاية لعلي يوم الغدير وحكم بأنه أقضى الامة وانه باب مدينة علمه وأن الحق يدور معه حيثما دار وكان يخلفه على المدينة إذا غاب عنها ولم يخلف غيره، ويؤمره على غيره في الوقائع ولم يؤمر عليه أحداً . وقد خصه الله بالتبليغ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أرسل ابا بكر (رض) ليبلغ سورة براءة فأهبط عليه جبرائيل (ع) وبلغه انه لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك(٣) فأرسل حينئذ علياً ليرجع أبا بكر ويتولى هو بنفسه — وهي نفس الرسول بنص آية المباهلة — تبليغ الوحي:

متى أهمل لفظ الشيعة ومتى اشتهر ؟

لما تغلب المهاجرون على الانصار يوم « السقيفة » وبايع بعد ذلك الناس ابا بكر (رض) عدا سعد بن عبادة زعيم الأنصار من الخزرج . انحصرت

---

(١) ج ١ صفحة ١٨٦ من تاريخ الخطيب

(٢) وهذا عمر (رض) قد اعترف بما يعتقده الصحابة من اولوية علي (ع) حيث قال لابن عباس « اما والله يابني عبد المطلب لقد كان علي فيكم اولى بهذا الامر مني ومن ابي بكر ولكن خشينا ان لا تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها — صفحة ٢١٣ من محاضرات الراغب الاصبهاني » (٣) ج ١ صفحة ١٥٠ تاريخ ابي الفداء وج ١ صفحة ١٥١ من مسند احمد ولكن بلفظ ان يؤدي الخ

جهود ابي بكر في أخذ البيعة من علي (ع) ومن الذين امتنعوا معه عن البيعة وكان من الممتنعين والمظهرين انحيازهم إلى جانب علي يومئذ ابو سفيان رأس الأمويين القائل « يا آل عبد مناف فيم ابو بكر من اموركم . فزجره علي وقال له والله ما أردت بهذا إلا الفتنة وانك طالما بغيت للإسلام شراً (١) »

ثم ان ابا بكر تشدد في طلب البيعة من علي — بإيعاز من عمر على ماقيل — وتشدد علي في الامتناع وبالغ في القاء الحجة على المهاجرين والانصار حتى ندم بعض الأنصار على بيعتهم لأبي بكر ولام بعضهم بعضاً . وذكروا علي بن ابي طالب وهتفوا باسمه (٢) »

وكذلك نـدموا أو اظهروا الندم لما اسمعتهم بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك التقريع الأليم وتلك الحجج الدامغة (٣) ولكن ندمهم هذا كان اعظم على الزهراء من تخاذلهم . لأنه كان في وقت لا يجدي فيه الندم . كان في

---

(١) ج٢ صفحة ١٢٣ من تاريخ ابن الاثير «٢» ج٢ صفحة ١٩ من شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي

(٣) ذكر ابن ابي الحديد خطبتها في (ج ٤ ص ٨٧ من شرح النهج) واليك بعض فقراتها قال (اجتمع عند فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساء من نساء المهاجرين والانصار فقلن لهـا كيف أصبحت يا بنت رسول الله ؟ قالت والله اصبحت عائفة لدنياكن قالية لرجالكن لفظتهم بعد ان عجمتهم وشنأتهم بعد ان سبرتهم فقبحاً لفلول الحد وخور القناة وخطل الرأي لاجرم قد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم غارتها فجدعا وعقرا وبحهم ابن زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الامين والطبين بأمر الدنيا والدين وما الذي نقموا من أبي الحسن نقموا والله نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله » وذكر احمد بن ابي طاهر البغدادي ص ٢٤ من كتابه بلاغة النساء نحو ذلك

الوقت الذي استحكم فيه أبو بكر من بيعة الأنصار وبقية الناس . ولم يبق سوى علي (ع) والصفوة من شيعته:

ولذا لما رأى ذلك ورأى أنه لو دام على الامتناع لحصل مالاتحمد عقباه وما يوهن الدين الحنيف الذي بني على ماضيه

بني الدين فاستقام ولولا ضرب ماضيه مااستقام البناء

لما رأى ذلك كله تغاضى عن حقه المشروع ومقامه المضاع وصافح ابابكر وقام بنصح المسلمين ويؤيد كلمة الإسلام بعلمه الزاخر وسيفه « ذي الفقار » وتابعه شيعته على ذلك . فأهمل يومئذ لفظ الشيعة وصار المسلمون فرقة واحدة وذابت تلك الكلمات المفرقة (سنة شيعة بكري علوي) في كلمة مسلم (١) واستمر المسلمون على هذا السير المحبوب في جميع أيام الأول والثاني رضي الله عنهما وشطر من أيام الثالث لم يختلفوا ولم تفترق كلمتهم سوى بضعة أيام في مجلس « الشورى » حتى قامت عصبة أموية في أواخر أيام الثالث (رض) واستبدت في أمور المسلمين إلى أن قام المسلمون ضدها وجرى ما جرى من التنازع والتضارب حتى انتهى الأمر بقتله وكان قتله من جراء أعمالها الجائرة

ويا ليتها خجلت من أعمالها وتسبيبها قتل زعيمها وخذلانه . ولم تناهض أمير المؤمنين علياً وتتهمه بخذلان من خذلته والمالأة عليه ولقد أجاد القائل « رمتني بدائها وانسلت »

ولقد ساعدها نفر ضئيل من أهل الاطماع وتفرد معها عن جميع البلدان

---

(١) حبذا لو نكون اليوم كما كانوا بالامس متحدين متحابين لا نقيم تلك الفوارق المذهبية الخارجة عن جوهر الدين الحنيف وزنا ولا نعرف لها معنى وما يجدينا التخاصم في الخلافة وقد قضي عليها الاتراك وامست خبراً من الاخبار — في مثل هذه الايام التي صرنا فيها سواسية هدفاً للاعداء والمستعمرين صارت بحوث الفوارق المذهبية من أقوى الاسلحة للمستعمر على هلا كنا وابادتنا

الإسلامية التي بايعت عليا على العموم ولم يشذ عن ذلك سوى الشام فإنه لبس عليها الأمر وأغشى بصرها (دم القميص) الذي جاء به معاوية ونشره على منبر دمشق حتى اجتمع حوله سبعون الف شيخ يبكون على عثمان (١)

ويتحرقون غيظا من علي بسبب ما لفقه معاوية وابن العاص من التهم المفضوحة حتى ظهر الانقسام – وقتئذ – جليا بين المسلمين . وصار المسلمون فرقتين عثمانية وعلوية ، ثم لما صارت واقعة (صفين) وانتهت بالتحكيم المزيف وخروج الخوارج ثم اغتيالهم عليا وخذلانهم الحسن بن علي عليهما السلام حتى هادن معاوية – في عام الاربعين – أطلق أنصار معاوية ومتبعو سنته اسم السنة والجماعة على أنفسهم (٢) واسم الشيعة على انصار علي ومواليه . واشتهر كلا الاسمين في ذلك الوقت بعد ان كانا مهملين:

ولم يزالا مشتهرين إلى اليوم ولكن قد اندمج فيهما أسماء وفرق كثيرة يعسر عدها في هذه العجالة وهذا المختصر :

ولقد اسرف البعض في اطلاق اسم الشيعة على فرق خرجت عن التشيع والإسلام معاً وقد باد أكثرها وكأنه ما عرف عقائد الشيعة القويمة أو انه عرفها ولكنه عدّ تلك الفرق الضالة في عداد الشيعة لغاية في نفس يعقوب

وان المعاني الحقيقية التي قدمناها للتشيع الحق لا تخول أحداً ان يطلق اسم الشيعة على غير الاثني عشرية واكثر الزيدية والاسماعيلية . وبعض الفطحية والواقفية . وبما ان الزيدية اليوم ومثلهم الاسماعيلية لا يعرفون إلا بهذين الانتسابين . وبما ان الفطحية والواقفية لا وجود لهم في هذا العصر

---

(١) ج ١ ص ٢٨٦ من شرح النهج للمعتزلي

(٢) وقيل ان اسم السنة اطلق على اتباع معاوية ومؤيدي سنته في بدء الدولة العباسية ولكن الأصح انه إنما اطلق عليهم عام الاربعين لأن الجماعة حصلت – كما زعموا – يومئذ ولذا سموا هذا العام عام الجماعة

انحصر اسم الشيعة بالشيعة الإمامية الاثني عشرية واختص بهم لذلك لانقصد غيرهم في بحثنا عن

مجمل عقائد الشيعة

أبنا ان التشيع لم يكن غير المشايعة لعلي (ع) والمتابعة له في كل ماصح عنه من الأقوال والأعمال ، ولم يكن ايضاً سوى الموالاة له ولذريته الطاهرة.

فالتشيع – بطبيعة الموالاة والمتابعة والمشايعة – قد تضمن جميع العقائد الدينية الإسلامية التي صدع بها نبي الإسلام الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم واودعها في الكتاب الكريم الثقل الاكبر والعترة الطاهرة الثقل الاصغر التي لا تفارقه إلى يوم القيامة

لذلك كان من أوليات العقائد الدينية وأهمها عند الشيعة – هو الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وانه حي قيوم قديم أبدي قادر مختار عالم حكيم عادل غني سميع بصير مدرك كل شيء ولا يدركه شيء مريد للخير كاره للشر صادق في وعده ووعيده يرى ولا يُرى في الدنيا والآخرة لأنه سبحانه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا مركب من شيء ولا متحد مع شيء وانه لطيف بعباده رؤوف رحيم ومن لطفه أرسل الأنبياء الهداة ولكمال لطفه عصمهم من كبائر الذنوب وصغائرها وجعل نبينا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الانبياء (ولكنه رسول الله وخاتم النبيين)

وانزل عليه المعجزة العظمى – القرآن الكريم – مصدقاً لما بين يديه فيه تبيان كل شيء ، وهو عند الشيعة غير قديم كقدمه تعالى وعندهم ان الاعتقاد بالتوحيد وبالنبوة والعدل من أصول الدين الحنيف ، ومثلها الإمامة والمعاد . أما الإمامة – وهي واجبة عندهم وعند جمهور المسلمين – فيعتبرها الشيعة منصباً إلهياً كمنصب النبوة إلا انه دونه في المنزلة والفضل – لأن الإمام نائب عام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حفظ الشرع الإسلامي وتسيير المسلمين على طريقه القويم ، وفي حفظ وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان

(والنائب دون المنوب عنه) والإمام موضح للمشكل من الآيات والأحاديث ومفسر للمجمل والمتشابه ومميز للناسخ من المنسوخ ، وهو ليس بمشرع بوحي اليه وإنما هو — كما تقدم — نائب عن المشرع الموحى اليه:

والإمامة — عند الشيعة — لا تكون إلا بنص وتعيين والمعيَّن لابد أن يكون معصوماً كالنبي ﷺ وان يكون أفضل الأمة — بعد النبي — وأشجعها وأزهدها وأتقاها ليتمكن من حفظ الشرع وإقامة الأحكام الدقيقة على طبق ما شرعها الشارع الأعظم لا تأخذه في الله لومة لائم ولا تصده عن تنفيذها قرابة قريب ، او صداقة صديق أو أنانية ذاتية:

ولما كانوا يعتقدون بوجوب النص على الإمام - بحكم العقل والنقل — قالوا ان النبي ﷺ قد نص عليه وعينه ولم يهمل امره . ولما كان اعتقادهم بوجوب عصمة المعيَّن وكونه أفضل الأمة وأقضاها قالوا ان الذي عينه رسول الله ﷺ ونصبه إماماً ونائباً عنه هو علي بن ابي طالب (ع) لأن العصمة لم توجد في غيره ولا ادعيت لأحد غيره ولأن الأفضلية قد ثبتت له باعتراف جل المسلمين وباجماع من يعتد به منهم وبالأخبار الصحيحة المتواترة عن نبي الهدى ﷺ وقد قدمنا لك نبذة منها في جملة الأخبار الناصة على إمامته عليه السلام

وبالنص والعصمة والافضلية ثبتت إمامة الحسن بن علي (١) وإمامة أخيه الحسين (٢) وإمامة زين العابدين علي بن الحسين (٣) وامامة محمد بن علي

---

(١) ولد الحسن (ع) في المدينة سنة ٣ ﻫ وتوفي فيها مسموماً سنة ٥٠ وقيل سنة ٤٩ ﻫ ودفن بالبقيع (٢) ولد الحسين (ع) بالمدينة سنة ٤ ﻫ واستشهد في طف كربلا ١٠ المحرم سنة ٦١ ﻫ ودفن فيها بعد ثلاثة أيام من استشهاده (٣) ولد علي بن الحسين (ع) بالمدينة سنة ٣٨ وتوفي ودفن فيها سنة ٩٥ ﻫ بالبقيع

« الباقر » (١) وإمامة جعفر بن محمد « الصادق » (٢) وإمامة موسى بن جعفر « الكاظم » (٣) وإمامة علي بن موسى « الرضا » (٤) وإمامة محمد بن علي « الجواد » (٥) وإمامة علي بن محمد « الهادي » (٦) وإمامة الحسن بن علي « العسكري (٧) وإمامة محمد بن الحسن « المهدي » وهو الإمام الثاني عشر (٨)

هذه هي الإمامة . وأما المعاد — فيعتقد به الشيعة كما يعتقد به سائر المسلمين . ولكنهم يخالفونهم بالكيفية ، فهو عند الشيعة : إعادة الخلائق — بعد موتهم — أحياء بأجسادهم وأرواحهم ، وقد وافقهم بعض السنة وخالفهم الباقون في ذلك :

علمت — من مجمل ما ذكر — ان أصول الدين عند الشيعة خمسة : — التوحيد — العدل — النبوة — الإمامة — المعاد — لكن الإمامة — وان اعتبروها من أصول الدين — هي بأصول المذهب أشبه ، لأن منكر الإمامة عندهم لا يخرج — بذلك — عن ملة الإسلام وإنما يخرج عن المذهب فحسب بعكس بقية الأصول :

ويؤمن الشيعة بجميع ما في القرآن العزيز والسنة الشريفة القطعية من الجنة والنار ، ونعيم البرزخ وعذابه ، والميزان ، والصراط ، والاعراف ، والكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وان الناس مجزيون بأعمالهم

---

(١) ولد عليه السلام بالمدينة سنة ٥٧ وتوفي فيها سنة ١١٤ ودفن بالبقيع

(٢) ولد عليه السلام بالمدينة سنة ٨٣ وتوفي فيها سنة ١٤٨ ودفن بالبقيع

(٣) ولد عليه السلام بالابواء سنة ١٢٨ وتوفي مسموما ببغداد سنة ١٨٣ ودفن بالكاظمية

(٤) ولد عليه السلام بالمدينة سنة ١٤٨ وتوفي مسموما بطوس ايران سنة ٢٠٣ ودفن هناك

(٥) ولد عليه السلام بالمدينة سنة ١٩٥ وتوفي سنة ٢٢٠ ودفن بالكاظمية شمال جدة

(٦) ولد عليه السلام بالمدينة سنة ٢١٢ وتوفي مسموما بسامراء سنة ٢٥٤ ودفن بداره فيها

(٧) ولد عليه السلام سنة ٢٣٢ بالمدينة وتوفي ودفن عند ابيه سنة ٢٦٠

(٨) ولد عليه السلام سنة ٢٥٥ بسامراء وغاب غيبته الصغرى سنة ٢٩٠ والكبرى سنة ٣٢٩

إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر — ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره — إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة

من ان الله سبحانه لم يجبر مخلوقاً على طاعة ولا على معصية ، وكيف يجبر على الطاعات وهو غني عنها ؟ بل كيف يمدح عباده ويثيبهم عليها وهي ليست منهم ولم تكن باختيارهم على ما زعم ؟ !

ثم كيف يعاقب العصاة وقد اجبرهم على المعاصي وأرادها منهم كما زعم الزاعمون ؟ وهو القائل في كتابه الكريم « وما الله يريد ظلما للعباد — وماربك بظلام للعبيد — قل الحق من ربك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها » أم كيف يرضى الكفر ويأمر بالفحشاء وهو القائل « ان الله لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر » ؟؟!

حاشا وكلا أن يكون إلهنا ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

وكما لا جبر عند الله تعالى كذلك لا تفويض بل الأمر بين بين

وما ينسب إلى بعض منتحلي التشيع (من ان الله فوض الأمور إلى الأئمة من أهل البيت) تبرأ منه الشيعة ولا تقول به لأنهم لا يرون أئمتهم إلا من عباد الله المخلصين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون

وعند الشيعة ان كل من قال أو يقول بالتفويض أو يجعل لأي مخلوق صفة من صفات الخالق الخاصة به فهو خارج عن ملة الإسلام (١)

وهناك امور كثيرة يعتقد الشيعة وجوبها ويفعلونها منذ تكونوا إلى اليوم اليك أهمها وهي خمسة : الصوم ، والصلاة ، والحج ، والزكاة ، والجهاد في سبيل الله ، وهي المعبر عنها — عندهم — بفروع الدين . أما « الصوم » فهو عندهم أربعة أقسام : واجب ، ومستحب ، وحرام ، ومكروه ، ولا يجب

---

(١) ملخص عن كتاب «شرح التجريد» العلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٨ ومختصر تاريخ الشيعة — وأصل الشيعة واصولها — وإنقاذ البشر — للشريف المرتضى سنة ٤٣٦

الصوم المفروض في شهر رمضان حتى يشاهد هلاله أو يثبت بشهادة عـدلين أو بالشياع ، كما لا يجوز الإفطار — عندهم — حتى يرى هلال شوال أو يثبت بالشهادة أو بالشياع .

فمن الخطأ الفادح ما في دائرة المعارف الانكليزية « من ان الشيعة يوجبون الصوم بالعدد ويجوزون الإفطار بالعدد ولا يشترطون رؤية الهلال »

وأما « الصلاة » فقسمان : واجب ، ومستحب ويعبر عنه بالنوافل ، وقد تعرض الحرمة والكراهة على الصلاة من حيث المكان واللباس .

و « الحج » قسمان ايضاً واجب ومستحب وقد يحرم إذا ظن المرء تلف نفسه أو عرضه أو ماله في الطريق أو غيره ولا يجوز الحج إلى غير مكة المكرمة ولا غنى لهم عن بيت الله الحرام كما افترى عليهم الرحالة المصري (ص ٢٠٠) من جولته في ربوع الشرق الأدنى : ولا يتم حجهم إلى مكة إلا بتأدية المناسك على الوجه الكامل في بيت الله الحرام ، وفي المواقيت ومنى وعرفة والمشعر

و « الزكاة » قسمان : واجب في ثلاثة أنواع (١) الأنعام الثلاثة (٢) والغلات الاربع الحنطة والشعير والتمر والزبيب (٣) والنقدين من الذهب والفضة — ومستحب — في غير هذه الأنواع

و « الجهاد » واجب في سبيل الله وحماية بيضة الإسلام : وجهاد النفس الأمارة من اعظم الجهاد وأعودها نفعاً للفرد وللمجتمع البشري وهو داخل ضمن الجهاد في سبيل الله بلا ريب . لأن من جاهد نفسه ووطنها على فعل الخيرات والإبتعاد عن الشرور والمعاصي كان عمله أنفع من سل الحسام في حرب المشركين : وهل أشرك المشركون إلا من إهمال هذا الجهاد للنفس؟ وتغليب الهوى على العقل ؟

ويلي هذه الفروع في الأهمية فرض الخمس (١) « واعلموا ان ما غنمتم

---

(١) قال الامام الشافعي ص٦٩ من كتابه «الأم» فأما آل محمد الذين جعل لهم

من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى الخ » والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المفلحون » ولهما كما لغيرهما من الأحكام شروط كثيرة وبحوث دقيقة مبسوطة في الكتب الاجتهادية لفقه الشيعة وهي مطبوعة منتشرة في بلادهم وغيرها فليطلبها من يريد الاطلاع والكتابة عنهم بعلم وإنصاف



الخمس عوضا عن الصدقة فلا يعطون من الصدقات المفروضات شيئا . . ولا يحل لهم اخذها . . وليس منعهم حقهم في الخمس يحل لهم ما حرم عليهم من الصدقة وأبان ابن حجر ص ٨٨ من صواعقه علة تحريم الصدقة على آل محمد (ص) فقال «ومن تطهيرهم تحريم صدقة الفرض بل والنفل — على قول مالك — عليهم لأنها اوساخ الناس مع كونها تنبيء عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه • وعوضوا عنها خمس الخمس المنبيء عن عز الآخذ وذل المأخوذ منه وفي تفسير الطبري «عن مجاهد : قد علم الله ان في بني هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة»

الفصل الثاني

الطوائف المتشعبة من الشيعة وكيف تشعبت (*)

١ تمهيد ٢ السبائية والخوارج ٣ دسائس الخوارج وتخاذل الشيعة ٤ الكيسانية ٥ الزيدية ٦ كيف ظهر الزنادقة والغلاة في عهد الصادق ٧ الاسماعيلية ٨ الفطحية ٩ الواقفية ١٠ القطعية ١١ النصيرية ١٢ حال الشيعة بعد ذلك ١٣ ما هي الاسباب في تشعب تلك الطوائف

تمهيد

كان الشيعة في بدء نشأتهم طائفة واحدة يعتقدون — جميعاً — أن الإمامة ليست من الأمور التي تفوض إلى نظر الأمة واختيارها (١) بل لا بد فيها من النص على الإمام الذي يكون خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه ونائباً عاماً عنه في تنفيذ الأحكام وإدارة شؤون المسلمين. ولا يجوزون اهمال مثل هذا المنصب الخطير. لأن ذلك مما يوجب الهرج والمرج والفوضى بين الامة التي تريد أن تعين صاحب هذا المنصب الخطير باختيارها وحسب أهوائها المختلفة وأنظارها المتباينة.

وحاشا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — وهو الذي علم قرب أجله وتباين أمته في

(*) نشر مختصرا في المجلد ٣٦ في مجلة العرفان الغراء.

(١) ذلك انه لولا الاعتقاد بتفويض امر الإمامة إلى اختيار الامة لما تسابق المهاجرون والانصار الى «السقيفة» ولولا اختلاف الاهواء والأنظار لما حصل ذلك التخاصم العظيم يومئذ حتى وطئ صدر زعيم الانصار وهو مريض: ولما حصل ذلك الهرج الذي لو لم يتداركه علي بتغاضيه ونصحه وابو بكر بحزمه وحسن سيرته لقضي على الاسلام في مهده ونال اهل الردة ما يريدون والمؤلفة قلوبهم ما يبتغون ولما ظهر دين الحق ولو كره الكافرون:

الآراء — ان يدعها فوضى تسارع كل قبيلة إلى تنصيب زعيمها ذلك المنصب العظيم أشرف منصب في الإسلام ، حاشاه من أن يهمل هذا الأمر الخطير وهو الذي كان إذا غاب عن المدينة أياماً قليلة لا يدعها بغير نائب عنه من خيرة أصحابه ؟ أو يهمل أمر الوصية وتعيين الوصي وهو الذي كان يأمر المسلمين وهم أحياء أصحاء لا يعلمون قرب آجالهم — أن يوصوا ويعينوا وصياً . لهذا وغيره قال الشيعة بوجوب النص على الإمام وتعيينه وقالوا— كما تقدم في الفصل الأول — ان النبي ﷺ عين امير المؤمنين (ع) إماماً ووصياً وخليفة واستدلوا على قولهم بأخبار إخوانهم من أهل السنة ودونوها في كتبهم الخاصة بالإمامة وفي غيرها وقد اثبتنا لك — قبل — طرفاً منها . واليك هذا الخبر الصحيح الصريح

« عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ ألا أدلكم على ما إن تساءلتم عنه لم تهلكوا ان وليكم الله وان امامكم علي بن ابي طالب فناصحوه وصدقوه فإن جبريل أخبرني بذلك (١) استمر الشيعة على هذا القول في الإمامة ولم تعرض لهم فيه أي شبهة ولم تشبه أي شائبة إلى أيام

ظهور السبائية وخروج الخوارج

ظهرت بدعة السبائية في الغلو على عهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) عندما « مر بقوم وهم يأكلون في شهر رمضان نهاراً فقال لهم— أسفر أنتم أم مرضى ؟ قالوا لا ولا واحدة منها قال فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية ؟ قالوا لا قال فما بال الأكل نهاراً في رمضان ؟ فقالوا له أنت أنت يومئون إلى ربوبيته . فاستتابهم واستأنى وتوعدهم فأقاموا على قولهم ، فحفر لهم حفراً دخن عليهم فيها طمعاً في رجوعهم ، فأبوا فحرقهم وقال — ألا تروني قد حفرت حفراً

---

(١) ج ١ ص ٢٥٥ من شرح النهج المعتزلي

إني إذا رأيت شيئاً منكرا أوقدت ناري ودعوت قنبرا

فلم يبرح عليه السلام من مكانه حتى صاروا حمماً. ثم استترت هذه المقالة سنة أو نحوها ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهودياً يتستر بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين (ع) فأظهرها واتبعه قوم فسموا السابئة، وقالوا إن علياً لم يمت وقالوا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أغلظ قول (١)

فأنت ترى أن (السبائية) بعيدون — بأقوالهم هذه وغيرها — عن التشيع الحق كل البعد. فمن الظلم والخطأ الفاحش أن ينسبوا إلى الشيعة وأن يقال « وفي التشيع ظهرت اليهودية الخ » وسترى لذلك مزيد بيان في فصل الغلاة

وبعد انسلاخ هذه الفئة عن الشيعة والإسلام — انسلخ عنهما في «صفين» فئة أخرى سميت « الخوارج » (٢) لأنها كانت في جند علي (ع) فخرجت

---

(١) ج ٢ ص ٣٠٩ من شرح النهج (٢) لقد توسع الشهرستاني (ج ١ ص ١٠٥ من ملله) في اطلاق اسم الخوارج حيث قال يطلق على كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة سواء كان خروجه في ايام الصحابة على الراشدين او كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان ثم قال — وان اول من خرج على امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين واشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين الاشعث بن قيس ومسعود بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي. وبعد ان ذكر تفرق الخوارج الى ٢٧ فرقة قال — وكبار فرق الخوارج ستة — الازارقة والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والأباضية، والثعالبة، والباقون فروعهم. ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك واول فرق الخوارج هم الذين خرجوا على امير المؤمنين عليه السلام حين جرى امر الحكمين واجتمعوا بحروراء في ناحية الكوفة ورئيسهم عبدالله بن الكوا، وعتاب بن الأعور، وعبد الله الراسبي، وعروة بن جبير وحرقوص بن وهب المعروف بذي الثدية، وهم المارقون الذين قال فيهم (ص) سيخرج من ضئضئي هذا الرجل (ذي الخويصرة) قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية — ويسمون المحكمة — والحرورية لتحكيمهم اولا ثم عدولهم وخروجهم لحروراء. انتهى ملخص كلامه ويؤاخذ بعدم انطباق رأيه على المعروف من انحصار اسم

عن طاعته وخالفته في استمرار الجهاد حينما لجأ معاوية إلى مكيدة رفع المصاحف وحينما رفرف النصر على لواء الأشتر قائد الجيش العلوي وكاد — لو أمهلوه عدوة فرس — أن يأخذ برقاب الجيش السفياني.

وعلى الرغم من نصحه عليه السلام لهذه الفئة الخارجة وبيانه وجه الخدعة المقصودة من رفع المصاحف وتحذيره إياهم من هذه المكيدة المدبرة بقوله «أيها الناس إني أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن (القوم) ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم صحبتهم صغاراً ورجالا فكانوا شر صغار وشر رجال، ويحكم انها كلمة حق يراد بها باطل، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا (١)» على الرغم من ذلك كله قد أصرت على ضلالها ونادت بالموادعة كما أصر السبائية على ضلالهم وفيها يقول الشهرستاني «ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيهم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال (٢)».

ومن غرائب أمر هذه الفئة انها مثلما أصرت على علي (ع) بقبول التحكيم أولا وشهرت السيوف فوق رأسه الشريف، وألجأته إلى إرجاع قائده الاشتر (٣)

الخوارج بذرية ذي الخويصرة واتباعهم والا فعلى رأيه ينبغي ان يكون اول الخوارج هم الصحابة والمصريون الذين ألبوا على عثمان وقتلوه ثم طلحة والزبير ومن ساعدهما على حرب علي يوم الجمل بعد عقدهما البيعة له

(١) ج ١ ص ١٨٦ من شرح النهج (٢) ج ١ ص ١١ من ملله ونحله

(٣) قال حسن السندوبي ج ٢ ص ٦٠ من البيان والتبيين على الحاشية هو «مالك بن الحارث الاشتر النخعي. كان من شجعان العرب وابطال الإسلام وفرسان الدنيا وكان شاعرا مجيدا وخطيبا بليغا وقائدا مدبرا وكان من قواد الجيوش مع علي بن ابي طالب وشهد معه وقائعه في الجمل وصفين وكان يلي الجزيرة له وهو الذي كشف جيوش معاوية عن الماء في صفين وقتل من قواده وصناديد اجناده سبعة في يوم واحد وقد بارز عبد الله بن الزبير يوم الجمل وصرعه مع شيخوخته وطيه ثلاثة ايام لم يطعم فيها شيئا ومع شباب ابن الزبير وفتائه وقوته وكان عبد الله يصيح اقتلوني ومالكا وفي ذلك

من ساحة الحرب ، واضطرته إلى إظهار قبول التحكيم — أصرت على انكار التحكيم أخيراً أشد إصرار « ونادت من كل جهة ومن كل ناحيـة لا حكم إلا لله يا علي ، لا نرضى بأن يحكم الرجال في دين الله (١) »

ثم خرجت بعد مدة عليه « بالنهروان » واعتدت على الصحابي الجليل عبدالله ابن خباب بن الارت لأنه أثنى على علي « فقتلوه وقتلوا أم ولده وشقوا عما في بطنها من حمل فأخبر علي بما صنعوا فقال الله اكبر (٢) ثم حمل عليهم وكانوا أربعة آلاف فقتلهم أجمع ولم يبق منهم سوى ثمانية أو تسعة فانهزم اثنان منهم إلى عمان ، واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان ، واثنان إلى الجزيرة ، وواحد إلى تل موزون باليمن ، وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع منهم وبقيت إلى اليوم (٣) »

وكان من جملة الخوارج المقتولين في النهروان ذو الثدية الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان حكم بمروقهم من الدين — « وآيتهم رجل أسود

يقول الاشتر لعائشة أم المؤمنين صاحبة الجمل

أعائش لولا انني كنت طاويا ... ثلاثا لألفيت ابن اختك هالكا

غداة ينادي والرجال تجوزه ... بأضعف صوت اقتلوني ومالكا

ولما انتهى امر صفين والحكمين ولاه علي مصر واعطاه دستورا للحكم هو من ابلغ ما وضع في اساليب الحكم . وكان معاوية لما بلغه توليته على مصر اضطرب وخاف إن تمكن منها حال بينه وبين مطامعه فيها فأعدله من يسقيه السم في طريقه اليها فكان ما كان ومات رحمه الله (سنة ٣٨ هـ) مسموما بالقلزم قبل دخوله مصر» وقال ابن ابي الحديد ج ١ ص ١٨٥ من شرح النهج «لله ام قامت عن الاشتر لو ان انسانا يقسم ان الله تعالى ماخلق في العرب ولا في العجم أشجع منه إلا استاذه عليه السلام لما خشيت عليه الاثم ولله در القائل عن الاشتر ما اقول في رجل هزمت حياته اهل الشام وهزم موته اهل العراق وبحق ما قاله فيه امير المؤمنين (ع) كان الاشتر لي كما كنت لرسول الله (ص) »

(١) ج ١ ص ١٩٣ من شرح النهج (٢) ج ١ ص ٢٠٥ من تاريخ الخطيب البغدادي

(٣) ج ١ ص ٦٧ من ملل الشهرستاني

في إحدى يديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردراً (١) »

ولنبحث الآن عما حدث بعد ذلك من

دسائس الخوارج وتخاذل الشيعة وما نالهم من البلاء

كان المترقب بعد خذلان الخوارج وانتصار امير المؤمنين (ع) ذلك الانتصار الباهر في النهروان – ان تقوى شوكة الشيعة ويزداد إتحادهم ويشتد نشاطهم وتطمح آمالهم الى الكرة – ثانياً – على « صفين » ولكن الأمر كان على عكس ما ترقب من جراء الدسائس الخبيثة التي كان يلقيها فيما بينهم فلول الخوارج الذين اظهروا الطاعة وكتموا العصيان ، وافراد من عثمانية البصرة والكوفة المستترين في عثمانيتهم .

فالخوارج – وهم حديثو عهد بقتلى النهروان لم تزل مصارعهم نصب أعينهم – كانوا يثبطون الناس كرهاً بعلي وانتقاماً منه – حتى انه لما خطب بالنخيلة « قام اليه رجل منهم فقال ما أحوج امير المؤمنين اليوم الى أصحاب النهروان ، ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغطوا (٢) »

وخطب يوماً فقال « اذا نظر احدكم الى امرأة تعجبه فليمس أهله فانما هي امرأة كامرأة فقال رجل من الخوارج : قاتله الله كافراً ما أفقهه ، فوثب القوم ليقتلوه فقال (ع) ، رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب (٣) »

---

(١) ج ١ ص ٣٩٣ من صحيح مسلم وذكر نحو ذلك ابن ابي الحديد (ج ١ ص ٢٠٢ من شرحه) وروى هناك عن مسند احمد بن حنبل عن مسروق « قال قلت لعائشة سألتك بصاحب هذا القبر ما الذي سمعت منه (ص) في الخوارج فقالت نعم سمعته يقول إنهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة » وروى الخطيب البغدادي ايضاً ج ١ صفحة ١٦٠ من تاريخ بغداد « عن عائشة قالت : سمعت النبي (ص) يقول تمرق فرقة محلقون رؤوسهم محفون شواربهم يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يقتلهم احبهم إلي واحبهم إلى الله تعالى »

(٢) ج ١ ص ١٤٦ من شرح النهج (٣) مجلد ٤ ص ٤٧٠ من الشرح

والعثمانية ـ كانوا يفعلون كذلك حباً بمعاوية وحذراً من انتصار علي عليه ، «وكان بعض العثمانية — وهم في جند علي (ع) — يتجسسون الاخبار لمعاوية وكان أبو بردة بن عوف الازدي يكاتب معاوية من الكوفة ، فلما ظهر معاوية اقطعه قطيعة بالفلوجة وكان كريماً عليه (١) »

وقد اختلفت اساليب التثبيط فتارة يقولون « نفدت نبالنا و كلت سيوفنا(٢)» وأخرى « يقولون إذا أمرهم بالسير الى أهل الشام في ايام الحر هذه حمارة القيظ امهلنا حتى ينسلخ عنا الحر ، واذا أمرهم بالسير في الشتاء قالوا هذه صبارة القر أمهلنا حتى ينسلخ عنا البرد (٣) »

وبطبيعة الحال كانت هذه الالفاظ المخنثة تؤثر على البسطاء والكسالى من الشيعة فتدفعهم الى النداء مع القوم « نفدت نبالنا وكلت سيوفنا يا امير المؤمنين »

ولقد حاول عليه السلام مراراً أن يحفزهم إلى الجهاد ويقنعهم بضرر تأخيره على دينهم ودنياهم فما استطاع ـ وهو إمام البلغاء وخطيب الاسلام المصقع غير مدافع ـ ولما سأم عتابهم عدل الى تقريعهم والتأفف منهم بمثل قوله « يا اشباه الرجال ولا رجال قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم

---

(١) مجلد ١ ص١٨٥ و ص٢٥٧ من الشرح (٢) قال الدينوري ص٢١٣ من اخباره الطوال «لما اراد علي الانصراف من النهروان قام في اصحابه فقال : ايها الناس ان الله قد نصركم على المارقين فتوجهوا من فوركم هذا إلى القاسطين فقام اليه رجال فيهم الاشعث بن قيس فقالوا يا امير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا» وقال الخطيب البغدادي «إن القائل نفدت نبالنا الخ هو الاشعث بن قيس فركن الناس إلى قوله — انظر مجلد ١ صفحة ١٩٨ من تاريخ بغداد وانظر مجلد ١ صفحة ٩٠ من تهذيب الكامل للمبرد ومجلد ٢ صفحة ٤٣ من شرح النهج تر أن الاشعث هذا من اشد الخوارج واكبرهم كيدا وكان له يد طولى في اغتيال علي (ع)» (٣) مجلد ١ صفحة ١٢ من تهذيب الكامل وصفحة ٢١٥ من الاخبار الطوال

صدري غيظاً ، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان (١) »

« أف لكم لقد سئمت عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ، وبالذل من العز خلفاً ، إذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة (٢) »

« لوددت ان معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم (٣) »

ولا ريب انه عليه السلام لم يقصد بذلك جميع جنده لانه كان يعلم ما فيه من خلص الاصحاب وخيار الشيعة ، ويعتقد بطاعتهم وإخلاصهم ، وانهم لا يخالفونه

لو امرهم — وحدهم — بالجهاد ، وإنما المقصود من كان في جنده من الخليط والبسطاء الذين خدعوا بدسائس الخوارج وكلماتهم المثبطة

ما اكتفى الخوارج بالتثبيط ولا شفى غليلهم نجاحهم فيه ، بل راحوا يتآمرون سراً على اغتيال امير المؤمنين (ع) ، وبعد برهة من الزمن انتدبوا عبد الرحمن بن ملجم المرادي . فاغتال بطل الاسلام

وقالع الباب الذي عن رده   عجزت أكف أربعون وأربع

وقبل وفاته (ع) « اوصى بالإمامة إلى ولده الحسن بن رسول الله ﷺ وسليله وشبيهه في خلقه وهديه ، فبايعت الشيعة كلها ، وتوقف اناس ممن كان يرى رأي العثمانية ولم يظهروا انفسهم بذلك وهربوا الى معاوية (٤) »

وبعد أن بويع الحسن (ع) خرج الى حرب معاوية ، ولكن الخوارج الذين كانوا متسترين في جيشه أرادوا أن يمثلوا معه الرواية التي مثلوها مع

---

(١) مجلد ١ صفحة ١٦١ من شرح النهج وصفحة ٢١٥ من الاخبار الطوال

(٢) مجلد ١ صفحة ١٧٧ من الشرح (٣) مجلد ٢ صفحة ١٨٣ من الشرح

(٤) جزء ١١ صفحة ١١٦ من الاغاني لابي الفرج

ابيه من التثبيط والاغتيال ، أما التثبيط فقد تم لهم يومئذ حتى تفرق (من جراء الدسائس) جند الحسن وشد بعضهم على فسطاطه فانتهبوه .

وأما الاغتيال فلم يتم لهم بل سلم عليه السلام من كيدهم « وقتل من طعنه في فخذه بمظلم ساباط بعد ان قال له أشركت يا حسن كما أشرك ابوك (١) »

وبعد هذه الواقعة اضطر الحسن الى موادعة معاوية على شروط قبلها معاوية ولكنه لم يف بها بل قال « كل شيء اعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به (٢) »

وبعد الموادعة سار الحسن الى المدينة فأقام فيها ما يقرب من تسع سنين . واخيراً كان موته فيها مسموماً بيد جعدة بنت الأشعث بن قيس كبير الخوارج ، وبتحريض من معاوية حتى جعل لها على سمه مائة الف درهم وزواج ابنه يزيد ؟!

ولما علم عليه السلام بدنو أجله نص على إمامة أخيه الحسين (ع) فبايعه جميع الشيعة سراً خشية من السلطان . وعلى الرغم من تكتمهم في هذه البيعة وفي الحب والموالاة . قد نالوا انواع الظلم وصنوف العذاب . « وكان اشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة فاستعمل عليهم زياد بن سمية (٣)

وظم اليه البصرة فكان يتتبع الشيعة — وهو بهم عارف لانه كان منهم ايام علي (ع) — فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، واخافهم وشردهم ، وقطع الايدي والارجل وسمل العيون ، وجعلهم على جذوع النخل فلم يبق منهم بها

---

(١) ص٢١٩ من الاخبار الطوال وص١٠٠ من كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي

(٢) مجلد٤ صفحة ١٥ من شرح النهج وصفحة ٤٨ من مقاتل الطالبيين

(٣) وزياد هذا هو الذي قال للحسن (ع) وان احب الناس الي لحماً أن آكله للحم انت منه — مجلد٤ صفحة ٧ من

معروف . وكتب معاوية الى جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي واهل بيته شهادة (١) »

« وكتب ايضاً الى عماله في جميع البلدان : أنظروا إلى من أقامت عليه البينة انه يحب علياً واهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاؤه ورزقه ، وكتب نسخة اخرى ــ ومن اتهمتموه بموالاة القوم فنكلوا به واهدموا داره (٢) »

ولقد« استخلف زياد على البصرة ، سمرة بن جندب فحذي حذوه في سفك الدماء (٣) ولما هلك زياد سنة ٥٣ هـ تنفس الشيعة قليلا ، وتراجعوا نحو الكوفة ، ولما مات معاوية سنة ٦٠ هـ وقام ابنه يزيد تظاهرت الشيعة ونادت باسم الحسين بن علي (ع) وكاتبه أهل الكوفة « انه ليس علينا إمام فاقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى والحق (٤) » وما قدم عليهم وحل بقربهم حتى خذله أكثرهم وحاربوه وقتلوه

« قتلوه بعد علم منهم انه خامس أصحاب الكسا »

وكان قتله بأمر يزيد بن معاوية ــ كما سننبئه ــ وبإمرة بن مرجانة عبيد الله بن زياد وقيادة بقايا العثمانية والخوارج كعمر بن سعد والحصين بن نمير ، وسمرة بن جندب (٥) ومحمد بن الأشعث وأخيه قيس الخارجيين

---

(١) مجلد٣ صفحة ١٥ من شرح النهج (٢) مجلد ٣ صفحة ١٦ من شرح النهج

(٣) مجلد ١ صفحة ١٨٥ من تاريخ ابي الفداء (٤) مجلد ٤ صفحة ٨ من تاريخ ابن الاثير (٥) وسمرة هذا هو الذي بذل له معاوية مائة ألف درهم حتى يروى ان هذه الآية نزلت في علي وهي ــ ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل . وأن الآية الثانية وهي ــ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ــ نزلت في ابن ملجم فلم يقبل سمرة بذلك فبذل له معاوية مائتين الف درهم فلم يقبل فبذل له اربعمائة ألف درهم فقبل سمرة وروى الآيتين . ولا غرو فهو الذي خالف رسول (ص) لما امره بقلع نخلة كانت لسمرة في دار رجل من الانصار وهو الذي كان

وقد ندم (١) كثير من أهل الكوفة الذين تخاذلوا عن نصرة الحسين «ورأوا أن لا يغسل عارهم والإثم عليهم إلا قتل من قتل الحسين، فاجتمعوا بالكوفة إلى خمسة من رؤساء الشيعة أجلهم سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة مع رسول الله ﷺ فخرجوا (سنة ٦٥ هـ) فقتلوا (٢)». ثم قام من بعدهم المختار بن عبيد الثقفي وجرى على يده (سنة ٦٦) القصاص الإلهي من قاتلي سبط رسوله وريحانته.

على شرطة عبيد الله بن زياد يحرض الناس على الخروج لقتال الحسين بن رسول الله (ص) انظر مجلد ١ صفحة ٣٦١ وصفحة ٣٦٣ من شرح النهج للمعتزلي

(١) ممن ندم على تخاذله عن نصرة الحسين عبيد الله بن الحر الجعفي وثار على ابن زياد واظهر ندمه بقوله

فيالك حسرة ما دمت حيا ... تردد بين حلقي والتراقي
حسين حين يطلب بذل نصري ... على اهل المداوة والشقاق
فما انسى غداة يقول حزنا ... أتتركني وتزمع لانطلاق
فلو فلق التلهف قلب حي ... لهم القلب مني بانفلاق

ويقول ايضا من جملة ابيات

فياندمي ان لا اكون نصرته ... ألا كل نفس — لا تسدد — نادمه

انظر صفحة ٢٥٨ من الاخبار الطوال ومجلد ٤ صفحة ١١٢ من ابن الاثير

(٢) مجلد ٤ ص ٦٣ من تاريخ ابن الاثير — وقال الخطيب البغدادي مجلد ١ ص ٢٠٠ من تاريخ بغداد «وسليمان بن صرد الخزاعي أمير التوابين ويكنى ابا المطرف صحب النبي (ص) وكان اسمه يسارا فسماه الرسول سليمان، وكان له سن عالية وشرف في قومه. ونزل الكوفة حين نزلها المسلمون وشهد مع علي صفين وكان فيمن كتب إلى الحسين بن علي عليهما السلام يسأله قدوم الكوفة فلما قدمها ترك القتال معه فلما قتل الحسين ندم هو والمسيب بن نجبة الفزاري وجميع من خذله ولم يقاتل معه. ثم قالوا — ما لنا توبة مما فعلنا إلا ان نقتل انفسنا في الطلب بدمه فعسكروا بالنخيلة مستهل شهر ربيع الآخر سنة ٦٥ وولوا أمرهم سليمان بن صرد الخزاعي وخرجوا إلى الشام في الطلب بدم الحسين فسموا التوابين وكانوا أربعة آلاف رجل فقتل سليمان في هذه الوقعة بعين الوردة بالجزيرة رماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله وحمل رأسه إلى مروان بن الحكم»

الكيسانية وخروجهم عن التشيع

علمت ان المختار قد نهض في الكوفة وأخذ بثأر الحسين وقتل قاتليه سوى عبيد الله بن زياد فإن الذي قتله ابراهيم بن الاشتر النخعي قتله سنة ٦٧ هـ وفي هذه السنة قُتل المختار قتله مصعب بن الزبير بن العوام.

ولكن بقي علينا أن نعلم هل كان نهوض المختار بدافع ديني أو دنيوي؟ فذلك مما لا نستطيع الجزم به في هذه العجالة. لأن الأخبار قد اختلفت كثيراً في أمر المختار فبعضها يدل على تشيعه لعلي بن الحسين (ع) وحسن عقيدته وتدينه وبعض آخر يدل على دعوته لمحمد بن الحنفية المتوفى سنة ٨١ هـ وانه ابتدع عقائد فاسدة تبرأ منه محمد لأجلها ولعنه، ومع ذلك فلا يسعنا الا ان نكبر اقتصاصه من قاتلي الحسين (ع) فإنه يرضي الله سبحانه ورسوله والمؤمنين ولا يضرنا أكانت نيته خالصة في ذلك لله تعالى أم كانت لنيل الرئاسة كما يقال

وقد اتبعه فئة من الناس تطورت عقائدهم بعده تطوراً شائناً تفردوا فيها عن الشيعة وخرجوا بها عن التشيع الحق — كما سترى — واطلق عليهم اسم « الكيسانية » نسبة إلى كيسان مولى محمد بن الحنفية (رض) وقيل لأن المختار كان لقبه كيسانا وقد يكونوا سموا بذلك — وهو الأقرب — لأن رئيس شرطة المختار كان اسمه كيسانا « وكان يعرف أيضاً بأبي عمرة وكان جباراً مغرماً بتخريب الدور يهدم الدار بلحظة وكان عند الناس رمز الإفقار فيقولون لمن افتقر — قد جاوره ابو عمرة — (١) »

وعلى كل فقد ظهر مذهب الكيسانية — على الارجح — بعد شهادة الحسين السبط بست سنين وقولهم بإمامة محمد بن الحنفية كان في ذلك الوقت أيضاً لا بعد وفاة علي (ع) بلا فصل كما يظهر من قول الشهرستاني « ومن قال ان الإمامة تثبت بالنص اختلفوا بعد علي عليه السلام فمنهم من قال انما نص

---

(١) بتلخيص من صفحة ٢٨٢ وصفحة ٢٨٦ من الاخبار الطوال

على ابنه محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الكيسانية (١) »

وقد خالفه ابن خلدون فقال « ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه السبطين على اختلافهم في ذلك إلى أخيهما محمد بن الحنفية ثم إلى ولده أبي هاشم وهم الكيسانية (٢) »

ويقول الشهرستاني « واختلف بعد ابي هاشم (٣) شيعته خمس فرق منها فرقة قالت إن ابا هاشم أوصي إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وان الإمامة خرجت من بني هاشم إلى عبد الله هذا وتحولت روح ابي هاشم اليه والرجل ما كان يرجع إلى علم وديانة فاطلع بعض القوم على خيانته وكذبه فأعرضوا عنه وقالوا بإمامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب . ولما هلك عبد الله بخراسان (٤) افترقت اصحابه فمنهم من قال إنه حيٌّ بعد لم يمت ومنهم من قال مات وتحولت روحه الى إسحاق بن زيد بن الحارث الانصاري ، وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ويعيشون عيش

---

(١) ج ١ ص ١٣ من ملله (٢) ص ١٣٩ من مقدمته (٣) كان اسمه عبد الله بن محمد « توفي سنة ٩٩ هـ من سم سقيه بعد عودته من الشام . وضع عليه سليمان بن عبد الملك من سقاه فلما أحس ابو هاشم بذلك عاد إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو بالحميمة فعرفه حاله ، وأعلمه ان الخلافة صائرة إلى ولده ، واعلمه كيف يصنع ثم مات عنده — ج ٥ ص ١٧ من ابن الاثير » (٤) « خرج عبد الله هذا بالكوفة سنة ١٢٧ هـ فأرسل اليه مروان الحمار من يقاتله فانهزم عبد الله قاصدا إلى خراسان طمعا بأبي مسلم الخراساني ، فلما علم ابو مسلم به أمر بن الهيثم بالقبض عليه فقبضه وقتله — ج ١ ص ٨٠ من تاريخ دول الإسلام لمنقريوش الصرفي) ولكن ابا الفرج يقول جزء ١١ ص ٧٠ من الاغاني — خرج عبد الله هذا في ايام يزيد بن الوليد فاجتمع اليه أهل الكوفة ثم تفرقوا عنه ، ففر إلى إصبهان ، ولما أقام بها كتب يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد (ص) فقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور فلم يزل مقيما فيها حتى ولي مروان الحمار فوجه اليه عامر بن ضبارة فخرج عبد الله واخوته قاصدين إلى خراسان وقد ظهر ابو مسلم بها ، فأخذه أبو مسلم وحبسه ثم أمضي تدبيره في قتله ، وقال آخرون انه دس اليه سما فمات منه ووجه برأسه إلى ابن ضبارة فحمله إلى مروان »

من لا تكليف عليه (١) »

ويقول ابن خلدون « ان فرقة من الكيسانية زعمت أن أبا هاشم لما مات أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد إلى إبنه ابراهيم وانتقلت في ولده واحداً بعد واحد إلى آخرهم . وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بني العباس وكان منهم ابو مسلم الخراساني وسليمان بن كثير وابو سلمة وغيرهم من شيعة بني العباس (٢) »

فأنت ترى ان الكيسانية (٣) قد خالفوا الشيعة في أصول الإمامة ، لأنهم أخرجوها من بني علي الى بني العباس ، وإلى ابن الكندي ، وابن الحارث ، كما خالفوهم بتلك المقالات الخاطئة المنافية للتشيع الإسلامي النزيه ، كالقول بإباحة المحرمات التي قال بها الحارثية من الكيسانية وكالقول بالتناسخ وتحول الارواح من شخص الى آخر ، وقد انصف ابن خلدون حيث جعل الكيسانية القائمين بدولة بني العباس من شيعة العباسية لا من الشيعة العلوية القائلين بامامة زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ذاك الامام العظيم الذي لم يعترف الكيسانية بإمامته « وهو الذي خلف اباه علماً وزهادة

---

(١) ج ١ ص ٨٥ من ملله وقد اطلق ابن أبي الحديد على الحارثية إسم الاسحاقية وذكر لهم مقالات فاسدة زيادة على ما ذكره الشهرستاني انظر ج ٢ ص ٣٠٥ من الشرح للنهج (٢) ص ١٦٠ من مقدمته وما ذكرناه في ترجمة ابي هاشم يؤيد زعم هذه الفرقة وهي موافقة لمذهب « الرازمية » تماما ولكن البنانية يخالفون الجميع لأنهم نقلوا الإمامة رأسا من ابي هاشم إلى زعيمهم بنان بن سمعان (٣) لقد كان السيد الحميري الشاعر الكبير كيسانيا في بدء أمره ولكنه تاب أخيرا وعدل عن القول بإمامة ابن الحنفية والاعتقاد بأنه حي لم يمت وانه في جبل رضوى ، وكتب قبل موته إلى الصادق يعلمه بتوبته ويسأله الدعاء فدعا له الصادق وترحم عليه . انظر جزء ٧ ص ٢٣ من الاغاني لأبي الفرج وص ٣٠٠ من ارشاد المفيد وص ١٦٠ و ١٣١ من منهج المقال الذي ذكر له فيها قصيدة أولها

ولما رأيت الناس في الدين قد غووا   تجعفرت باسم الله والله أكبر

وعبادة (١) » « وفضائله ومناقبه أكثر من أن تحصر وقال الزهري عنه ما رأيت قرشيا افضل منه (٢) »

« توفى زين العابدين وعمره سبع وخمسون سنة ، وقيل سمه الوليد بن عبد الملك عن احدى عشر ذكراً واربع أناث ، وارثه منهم عبادة ، وعلماً وزهادة أبو جعفر محمد الباقر ، سمى بذلك من بقر الارض أى شقها وأثار مخبآتها ومكامنها ، فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف ، وحقائق الاحكام والحكم واللطائف ، ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة ، أو فاسد الطوية والسريرة ، ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر علمه ورافعه .. صفا قلبه ، وزكا علمه ، وطهرت نفسه وشرف خلقه ، وعمرت أوقاته بطاعة الله ، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين ، وله كلمات مأثورة في السلوك والمعارف لا تتحملها هذه العجالة (٣) » وروى إبن قتيبة « ان النبي ﷺ قال لجابر بن عبد الله . يا جابر انك ستعمر بعدي حتى يولد لي مولود اسمه كإسمي يبقر العلم بقراً فاذا لقيته فاقره مني السلام (٤) »

توفى الباقر بالمدينة سنة ١١٤ هـ أيام هشام بن عبد الملك ولكن ابن حجر يقول « انه توفى سنة ١١٧ هـ عن ثمان وخمسين سنة مسموماً كأبيه (؟) وهو علوي من جهة أبيه وأمه خلف ستة اولاد أفضلهم واكملهم جعفر الصادق ومن ثم كان خليفته ووصيه (٥) » وفى عهد الصادق (ع) كان ظهور

— ☼ الزيدية وأئمتهم وفرقهم ☼ —

وذلك سنة ١٢١ هـ وقيل سنة ١٢٢ هـ حيث نهض يومئذ زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام في الكوفة واتبعه جماعة من اهلها ونهضوا معه ، ثم رفضه بعضهم وخذله كما خذلوا جده الحسين ، فقيل — وقتئذ — لهؤلاء

---

(١) ص ١٢٣ من الصواعق (٢) ج ١ ص ٣٢١ من وفيات الاعيان

(٣) ص ١٢٣ من الصواعق (٤) مجلد ١ صفحة ٢١٢ من عيون الاخبار

(٥) صفحة ١٢٣ من الصواعق

« الرافضة » وللذين ثبتوا مع زيد « الزيدية » (١) وغلب إسم الزيدية على هذه الفرقة ولم يزل كذلك الى اليوم ·

وكان للزيدية أيمة كثيرون من بني الحسن والحسين عليهما السلام لانهم قالوا بإمامة كل من خرج بالسيف داعياً لإمامته من الفاطميين فاضلاً كان أو مفضولا · ولكن « اكثرهم قد عدل بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول (٢) » وهؤلاء هم الجارودية كما سترى قولهم ، وترى انهم يقولون بالنص على علي (ع) ولكنه بالوصف فقول ابن خلدون عن جميع الزيدية « بانهم ساقوا الامامة على مذهبهم وأنها باختيار اهل الحل والعقد لا بالنص (٣) » بعيد عن الواقع ·

وعلى كل حال فان الزيدية « قالوا بإمامة علي ثم إبنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه زين العابدين ، ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعيا الى الإمامة فقتل وصلب بالكناسة ، وقال الزيدية بإمامة ابنه يحيى من بعده فمضى إلى خراسان وقتل بالجوزجان (٤) بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط ، فخرج بالحجاز فقتل (٥) وعهد الى أخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد ، فوجه

---

(١) رأيت ان الرافضة والزيدية فرقتان متغايرتان ، ولكن ابن عبد ربه الأندلسي زعم ان الزيدية هم من الرافضة وزعم ان زيدا قتل بخراسان لا بالكوفة مع ان المقتول بخراسان هو يحيى بن زيد · قال الأندلسي « ج ١ ص ٣٥٢ من عقده الفريد - ومن الرافضة الزيدية وهم أصحاب زيد المقتول بخراسان »

(٢) أنظر صفحة ٨٩ مجلد ١ من ملل الشهرستاني (٣) صفحة ١٦١ من مقدمته

(٤) نهض يحيى سنة ١٢٥ هـ ضد الوليد بن يزيد بن عبد الملك وقتل بجوزجان قتله أميرها (٥) نهض محمد هذا بالحجاز ضد المنصور العباسي واستولى على المدينة وتبعه أهلها فأرسل اليه المنصور جيشا على رأسه ابن اخيه عيسى وجرى بينهم وبين محمد قتال عظيم قتل فيه محمد وجماعة من اصحابه واهل بيته في شهر رمضان سنة ١٤٥ هـ وكان سمينا اسمر شجاعا كثير الصوم والصلاة وكان يلقب بالنفس الزكية

اليهم المنصور عساكره فقتل ابراهيم (١) وعيسى ، وكان جعفر الصادق أخبرهم بذلك كله ، وهي معدودة في كراماته :

وذهب آخرون من الزيدية الى أن الإمام بعد يحيى هو أخوه عيسى ونقلوا الإمامة في عقبه وقال آخرون منهم ان الإمام بعد محمد بن عبد الله هو أخوه إدريس الذي فر الى المغرب ومات هناك ، وقام بأمره ابنه إدريس واختط مدينة فاس ، وكان عقبه ملوك المغرب ، وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان ، واخوه محمد ، ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الأطروش منهم وأسلموا على يده (٢) »

وكان لهم أئمة غير هؤلاء يطول المقام بتعدادهم وشرح مواقفهم (٣) وإمامهم في الحال هو الإمام يحيى بن حميد الدين من العلماء العظام والادباء المحافظين على الاسلوب العربي القديم ولد سنة ١٢٨٦ هـ وتولى الإمامة سنة ١٣٢٢ هـ أي سنة وفاة والده وأول عمل باشره ان استرجع صنعاء عاصمة

---

(١) قدم ابراهيم هذا البصرة ودعا الناس إلى اخيه محمد قبل ان يبلغه قتله بالمدينة فبايعه جماعة منهم واجابه جماعة كثيرة من اهل العلم حتى احصى ديوانه اربعة آلاف ولما استقرت البصرة لابراهيم ارسل جماعة فاستولوا على الاهواز ثم ارسل هارون العجلي في سبعة عشر الفا إلى واسط فملكها ثم سار ابراهيم من البصرة – وقد احصى ديوانه مائة الف – حتى نزل باخمرا فتحارب هو وعيسى بن موسى العباسي فهزمه ابراهيم ثم وقعت الهزيمة على اصحابه وبقي يقاتل وحده حتى قتل في ذي القعدة سنة ١٤٥ بتلخيص هو وما قبله من مجلد ٢ صفحة ٣ و٤ من تاريخ ابي الفداء

(٢) انظر ص ١٦١ من مقدمة ابن خلدون وانظر مقاتل الطالبيين لأبي الفرج تر تراجم كثير – غير هؤلاء – من ائمة الزيدية وخصوصا الناصر الاطروش فانه كان عالما جليلا وفارسا مدربا وشاعرا بليغا وقد استدل البحاثة صاحب « شهداء الفضيلة » على ان الناصر هذا مات شهيدا سنة ٣٠٤ هـ بآمل من اعمال طبرستان وهو ابن ٧٩ سنة وقبره هناك عليه قبة معروفة ، ومال إلى انـه اثني عشريا لا زيديا وفي ذلك نظر

(٣) ذكر صاحب مجلة العرفان جزء ٣ مجلد ٢٥ – ان عدد ائمة اليمن لعهد الامام يحيى الحالي نحو مائة وعشرة ائمة ولم يذكر اسماءهم روما للاختصار

اليمن من الاتراك واستقل باليمن فور الحرب العامة وجعلها دولة مستقلة قوية الإيمان عزيزة الجانب متحدة لم تؤثر فيها وساوس الاجانب ولا دسائسهم الخبيثة ، ولم يضرها الجهل بالمدنية الحديثة الامر الذي يدل على ان الإتحاد هو الركن الاول لعز الأمم واستقلالها ، وبدونه لم يتم النجاح : وهي اليوم جادة في نيل العلوم بنشاط ومشعرة بحاجتها الماسة الى أساليب المدنية الحاضرة وبأنها لا تستطيع الحياة ما لم يجتمع لديها القوتان قوة الاتحاد ، وقوة العلم والسلاح الحديث .

هؤلاء بعض أيمة الزيدية المشهورين ، وأما فرقهم فستة اكثرها عدداً « الجارودية » أصحاب أبي الجارود واسمه زياد بن المنذر الهمداني الكوفي وكان اعمى ومن اصحاب الباقر وممن يروي عن الصادق ولكنه تغير لما نهض زيد بن علي (رض) وقال بإمامة زيد لينتزع فئة الزيدية ويمسي رئيساً دينياً متبع القول ومنه اخذ الجارودية القول « بان النبي ﷺ نص على علي عليه السلام بالوصف ، والإمام بعده علي ، والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف . واختلف الجارودية في التوقف والسوق ، فساق بعضهم الإمامة من علي الى الحسن ثم الى الحسين ثم الى علي بن الحسين ثم الى زين العابدين ثم الى ابنه زيد ثم الى محمد بن عبد الله الحسني ، وكان ابو حنيفة (رح) على بيعته ومن جملة شيعته ، حتى رفع أمره الى المنصور فحبسه حبس الأبد حتى مات في الحبس (سنة ١٥٠ هـ عن سبعين سنة من العمر) . وقيل انه إنما بايع محمد الإمام في ايام المنصور ، ولما قتل محمد بقي ابو حنيفة على تلك البيعة يعتقد موالاة أهل البيت ، فرفع حاله الى المنصور فتم عليه ما تم (١) »

---

(١) انظر ج ١ ص٨٩ من ملل الشهرستاني وانظر ايضا ص ٢٦٧ من مقاتل الطالبيين لأبي الفرج لترى « ان ابا حنيفة كتب إلى ابراهيم اخي محمد الامام يشير عليه ان يقصد الكوفة سرا لأن فيها من شيعتكم من يبيت المنصور فيقتلونه . فظفر المنصور بكتابه وبعث اليه فأشخصه وسقاه شربة فمات منها ، ودفن ببغداد - ثم قال وروي

الثانية « السليمانية » اصحاب سليمان بن جرير « كان يقول ان الإمـامة شوري . ويصح أن تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وانها تصح في المفضول مع وجود الافضل (١) الثالثة « الصالحية » أصحاب الحسن بن صالح بن حي الكوفي الهمداني ، الرابعة « البترية » أصحاب كثير النوا الأبتر « والصالحية والبترية على مذهب واحد ، وقولهم في الإمامة كقول السليمانيـة إلا انهم توقفوا في عثمان وأما علي فقالوا هو افضل الناس بعد رسول الله ﷺ واولاهم بالامـامة لكنه سلم الامر طائعاً وترك حقـه راغباً (؟) فنحن راضون بما رضي . وهم الذين جوزوا إمامة المفضول وتأخير الافضل اذا كان راضياً بذلك وقالوا من شهر سيفه من اولاد الحسن والحسين وكان عالمـاً زاهداً شجاعاً فهو الامام ، وشرط بعضهم صباحة الوجه (؟) . ولهم خبط عظيم في إمامين وجد فيهما هذه الشرائط ، وقالوا لو كانا في قطرين انفرد كل واحد منهما بقطره الخ (٢) »

الخامسة « النعيمية » أصحاب نعيم بن اليمان والسادسة « اليعقوبية » أصحاب يعقوب بن داود وهاتان اقل الزيدية عدداً :

فالزيدية — كما رأيت — يوافقون السنة والجماعة في كثير من الامور بالاخص السليمانية ، والصالحية والبترية الذين جعلوا الإمامة شوري باختيـار الناس وجوزوا تقديم المفضول على الافضل إلا انهم يخالفونهم في بعض الشروط

ان المنصور دعا ابا حنيفة إلى الطعام فأكل منه ثم استسقى فسقي شربة عسل مجدوحة وكانت مسمومة فمات من غد ودفن بمقابر الخيزران ببغداد » ويؤيد ذلك ماذكره الخطيب البغدادي مجلد ١٣ صفحة ٣٩٨ من تاريخ بغداد « من فتوى ابي حنيفة بالخروج مع ابراهيم هذا لحرب المنصور ، وذكر أيضا بعد ذلك ان هذه الفتوى سبب سم المنصور لأبي حنيفة » لا امتناعه عن تولي القضاء كما زعمه اشياعه

(١) مجلد ١ صفحة ٩٠ من الملل للشهرستاني

(٢) مجلد ١ صفحة ٩١ من ملل الشهرستاني

فالزيدية اشترطوا في الامام ان يكون فاطمياً وأن يخرج بالسيف داعياً لإمامته ، وجمهور السنة يجوزون أن يكون الامام غير فاطمي وغير قرشي أيضاً ، وغير خارج بالسيف بل وغير زاهد أو غير عادل عند من قال بإمامة أمثال يزيد ؟

ويلزم الزيدية ان لا يكون علي بن الحسين إماماً لهم في أيامه كلها ، لأنه لم يخرج بالسيف ولا تعرض للخروج ويلزم أيضاً أن لا يكون ما نقله الشهرستاني وابن خلدون عنهم — من القول بإمامة زين العابدين — قريباً من الصواب .

وعلى أي حال فجمهور الزيدية من طوائف الشيعة الذين ثبتوا على ولاء البيت العلوي والتمسك بهم وعدم الغلو بأحد منهم : فهم في ذلك كالشيعة الاثنى عشرية من غير فارق .

ولولا الخروج بالسيف الذي هو شرط اساسي لإمامهم . لكانوا مثلهم من حيث الوجهة السياسية . لأن الزيدية قد عملوا بهذا الشرط فخرجوا كثيراً — كما تقدم — يجاهدون مع أئمتهم في أيام شيخوخة الدولة الاموية وفورة شبابها ، وفي بدء الدولة العباسية ، فقتلوا وشردوا ، وحبسوا في الحجاز والعراق وخراسان . على عكس الإمامية الذين رأوا في ذلك الوقت العصيب أن يعملوا « بالتقية » لتحفظ دماؤهم وأعراضهم واموالهم . فارتاحوا بهذا العمل الطبيعي في جل البشر ، وتسنى لهم في تلك الفترات دارسة جميع العلوم الاسلامية وأخذها عن امامهم الصادق عليه السلام وخصوصاً في ايام السفاح العباسي الذي كان ملتهياً بتمكين أسس الدولة وتشييد بنائها . وفي جل أيام منصور أيضاً .

ولم يختص الشيعة بالأخذ عن امامهم الصادق بل « نقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان ، وروى عنه

الأكابر كيحيى بن سعيد ، وابن جريج ، ومالك ، والسفيانيين ، وأبي حنيفة وشعبة ، وايوب السختياني ، وأم فروة (١) »

« وكان من سادات اهل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله اشهر من ان يذكر ، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان قد ألف كتاباً يشتمل على الف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة (٢) »

« وهو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ويفيض على الموالين له اسرار العلوم (٣) » وروى المفيد « ان اصحاب الحديث قد جمعوا اسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء فكانوا اربعة الآف رجل (٤) » ولنبحث الآن

— كيف ظهر الزنادقة والغلاة في عهد الصادق ؟ —

علمت مما تقدم — ان الصادق (ع) قد عاصر الدولتين الأموية والعباسية ، ولكنه عاصر الأولى في شيخوختها ، والثانية في طفولتها ، ومعلوم لديك كيف يكون حال الدولة في ايام الشيخوخة والطفولة من الارتباك والضعف المولدين للفوضى وعدم الهيبة ، ومن اشتغال رؤسائها في جمع امورها وقوتها وبسط هيبتها ؟ وعلمت كيف كان الصادق متجهاً بكله نحو بث العلوم وتدريسها لا يستطيع المباشرة لغير ذلك من شؤون المسلمين .

فبالطبع تحكم بأن ظهور الزنادقة (٥) والغلاة نتيجة محتومة لتلك الظروف القاسية التي تسنى فيها لنفر من الزنادقة الظهور والاعتراض جهاراً على أصول

(١) صفحة ١٢٣ من الصواعق (٢) مجلد ١ صفحة ١٠٥ من وفيات الاعيان لابن خلكان (٣) مجلد ١ صفحة ٩٥ من ملل الشهرستاني (٤) صفحة ٢٨٩ من ارشاده (٥) الزنادقة لا صلة لهم بالطوائف الشيعية وانما ذكرناهم بمناسبة ظهورهم في عهد الإمام الصادق

الإسلام في المسجد الحرام ، وإذا لم يكن للصادق يومئذ قوة السلطان الـتي تمكنه من دفع الزنادقة عن دخول المسجد الحرام ، فكان لديه قوة العلم التي دفع بها شبهاتهم واعتراضاتهم الكثيرة على أحكام الحج وغيره يوم « اجتمع نفر من الزنادقة في الموسم بالمسجد وأبو عبد الله الصادق (ع) فيـه إذ ذاك يفتي الناس ويفسر لهم القرآن ، ويجيب على المسائل بالحجج والبينات . فقال الزنادقة لابن ابي العوجاء : هل لك في تغليط هذا الجالس عند هؤلاء المحيطين به . فقد ترى فتنة الناس فيه ؟ فقال ابن ابي العوجاء نعم ثم تقدم ففرق الناس وسأل الصادق عدة مسائل والصادق يجيبه عنها مسألة مسألة حتى أبلس ابن أبي العوجاء ولم يدر ما يقول ، فانصرف إلى أصحابه فقالوا له : لقد فضحتنا بحيرتك وانقطاعك وما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه ، فقال لهم إلي تقولون هذا ، إنه ابن من حلّق رؤوس من ترون وأومأ بيده إلى أهل الموسم (١) »

والأسباب والظروف التي ساعدت الزنادقة على الظهور هي بنفسها الـتي ساعدت الغلاة على ظهورهم في عهد الصادق وأبيه الباقر عليهما السلام وجرأتهم على التجاهر بالغلو والقول بربوبية المخلوقين :

وكلما بذل الصادق جهده في وعظهم وإرشادهم وكلما قال لهـم « ما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على نفع شيء ولا ضر شيء (٢) » ازدادوا غلواً وإصراراً على شبهاتهم الواهية وبدعهم الضالة الأمر الذي يدل على ان الشبهات لو تمكنت من النفس وتغلبت على العقل يعسر جـداً زوالها بالبرهان والحجة . لأن أربابها يتفانون في سبيلها ويكابرون في كل ما يقوم ضدها من الأدلة الملموسة . ومن يبلغ به العناد والضلال إلى هذا الحد فلا تقمعه إلا قوة السلطان

والصادق قد أعوزه الأمويون ثم العباسيون إلى هذه القوة ، ولو حصلت لديه يومئذ لأفنى غلاة عصره كما أفنى السبائية جده علي (ع) يوم اجتمع لديه

---

(١) ملخص من صفحة ٣٠٠ من ارشاد المفيد (٢) صفحة ٣٢٤ من منهج المقال

القوتان قوة العلم وقوة السلطان العادل :

وكما أعوز الصادق إلى هذه القوة أعوز اليها أبوه الباقر من قبل . ولذلك ظهر الغلاة في عهدهما بكثرة هائلة وتجاهروا بالغلو في الكوفة وغيرها من بلاد العراق وخراسان . ففي أيام الباقر ظهر « المنصورية » اتباع أبي منصور العجلي الكوفي وظهر « المغيريـة » أصحاب المغيرة بن سعيد سنة ١١٩ هـ بالكوفة في عهد هشام بن عبد الملك « وكان خالد بن عبد الله القسري يومئذ على العراق . فلما بلغه خروج المغيرة — وكان على المنبر — حصر ودهش وقال أطعموني ماء فقال ابن نوفل يهجوه :

تقول لما أصابك أطعموني ... شرابا ثم بلت على السرير (١)

و « البنانية » اصحاب بنان بن سمعان النهدي : وفي ايام الصادق ظهر « الخطابية » أصحاب أبي الخطاب محمـد بن مقلاص الاسدي الأجـدع و « العليائية » أصحاب العليا بن ذراع الاسدي أو الدوسي و « الراوندية » وهم من أهل خراسان « كانوا على مذهب ابي مسلم الخراساني . يقولون بالتناسخ وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور فلما ظهروا في سنة ١٤١ وأتوا إلى قصر المنصور قالوا هذا قصر ربنا (٢) »

و « الرزامية » اتباع رزام بن سابق « وهؤلاء ظهروا بخراسان أيام أبي مسلم وادعوا حلول روح الإله فيه ولهذا أيدوه على بني أمية (٣) » وقد تبرأ الصادق (ع) من جميع الغلاة وقال لشيعته « لا تقاعـدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ، ولا تصافحوهم ، ولا تناكحوهم ، ولا توارثوهم . وقال عليه السلام لأبي بصير يا أبا محمد ابرأ ممن يزعم انا أرباب وابرأ ممن يزعـم

---

(١) مجلد ٢ صفحة ٢١٠ من البيان والتبيين (٢) مجلد ٢ صفحة ٣ من تاريخ ابي الفداء ومجلد ٩ صفحة ١٧٣ من الطبري (٣) مجلد ١ صفحة ٨٦ من ملل الشهرستاني

أنا أنبياء (١) »

وبقي الصادق على ذلك إلى أن توفي حتف أنفه سنة ١٤٨ ﻫ أيام المنصور ولكن ابن حجر يقول « انه توفي مسموماً أيضاً على ما حكي عن ستة ذكور وبنت منهم موسى الكاظم وهو وارثه علما ومعرفة و كمالا وفضلا، سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه ، وكان أعبد أهل زمانه واعلمهم وأسخاهم ، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله (٢) » وكان شيخ الحنابلة أبو علي الخلال يقول « ما أهمني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحب (٣) » والكاظم عليه السلام هو الإمام السابع للشيعة الذين اعتقدوا بإمامته والنص عليها من أبيه الصادق ولم يخالف في ذلك غير :

الاسماعيلية

الذين قالوا بإمامة اسماعيل دون أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام « وكان اسماعيل اكبر اخوته ، وكان ابوه شديد المحبة له والإشفاق عليه . فمات في حياة أبيه بالعريض وحمل على رقاب الناس إلى ابيه بالمدينة، فحزن عليه حزنا عظيما وتقدم سريره بغير حذاء وأمر بوضع سريره على الأرض مراراً كثيرة (٤) » وأسجاه ابوه بردائه وادخل عليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته وتزول الشبهة في أمره (٥) »

ومع ذلك كله لم تزل هذه الشبهة بل « اقام على حياته شرذمة لم تكن من خاصة ابيه ولا من الرواة عنه ، فلما مات الصادق (ع) انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى الكاظم بعد ابيه . وافترق الباقون فريقين . فريق منهم رجعوا عن حياة اسماعيل وقالوا بإمامة ابنه محمد بن اسماعيل لظنهم ان الإمامة

---

(١) صفحة ٣٢٤ من منهج المقال (٢) صفحة ١٢٤ من الصواعق المحرقة
(٣) مجلد ١ صفحة ١٢٠ من تاريخ بغداد للخطيب (٤) صفحة ٣٠٤ من ارشاد المفيد (٥) مجلد ٢ صفحة ١٧٦ من شرح المعتزلي

كانت لأبيه والابن احق بها من الأخ . وفريق ثبتوا على حياة اسماعيل .
وهذان الفريقان يسميان الاسماعيلية والمعروف منهم اليوم من يزعم ان الإمامة
بعد اسماعيل في ولده وولد ولده إلى آخر الزمان (١) « ويسمى الذين قالوا
بإمامة محمد بن اسماعيل العمارية ، والذين انكروا موت اسماعيل المباركية (٢) »

وكثر الاسماعيلية بعد ذلك كثرة هائلة ، وانتشروا في الأقطار واسسوا
دولة قوية في القيروان من بلاد المغرب ثم في القاهرة من بلاد مصر . وكان
اول خليفة لهم في القيروان المهدي الفاطمي نصبه ابو عبد الله الشيعي المحتسب
سنة ٢٩٦ واسمه ابي عبد الله الحسين بن احمد . وقد جازاه المهدي فقتله سنة
٢٩٨ هـ كما جازى المنصور ابا مسلم الخراساني . واول خليفة لهم في القاهرة
المعز الفاطمي ادخله اليها قائدة جوهر (٣) سنة ٣٦٢ هـ وكان آخر خلفائهم في
مصر العاضد لدين الله (٤) ازاله عن الخلافة صلاح الدين الايوبي في سنة
٥٦٧ هـ وأذاقه وبقية الفاطميين ألوان العذاب وصنوف الإنتقام :

وقد تطورت عقائد الاسماعيلية — في ايام الحاكم بأمر الله الفاطمي —
تطوراً مدهشاً ودخلها من عقائد الغلاة الشيء الكثير . ولهذا رمي الفاطميون

---

(١) صفحة ٣٠٤ من الارشاد (٢) مجلد ١ صفحة ١٣ من ملل الشهرستاني

(٣) قال ابن خلكان (مجلد ١ صفحة ١٤٧ من وفياته) « كان ابو الحسن جوهر بن عبد الله شجاعا مدربا في الحرب ، فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ واختط موضع القاهرة وامر بالزيادة عقيب الخطبة اللهم صل على محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة البتول والحسن والحسين سبطي الرسول الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وشرع سنة ٣٥٩ هـ في عمارة الجامع الازهر وفرغ منه سنة ٣٦١ وقيل سنة ٣٦٠ وخطب يوم دخوله مصر ودعا لمولاه المعز الفاطمي واقام بها حتى وصل اليه مولاه . فأبقاه نافذ الأمر عالي المنزلة رفيع الدرجة متوليا للأمور إلى سنة ٣٦٤ فعزله . وكان جوهر محسنا إلى الناس إلى ان توفي رحمه الله بمصر سنة ٣٨١ هـ ولم يبق شاعر إلا رثاه وذكر مآثره (٤) ولد العاضد سنة ٥٤٦ هـ وقتله صلاح الدين سنة ٥٦٧ بعد ان استفتى فقهاء مصر في ذلك

بالغلو جزافاً وجلهم يبرئون من الغلو إن لم نقل كلهم كما سنوضحه في بحث الغلاة ان شاء الله :

والاسماعيلية في عصرنا اقل عدداً من الشيعة والزيدية . وليس لهم دولة . ولكن احوالهم الاجتماعية والسياسية حسنة جداً وخصوصاً الموجودين في الهند ويقال لهم البهرة . وهؤلاء يحجون البيت الحرام ويزورون جل المشاهد المكرمة لأهل البيت ويزكون ويصومون شهر رمضان ولهم جمعيات كثيرة في الهند واوقاف فيها وفي العراق . ينفقون من ريعها الأموال الطائلة في سبيل الخيرات . وامرهم عجيب في الاقتصاد والاتحاد تجاه غيرهم وقل ما تجد منهم فقيراً وانك لتحتار في تمييز الرئيس من المرؤوس لأن لباسهم غالباً من نوع واحد ولون واحد . ويرغبون لون البياض حتى في الشتاء . وجلهم او كلهم يلبسون العمامة . ويرسلون شعر الذقن إرسالا مفرطاً . واما نساءهم فهن في اشد حجاب وإمامهم او سلطانهم الحالي مولانا سيف الدين عالم في المذهب الاسماعيلي يجيد العربية وينظم فيها الشعر واكثر نظمه مديح في اهل البيت وقد زار المشاهد المقدسة في العراق واهدى لخدامها هدايا ثمينة وعمل ضريحاً جديداً لقبر السبط الشهيد في كربلا (ع) تجلى فيه الفن بأجلى مظاهره وقد راعني ما رأيته عليه من الخط البديع بالذهب الخالص . وسمعت انه شرع في عمل ضريح ثاني لقبر « الوصي » في النجف الأشرف : واما الاسماعيلية المعروفون « بالآغاخانية » نسبة إلى زعيمهم الحالي آغاخان . فهم من الغلاة الباطنية البعيدين عن التشيع والإسلام . وكما انكر الاسماعيلية إمامة الكاظم (ع) انكرها

الفطحية

حيث قالوا بإمامة عبدالله بن جعفر الصادق دون أخويه موسى وإسماعيل « وكان عبد الله اكبر اخوته بعد اسماعيل . ولم تكن منزلته عند ابيه

كمنزلة غيره من ولده في الإكرام . وكان متهما بالخلاف على ابيه في الإعتقاد ويقال انه كان يخالط الحشوية ويذهب مذاهب المرجئة . وادعى بعد ابيه الإمامة واحتج بأنه اكبر اخوته فاتبعه جماعة من اصحاب ابيه (ع) ثم رجع اكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة اخيه موسى الكاظم (ع) لما تبينوا من ضعف دعواه وقوة امر الكاظم وبراهين امامته . واقام نفر يسير منهم على امرهم ودانوا بإمامة عبد الله . وهم الطائفة الملقبة بالفطحية لقولهم بإمامة عبد الله وكان افطح الرجلين . ويقال انهم لقبوا بذلك لأن داعيهم إلى إمامة عبد الله كان رجلا يقال له عبد الله بن افطح (١) »

ويقول الشهرستاني « ان عبد الله هذا كان اكبر اخوته وما عاش بعد ابيه إلا سبعين يوماً ومات ولم يعقب ولداً ذكراً (٢) » ثم ان الذين قالوا بإمامة الكاظم انقسموا بعده قسمين قسم قطع بموته وقسم انكره ووقف عليه وهم

الواقفية

ويطلق هذا الاسم على كل من انكر موت أحد من الأئمة ووقف عليه ولم يسق الإمامة الى غيره ، وقد أطلقه ابن خلدون « على كل من يقف من الغلاة على واحد من الائمة لا يتجاوزه الى غيره » وعلى هذا التوسع يكون السبائية — وهم اول الغلاة — أول الواقفية ، لأنهم أول « من زعم ان علياً حي لم يقتل » وبعدهم الكربية من الكيسانية « وهم أتباع ابي كرب قالوا بأن محمد بن الحنيفة (رض) حي لم يمت وانه في جبل رضوى بين أسد ونمر (٣) »

ثم « الناووسية أتباع رجل يقال له ناوس . قالت ان الصادق حيٌّ بعد ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره وهو القائم المهدي (٤) » ويقال ان جماعة

---

(١) صفحة ٣٠٤ من ارشاد المفيد (٢) مجلد ١ صفحة ٩٥ من ملله

(٣) مجلد ٤ صفحة ١٧٤ من خطط المقريزي (٤) مجلد ١ صفحة ٩٥ من ملل الشهرستاني

وقفوا على الحسن العسكري «وقالوا انه لم يمت ولا يجوز أن يموت . ولا ولد له ظاهراً ، لأن الارض لا تخلوا عن إمام (١) » وان جماعة اخرى قالوا بإمامة محمد بن علي الهادي وانه لم يمت (٢) وهناك من توقفوا في موت الباقر (ع) وموت إسماعيل بن جعفر ، ومحمد بن اسماعيل وعبد الله بن معاوية بن جعفر بن ابي طالب .

ولكن أسم الواقفية قد غلب — عند الشيعة الاثنى عشرية — على الذين توقفوا في موت الامام موسى بن جعفر عليهما السلام «وقالوا انه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة ويقال لهم الواقفية (٣) » وكان منهم «محمد بن بشير من اهل الكوفة من موالي بني اسد . وله اصحاب قالوا ان موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس ، وأنه غاب واستتر وهو القائم المهدي . وأنه في وقت غيبته استخلف على الأمة محمد بن بشير وجعله وصيه ، واعطاه خاتمه وعلّمه جميع ما تحتاج اليه رعيته ، وفوض اليه جميع أمره وأقامه مقام نفسه . ولما قتل محمد بن بشير قالوا بإمامة ابنه فهو إمام — عندهم — مفترض الطاعة الى وقت خروج موسى بن جعفر (ع) . وزعموا ان الفرض عليهم من الله إقامة الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان ، وانكروا الحج والزكاة وسائر الفرائض ، وقالوا بإباحة المحرمات والفروج والغلمان ، وقالوا بالتناسخ . ومذاهبهم في التفويض مذاهب الغلاة . وكان محمد بن بشير يظهر للواقفة انه ممن وقف على موسى ولكنه كان يقول فيه بالربوبية ويدعي نفسه انه نبي (٤) »

---

(١) مجلد ١ ص٩٨ من الملل (٢) ولكن الشيخ الطوسي قد روى (ص١٣٠ من كتاب الغيبة له) ان محمدا هذا قد مات في حياة ابيه الهادي فراجع

(٣) ص٩٦ من الملل. وروى الشيخ الطوسي – ص ٤٦ – من غيبته « ان أول من اظهر الاعتقاد بالوقف عثمان بن عيسى الرواسي ، وعلي بن ابي حمزة البطائني وزياد ابن مروان القندي واستمالوا قوما فبذلوا لهم شيئا مما اختانوه من الاموال»

(٤) بتلخيص من ص٢٨٦ من منهج المقال

وكان من الفطحية والواقفية رواة كثيرون يروون عن الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام فمن الفطحية أمثال عمار الساباطي ، وابن بكير ، وعلي ابن أسباط ، ويونس بن يعقوب ، وبعض آل فضال .

ومن الواقفية أمثال الحسن بن ابي سعيد المكاري وأبيه هاشم كانا من وجوه الواقفة ، والحسن بن محمد بن سماعة الكندي الصيرفي الكوفي المتوفي سنة ٢٦٣هـ كان من شيوخ الواقفة يتعصب للوقف ويحامي عنه ، وحميد بن زياد من اهل نينوى توفى سنة ٣١٠ هـ وكان الشيعة الاثنى عشرية — ولن يزالوا — لا يعتمدون على رواية الفطحي والواقفي إلا اذا وثقوا بصدقه وأمانته في النقل . أمثال الساباطي وابن أسباط وبعض آل فضال وغيرهم ممن وثقهم الإمام بعد الكاظم وأذن للشيعة ان يعملوا بما رواه هؤلاء ايام استقامتهم واعتدالهم :

والسر في عدم اعتماد الشيعة على رواية كل الفطحية والواقفية — ان إمام الفطحية كان — كما تقدم — متهماً بالخلاف على أبيه والذهاب مذهب المرجئة وأتباعه على طريقته بطبيعته القول بامامته . ولأن لهم ولكثير من الواقفية مقالات فاسدة مخالفة للدين الحنيف خرجوا بها عن التشيع الحق وصاروا من سنخ الغلاة وخصوصاً البشيرية من الواقفية وأما

القطعية

فهم الذين قطعوا بموت الائمة من اهل البيت واحداً بعد واحد إلى الامام الثاني عشر المنتظر . وأطلق هذا الإسم عليهم حينما قطعوا بموت الإمام موسى ابن جعفر (ع) وانه سم في حبس السندي بن شاهك ببغداد بامر الرشيد العباسي :

وكان السبب في حبسه وسمه — على رواية بن حجر — « انه لما حج الرشيد سعي به اليه وقيل له ان الاموال تحمل اليه من كل جانب حتى اشترى ضيعة بثلاثين الف دينار . فقبض عليه وأنفذه لأميره بالبصرة عيسى بن جعفر العباسي فحبسه سنة ثم كتب له الرشيد في دمه فاستعفى واخبر انه إن لم يرسل

بتسليمه وإلا خلّ سبيله . فبلغ الرشيد كتابه فكتب للسندي بن شاهك بتسليمه وامره فيه بامر فجعل له سماً في طعامه . وقيل في رطب فتوعك ومات بعد ثلاثة ايام . وذكر ايضاً سبباً ثانياً وهو انه لما اجتمعا أمام الوجه الشريف على صاحبه افضل السلام قال الرشيد السلام عليك يا ابن عم . فقال موسى الكاظم السلام عليك يا ابت فلم يحتملها الرشيد وكانت سبباً لإمساكه وحمله معه إلى بغداد وحبسه ، فلم يخرج من الحبس إلا ميتاً مقيداً (١) »

وروى المفيد المتوفي (سنة ٤١٣ هـ) ومثله ابو الفرج المتوفي (سنة ٣٥٦ هـ) هذين السببين وأبانا ايضاً من هو الذي سعى بالإمام عليه السلام ؟

فقالا « حمل يحيى بن خالد بن برمك علي بن اسماعيل على السعاية بعمه الكاظم واعطاه مالاً كثيراً ، ثم رغبه في قصد الرشيد وتبليغه القول . فقبل علي بن اسماعيل . ولما أحس الكاظم بعزم ابن اخيه على قصد الرشيد استدعاه اليه وقال له يا ابن اخ إلى اين ؟ قال الى بغداد قال وما تصنع ؟ قال علي دين وانا مملق فقال له موسى الكاظم (ع) انا أقضي دينك فلم يلتفت وعمل على الخروج وقال لا بد لي من ذلك . فقال له عمه انظر يا ابن اخي واتق الله تعالى ولا توتم اولادي . وامر له بثلاثمائة دينار واربعة الآف درهم . فلما قام من بين يديه قال لمن حضره والله ليسعين في دمي . فقالوا له جعلنا فداك فأنت تعلم هذا منه وتعطيه وتصله ، قال لهم نعم حدثني ابي عن آبائه عن رسول الله ﷺ ان الرحم اذا قطعت فوصلت ثم قطعت قطعها الله . واني اردت أن اصله بعد قطعه لي حتى اذا قطعني قطعه الله ، فخرج علي بن اسماعيل حتى اتى يحيى البرمكي فعرفه خبر موسى بن جعفر وقال له — إن الاموال تحمل اليه من المشرق والمغرب ، وانه اشترى ضيعة سماها اليسير فرفع يحيى الخبر الى الرشيد وزاد فيه ، فسمع قول علي بن اسماعيل وامر له بمائة الف

---

(١) صفحة ١٢٥ من الصواعق

درهم حوّله بها على بعض العمال . ومضت رسل علي لقبض المال وأقام هو ينتظره فدخل الى الخلاء يوماً فزخرزخرة خرجت منها حشوته كلها ، فسقط وجهدوا في ردها فلم يقدروا ، وجائه المال وهو ينزع فقال ما اصنع به وانا في الموت (١) »

وهناك ما يصلح ان يكون سبباً ثالثاً لحبس الامام (ع) ذلك قوله « لما سأله الرشيد ، أنت الذي تبايعك الناس سراً ؟ انا إمام القلب وانت إمام الجسوم (٢) » فان مثل هذه الصراحة (التي لم يسمعها الرشيد قبل ذلك من الإمام) كاف لأن يوغر صدر الرشيد ويحمله على حبسه . وهذه الاسباب قد سببت بمجموعها قتل الامام وكان كل منها سبباً في حبسه . ولذا تعدد الحبس ، فأول حبس له كان في البصرة (كما علمت) الثاني في بغداد عند الفضل بن الربيع . الثالث عند الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي وكان يوسع على الإمام (ع) فلما بلغ الرشيد ذلك وهو بالرقة « كتب ينكر على الفضل إكرامه لموسى الكاظم (ع) وامر بعزله ولعنه ، وضربه مائة سوط وارسل من تسلم منه الامام وسلمه الى السندي بن شاهك فلما بلغ يحيى البرمكي خبر ابنه الفضل ركب الى الرشيد واسترضاه وقال له انا أكفيك ما تريد فسرّ منه الرشيد وأقبل على الناس فقال — ان الفضل بن يحيى قد عصاني في شيء وقد تاب فتولوه (؟) ثم خرج يحيى على البريد حتى وافى بغداد فدعا السندي فأمره في الكاظم موسى بأمر فجعل له سماً في الطعام أو في رطب فأكل منه فلبث ثلاثاً ثم مات فأدخل السندي عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد فيهم الهيثم بن عدي وأشهدهم على انه مات حتف أنفه فشهدوا وأخرجه إلى الجسر ببغداد ونودي عليه هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه (٣) »

---

(١) بتلخيص من صفحة ٣١٩ من إرشاد المفيد وصفحة ٣٣٥ من مقاتل الطالبيين
(٢) صفحة ١٢٥ من الصواعق (٣) صفحة ٣٢٣ من إرشاد المفيد

فأنت ترى هنا ان السندي قد تسلم الإمام من الفضل بن يحيى لامن عيسى العباسي كما يظهر من ابن حجر . ومن الجائز ان يكون تسلمه من الاثنين ولكن السم وقع بعد تسلمه من الفضل وأمر أبيه يحيى بذلك . وعلى كل فهما (أي ابن حجر والمفيد) متفقان على ان الذي باشر قتل الإمام هو السندي وانه قتله بالسم وقد وافقهما أبو الفرج الإصبهاني على المباشرة لكنه خالفهما في كيفية القتل حيث يقول « دعا يحيى بن خالد البرمكي بالسندي وأمره فيه بأمر فلفّ الكاظم في بساط وأقعد الفراشون النصارى على وجهه (١) »

وقولهما من أنه قتله بالسم هو المتواتر عند اكثر المؤرخين والثابت عند الشيعة « وكانت أولاده حين وفاته ٣٧ ذكراً وأنثى منهم (علي الرضا) وهو أنبههم ذكراً وأجلهم قدراً ومن ثم أحله المأمون محلّ مهجته وانكحه ابنته ، واشركه في مملكته وفوض اليه أمر خلافته . فانه كتب سنة ٢٠١ هـ بأن علياً الرضا ولي عهده وأشهد عليه جمعاً كثيرين (٢) »

وكان الكاظم قد نص على إمامة ولده الرضا عليهما السلام واعتقد بها جميع الشيعة سوى من وقف على ابيه . ولما تظاهر المأمون بإكرام الإمام الرضا وسائر العلويين — عكس أسلافه — وصرح بكثير من عقائد الشيعة ظهر الشيعة في عصره وتجاهروا بعقائدهم الدينية ما ساعدتهم الظروف ، ونالوا بعض حريتهم المذهبية حتى عقدوا المآتم لذكرى سيد الشهداء (ع) وأنشد شعراؤهم القصائد المشجية في رثائه ورثاء بقية الأئمة عليهم السلام

ولقد أجازهم الإمام على ذلك جوائز سنية (٣) ولم يجزهم على قصائد التهنئة

---

(١) صفحة ٣٣٥ من مقاتل الطالبيين (٢) صفحة ١٢٥ من الصواعق

(٣) كانت الجائزة التي اخذها دعبل بن علي الخزاعي من اسنى الجوائز حدث عنها دعبل نفسه فقال « دخلت على الامام علي بن موسى الرضا فقال انشدني مما احدثت فأنشدته :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

بولاية العهد له من المأمون بل قال لأحد شيعته « لا تشغل قلبك بهذا الامر ولا تستبشر به فإنه شيء لا يتم (١) »

ولقد كان الأمر كما قال عليه السلام لأن عهد المأمون له « قد صعب على بني العباس . وكان أشدهم تحرقاً منصور وابراهيم ابنا المهدي . فأظهروا الخلاف (بعد شهرين) وبايع أهل بغداد ابراهيم بالخلافة في المحرم سنة ٢٠٢ هـ بعد أن خلعوا المأمون (٢) »

فكان ذلك دافعاً قوياً للمأمون على الوقيعة بالإمام الرضا وسمه والتخلص من عهده ليصفي له الامر ويرضى عنه بنو أبيه وأهل بغداد الذين خلعوه . ولذلك « كتب إلى اهل بغداد يعلمهم بموت الرضا ويقول لهم إنما نقمتم على بسببه وقد مات . فخلع أهل بغداد في هذه السنة اعني سنة ٢٠٣ هـ إبراهيم بن المهدي

حتى انتهيت إلى قولي فيها

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم   أكفا عن الاوتار منقبضات

قال فبكى حتى اغمي عليه فأومأ الخادم إلي أن اسكت فسكت . فمكث ساعة ثم قال اعد فأعدت فأصابه مثل الذي اصابه في المرة الأولى فأومأ إلي الخادم ايضا فسكت ثم مكث ساعة اخرى ثم قال اعد فأعدت إلى آخرها فقال احسنت ثلاث مرات ، ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه وامر لي من في منزله بحلي كثير اخرجه إلي الخادم . فقدمت العراق فبعت كل درهم بعشرة اشتراها مني الشيعة فكان اول مال اعتقدته ثم ان دعبلا استوهب من الرضا رضي الله عنه ثوبا قد لبسه ليجعله في أكفانه . فخلع عليه جبة كانت عليه . فأعطاه بها اهل قم ثلاثين الف درهم فلم يقبل فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها غصبا وقالوا إن شئت أن تأخذ المال وإلا فأنت اعلم . فقال والله لا اعطيكم إياها طوعاً ولا تنفعكم غصبا واشكوكم إلى الرضا فصالحوه على ان اعطوه ثلاثين الف درهم وفرد كم من بطانتها فرضي بذلك — انظر صفحة ٢٧٣ من معاهدة التنصيص وجزء ٧ صفحة ٢٩ من الاغاني

(١) صفحة ٣٣٣ من إرشاد المفيد   (٢) مجلد ٢ ص ٢٣٠ من ابي الفداء ، ومجلد ٦ ص ١١١ من ابن الاثير

ودعوا للمأمون بالخلافة (١) »

وسم المأمون للرضا قد ذكره نفر من المؤرخين واستبعدوا وقوعه من مثل المأمون (٢) ولكن هذا الإستبعاد — المستند إلى احترام شخصية المأمون ونظره كخليفة دبني نزيه — لا يرضيه الباحث الخبير بما وقع من المأمون في سبيل خلافته من قتل أخيه الأمين وغيره بصورة فظيعة . وليس ابن العم البعيد بأعز من الأخ القريب . وليست العوامل الدافعة على قتل الأمين بأكثر من العوامل الدافعة على قتل الإمام الرضا بل قد تكون هذه اكثر واقوى لأن العباسيين — وكان عددهم يومئذ ثلاثة وثلاثين الفاً ما بين ذكرواناثى — قد خلعوا المأمون — كما علمت — من الخلافة وحرقوا عليه الأرم بسبب عهده إلى الإمام عليه السلام . وما هدأت ثائرتهم وانطفى بركان غيظهم وجنحوا إلى السلم حتى « كتب لهم يعلمهم بموت الرضا الذي كان السبب في نقمتهم عليه وخلعهم له »

وعلى كل فإن المأمون المحنك لم يقنع بنجاحه في إرضاء اهل بغداد بل عمد إلى التبري من دم الإمام الرضا (ع) ليأمن من سخط العلويين الذين كرهوا — من قبل — خلافته وتربصوا به الدوائر وثاروا عليه يدعون إلى الرضا من آل محمد ﷺ ولذلك « دخل على الرضا وهو يجود بنفسه . فبكى وقال اعزز علي يا اخي أني أعيش ليومك وأغلظ علـي من ذلك واشد ، ان الناس يقولون إني سقيتك سماً (٣)

وكان من الثائرين عليه « محمد بن جعفر الصادق . خرج بالسيف سنة ١٩٩ وقيل سنة ٢٠٠ هـ بمكة وقيل بالمدينة ، فبايعه اهل الحجاز واتبعه الزيدية الجارودية وقام معه جماعة من الطالبيين . وكان سبب خروجه ان رجلا كتب

---

(١) ج ٢ ص ٢٤ من ابي الفداء (٢) منهم ابن الاثير القائل (ج٦ص١١٩ من تاريخه « وقيـل ان المأمون سمه في عنب وهو بعيد » (٣) ص ٣٧٤ مـن مقاتل الطالبيين

كتابا يسب فيه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وجميع اهل البيت(ع)فجاءه الطالبيون وقرأوا عليه الكتاب فلم يرد عليهم بل دخل بيته ثم خرج متقلداً سيفه لابسا درعه وهو يتمثل بهذا البيت

لم اكن من جناتها علم الله   وانني لحر بها اليوم صالِ

ثم خرج إلى جند المأمون الذي كان بإمرة عيسى الجلودي فقاتلهم اشد قتال ولما نفذ الزاد والماء من عنده جعل اصحابه يتفرقون . فلما رأى ذلك طلب الأمان له ولمن معه من الطالبيين . فأمنه الجلودي وارسله إلى المأمون بخراسان ولما وصلها اكرمه وادنى مجلسه وتحمل منه ما لا يتحمله السلطان من رعيته . وكان محمد يركب إلى المأمون في موكب فخم من بني عمه . ولم يمكث إلا يسيراً حتى توفي عنده سنة ٢٠٣ هـ بخراسان وقيل بجرجان . فركب المأمون ليشهد جنازته فلقيهم قد خرجوا به فلما نظر إلى السرير ترجل ومشى حتى دخل بين عمودي السرير فلم يزل بينهما حتى وضعه على لحده ثم صلى عليه ودخل قبره وبقى حتى دفن فقال له عبد الله بن الحسن قد تعبت ياامير المؤمنين فلو ركبت . فقال المأمون — إن هذه رحم قطعت من مائتي سنة —

وكان عابداً فاضلا شجاعا يصوم يوما ويفطر يوما (١) » وكان محمد هذا حياً أيام توفي الإمام الرضا « أنفذ اليه المأمون وإلى جماعة من آل ابي طالب فلما حضروا نعاه — بعد ان كتم امر موته ثلاثة ايام — اليهم وبكى واظهر حزنا شديداً وتوجعا ثم امر بغسله وتكفينه وخرج مع جنازته حتى دفنه في دار حميد بن قحطبة في قرية يقال لها سناباذ من ارض طوس وفيها قبر هارون الرشيد وقبر ابي الحسن الرضا (ع) صار بين يديه في قبلته (٢) »وعلى قبره اليوم بناء فخم بديع غاية الإبداع وفيه آثار ثمينة يندر وجودها وله

---

(١) بتلخيص وتصريف من ج٢ ص١١٣ من تاريخ الخطيب البغدادي وص٣٥٣ من مقاتل الطالبيين وص٣٠٥ من ارشاد المفيد   (٢) ص٣٧٢ من المقاتل وص٣٣٩ من الارشاد

أوقاف كثيرة في إيران :

« وتوفي الرضا رضي الله عنه عن خمسه ذكور وبنت أجلهم (محمدالجواد) لكنه لم تطل حياته . وقد احسن اليه المأمون وبالغ في إكرامه لما ظهر له من فضله وعلمه ، وكمال عظمته وظهور برهانه مع صغر سنه ، وعزم المأمون على تزويجه بإبنته أم الفضل وصمم على ذلك ، فمنعه العباسيون خوفاً من ان يعهد اليه كما عهد إلى أبيه ، فلما ذكر لهم انه إنما اختاره لتميزه على كافة أهل الفضل علما ومعرفة وحلما مع صغر سنه ، نازعوه في اتصاف محمد بذلك ، ثم تواعدوا على أن يرسلوا اليه من يختبره . فأرسلوا يحيى بن اكثم ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمداً ، فحضروا للخليفة ومعهم ابن اكثم وخواص الدولة ، فأمر المأمون بفرش حسن لمحمد فجلس عليه ثم سأله يحيى عدة مسائل أجابه عنها محمد أحسن جواب واوضحه ، فقال له الخليفة أحسنت يا ابا جعفر فإن شئت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة . فسأله محمد فقال يحيى لا ادري فأجاب عنه محمد الجواد : فعند ذلك قال المأمون للعباسيين قد عرفتم ما كنتم تنكرون . ثم زوجه في ذلك المجلس بنته ام الفضل ثم توجه بها إلى المدينة ثم قدم بها بطلب من المعتصم في ٢٨ محرم سنة ٢٢٠ هـ وتوفي فيها آخر ذي القعدة ودفن في مقابر قريش في ظهر جده الكاظم وعمره خمس وعشرون سنة ويقال انه سم ايضاً (١) »

فأنت ترى ان الله سبحانه قد قيّض المأمون لمحمد الجواد حتى شهّر بفضله وأظهره للملأ وقربه وقدمه على كافة الناس حتى العباسيين . فكان ذلك دافعاً قوياً لإظهار سواد الشيعة اعتقادهم بإمامة الجواد (ع) :

ولولا ذلك لأنكرها كثير منهم وانحصر الإعتراف بها في الخواص الذين سمعوا النص من ابيه عليه وثبت لهم الدليل القاطع على أن صغر السن لا يمنع

---

(١) بتلخيص عن ص ١٢٦ من الصواعق

من الإمامة لمن حاز جميع الفضائل المؤهلة لها وتميز على جميع الخلق خلقاً وحلماً وتقى وشرفاً باسقاً ومجداً مؤثلا .

ومع ذلك كله فإن قوماً من شيعة أبيه قد شكوا — على ما قيل — في إمامته إذ مات أبوه وهو صغير عمره ثمان سنوات وتمكنت هذه الشبهة من بعضهم ورجع البعض الآخر إلى إمامته عليه السلام .

وليست هذه الشبهة (شبهة صغر السن) وليدة عصر هؤلاء الشاكين وإنما هي قديمة جداً حيث تولدت قبل عصرهم بسنين وتشبث بها كثير من الناس . وقبل وفاة الجواد نص على إمامة ولده علي الهادي عليهما السلام . وعبر عنه ابن حجر (بعلي العسكري) حيث يقول « وتوفي الجواد عن ذكرين وبنتين أجلهم علي العسكري ، سمي بذلك لأنه لما وجه المتوكل لإشخاصه من المدينة إلى سامراء واسكنه بها وكانت تسمى بالعسكر فعرف بالعسكري . وكان وارث ابيه علماً وسخاء توفي رضي الله عنه بسر من رأى في جمادى الآخرة ودفن بداره وكان المتوكل أشخصه اليها سنة ٢٤٣ هـ فأقام بها إلى أن قضى عن اربعة ذكور واناثى أجلهم ابو محمد الحسن الخالص وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري (١) »

وعلى كل فقد نص الهادي — حين وفاته أيام المعتز — على إمامة ولده الحسن العسكري عليهما السلام . واعتقد بها اكثر الشيعة عدا قوم « قالوا بإمامة أخيه جعفر بن علي وكان لهم رئيس يقال له فلان الطاحن كان من أهل الكلام قوى أسباب جعفر بن علي وأمال الناس اليه ، وأعانه فارس بن حاتم

---

(١) ص١٢٧ من الصواعق وما جعله ابن خلكان هو المعروف المشهور عند الشيعة فإذا قيل العسكري ينصرف الذهن إلى الحسن دون ابيه علي وقد يطلق العسكري على علي الهادي ولكنه بقلة وكلا الاطلاقين جائز لأن كلا منهما قد سكن سر من رأى المسماة بالعسكر يومئذ

ابن ماهويه(١) وقووا امر جعفر بعد موت أخيه الحسن واحتجوا بأن الحسن مات بلا خلف فبطلت إمامته (٢) »

ظهور النصيرية وحال الشيعة

.. وفي ايام الحسن العسكري (ع) ظهر « النصيرية أتباع محمد بن نصير الفهري او النميري . و كثروا بعد وفاة الحسن ثم قلوا ولم يزالوا كذلك الى يومنا هذا . وجلهم في جبال اللاذقية لا نعرف من عقائدهم شيئاً على التحقيق وإنما يشاع عنهم انهم يغالون في علي أمير المؤمنين (ع) أي يقولون بربوبيته على عكس ما هو معروف من مقالة ابن نصير الزعيم الاول للنصيرية . وعلى كل فقد تبرأ الحسن العسكري من مقالات ابن نصير واتباعه على تلك المقالات الفاسدة . وستمرى برائته منهم في مبحث الغلاة انشاء الله تعالى :

ولقد ضعف امر الشيعة في ايام الحسن العسكري وأبيه الهادي عليهما السلام وساءت احوالهم المادية والاجتماعية والسياسية ايضاً . من جراء تلك النكبات الشديدة التي أنزلها عليهم الحكام والسلاطين وخصوصاً المتوكل العباسي الذي روع الامام الهادي وهدم قبر الشهيد الحسين بن علي عليهم السلام ومنع من زيارته اشد منع :

وكما مني الهادي واشياعه بالمتوكل ومن تلاه . مني أبنه العسكري بالمعتز والمعتمد . وفي ايام المعتمد توفى الحسن العسكري « ويقال انه سُمم ايضاً ، ولم يخلف غير ولده — ابي القاسم محمد الحجة — وعمره عند وفاة

---

(١) فارس هذا غال ملعون قد فسد مذهبه وتُبرأ منه . وقتله بعض اصحاب ابي محمد الحسن العسكري (ع) لا يلتفت إلى حديثه وله كتب كلها تخليط . وروي ان العسكري تبرأ منه وكتب هذا فارس بن حاتم بن ماهويه لعنه الله يعمل من قبلي فتانا داعيا إلى البدعة ودمه هدر لكل من قتله فمن هذا الذي يريحني منه وأنا ضامن له على الله الجنة – انظر صفحة ٢٥٧ من منهج المقال

(٢) مجلد ١ صفحة ٩٧ من ملل الشهرستاني

أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة . وسمي المنتظر لانه ستر بالمدينة وغاب (١) »

وهو الإمام الثاني عشر للشيعة الاثنى عشرية لأن أباه نص (٢) على إمامته بحضور الخلص من شيعته ولكنه امرهم بالكتمان خوفاً عليه وعليهم :

يقول المفيد « وكان الحسن العسكري (ع) قد اخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وشدة طلب السلطان له واجتهاده في البحث عن امره . وقد سعى عمه جعفر بن علي في حبس جوارى أبيه واعتقال حلائله وشنع على اصحابه بانتظارهم ولده وقطعهم بوجوده والقول بإمامته ، واغرى بهم القوم حتى اخافهم وشردهم . وحاز جعفر تركة ابي محمد واجتهد في القيام عند الشيعة مقامه فلم يقبل احد منهم ذلك ، فصار الى سلطان الوقت يلتمس منه مرتبة أخيه وبذل له مالاً جليلاً ، وتقرب بكل ما يظن انه يقربه فلم ينتفع ، بل قال له الوالي (الذي طلب منه المرتبة وبذل له المال) يا احمق السلطان جرّد سيفه في الذين زعموا ان أباك وأخاك أئمة ليردهم عن ذلك فلم يتهيأ له ، فإن كنت عند شيعة ابيك وأخيك إماماً فلا حاجة لك الى سلطان يرتبك مراتبهم وإن لم تكن بهذه المنزلة لم تنلها بنا ثم حجبه عنه حتى مات الوالي . والسلطان يطلب اثر ولد الحسن إلى اليوم وهو لا يجد الى ذلك سبيلا ، وشيعته مقيمون

---

(١) صفحة ١٢٧ من الصواعق

(٢) قال المفيد في الارشاد (صفحة ٣٧٣) - وقد سبق النص عليه في ملة الإسلام من نبي الهدى (ص) ثم من امير المؤمنين علي (ع) ونص عليه الأئمة واحدا بعد واحد إلى أبيه الحسن ونص ابوه عليه عند ثقاته وخاصة شيعته » وذكر ابن حجر في الصواعق (صفحة ١٠٠) ما أخرجه مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي وآخرون - من ان النبي (ص) قال المهدي من عترتي من ولد فاطمة : واخرج احمد وابوداود والترمذي وابن ماجه انه (ص) قال - لولم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله فيه رجلا من عترتي ، وفي رواية لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»

على انه مات وخلف ولدا يقوم مقامه في الإمامة (١) »
وإسم (الولد) محمد ولقبه المهدي والمنتظر والحجة والقائم وصاحب الزمان ، وكنيته أبو القاسم ، ولد سنة ٢٥٥ وقيل سنة ٢٥٦ هـ وله غيبتان صغرى وكبرى وكان بدء الكبرى سنة ٣٢٩ وهي السنة التي انقطعت فيها السفارة بينه وبين شيعته ، وكان عمدة سفرائه (٢) أربعة —١— عثمان بن سعيد العمري الأسدي وكان قبل ذلك وكيلاً لأبي محمد الحسن العسكري عليهما السلام —٢— ومحمد بن عثمان بن سعيد المعروف بالخلاني وكانت وفاته سنة ٣٠٤ هـ —٣— والحسن بن روح النوبختي توفى سنة ٣٢٦ هـ —٤— وعلي بن محمد السمري أو السيمري توفى سنة ٣٢٩ هـ وقبل وفاته بأيام أخرج توقيعاً إلى الناس ينذر بانقطاع السفارة ووقوع الغيبة الكبرى إلى ان يأذن الله سبحانه بالظهور . موقعاً بإسم محمد المهدي (ع) وكل ذلك مذكور تفصيلا في كتاب منهج المقال وغيبة الشيخ الطوسي ولقد شاهد هؤلاء السفراء وكثير من علماء الشيعة يومئذ إمامهم محمد المهدي قبل غيبته الكبرى وسألوه عن الاحكام التي اشكلت عليهم (٣)

وبالرغم من ثبوت ولادته والنص على امامته ورؤيته وسؤاله « قيل ان الشيعة اختلفوا في امره وافترقوا بعد موت ابيه احدى عشرة فرقة (٤) » من جملتها الفرقة التي قالت ان الحسن قد مات وخلف ولداً يقوم مقامه في الإمامة

---

(١) بتلخيص من صفحة ٣٦٦ و٣٦٨ من ارشاد المفيد

(٢) لقد ادعى السفارة له عليه السلام جماعة من الغلاة اولهم ابو محمد المعروف بالشريعي واسمه الحسن وابن نصير النميري واحمد بن هلال الكرخي وابو طاهر محمد ابن علي بن بلال والحسين الحلاج وهو من السنة ، ومحمد بن ابي العزاقر الشلمغاني الذي قتل سنة ٣٢٣ وظهرت توقيعات من الحجة بلعن هؤلاء والبراءة منهم — انظر صفحة ٢٥٧ وص ٣٧٩ من غيبة الشيخ الطوسي »

(٣) انظر صفحة ٣٨٠ من ارشاد المفيد وغيبة الطوسي تر اسماء الذين أدركوه وشاهدوه وسألوه (٤) مجلد ١ صفحة ٩٨ من ملل الشهرستاني

وهو ثاني عشر الأئمة الميامين عليهم السلام . وتسمى هذه الفرقة بالاثنى عشرية لحصرها الامامة في اثنى عشر اماماً كلهم من اشرف بيت في قريش ، عملاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا ينقضي هذا الامر حتى يمضي فيهم إثنا عشرة خليفة كلهم من قريش (١)» وعن ابن مسعود انه قال صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر كعدة نقباء بني اسرائيل (٢)» وعن جابر بن سمرة انه قال صلى الله عليه وآله وسلم يكون بعدي إثنا عشر اميراً كلهم من قريش (٣)»

وكانت الاكثرية الساحقة — ولم تزل — في جانب الاثنى عشرية من بين طوائف الشيعة الثلاث . وكان لهم عدة دول كالدولة الحمدانية في سوريا التي ظهرت سنة ٢٩٣ ه وانقرضت سنة ٣٦٨ ه والدولة البويهية في العراق وقسم في إيران ظهرت سنة ٣٣٤ ه وقرضت سنة ٤٣٧ ه والدولة المزيدية في الحلة ونواحيها ، ظهرت سنة ٤٠٣ ه وقرضت سنة ٥٥٨ ه والدولة الصفوية في بلاد ايران ظهرت سنة ٩٠٥ ه وقرضت سنة ١١٤٩ ، ثم الدولة الافشارية التي اسسها نادر شاه افشار سنة ١١٤٩ ه وانقرضت سنة ١١٧٧ ه ثم الدولة الزندية ظهرت سنة ١١٧٧ ه وانقرضت سنة ١٢٠٢ ه ثم الدولة القاجارية وكان ابتدائها سنة ١٢٠٢ وانتهائها سنة ١٣٤٤ ه على يد رضا شاه بهلوي . ولم تزل دولة البهلوي باقية الى يومنا هـذا . وهي وان كانت شيعيـة اثنى عشرية — إلا انها أخذت تتدرج في الابتعاد عن شعائر الشيعة والاسلام . وفي التقرب من الافرنج وتقليدهم التقليد الأعمى على طبق ما فعله (اتاتورك) الذي اسس هذه السنة الهوجاء للبهلوي ولأمان الله خان ملك الافغان المخلوع من الشعب .

ولو اقتصر هؤلاء الملوك العظام على اخذ المحاسن الافرنجية ونبذ تلك

---

(١) مجلد ٢ صفحة ٧٩ من صحيح مسلم (٢) صفحة ١٢ من الصواعق

(٣) صفحة ١١٦ من الصواعق

المساوي التي يأباها العقل ويبتعد عنها ذو الشرف العالي ، والتي لم يزل عقلاء الافرنج يئنون من نتائجها المردية وآثارها الهدامة للاخلاق الفاضلة والمجتمع الإنساني .

وكما كان للاثني عشرية عدة دول — كان لهم عدة وزراء في الدولتين العباسية والفاطمية وغيرهما ، نذكر منهم — مؤيد الدين محمد بن عبد الكريم القمي من ذرية المقداد (رض) كان وزيراً للناصر العباسي (١) ثم للظاهر ثم للمستنصر ، وتوفي هذا الوزير الكبير سنة ٦٢٩ هـ . ومؤيد الدين أباطالب محمد بن احمد العلقمي (٢) « ولى الوزارة اربع عشرة سنة للمستعصم آخر

---

(١) يقول الفخري (صفحة ٢٣٦) « كان الناصر العباسي يرى رأي الإمامية ومات سنة ٦٢٢ هـ » بعد ان تخلف ٤٧ سنة لأنه تولى الخلافة سنة ٥٧٥ هـ وكانت ولادته سنة ٥٥٢ هـ فيكون عمره ٧٠ سنة وكان يحب اهل البيت ويكرم الشيعة ويعتقد بالإمام الثاني عشر وله آثار في مقام الامام بسامراء تدل على تشيعه وأما قوله

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا ... بالود يخبر ان اصلك طاهر
غصبا علياً حقه إذ لم يكن ... بعد النبي له بيثرب ناصر
فابشر فإن غدا عليه حسابهم ... واصبر فناصرك الامام الناصر

فهو من اوضح الأدلة على تعمقه بالتشيع ، وهذه الابيات جوابا لأبيات علي بن صلاح الدين الايوبي الذي شكى فيها من عمه ابي بكر واخيه عثمان الايوبيين اولها

مولاي ان ابا بكر وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
فخالفاه وحلا عقد بيعته ... والامر بينهما والنص فيه جلي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي ... من الأواخر ما لاقى من الاول

ذكر هذه الابيات وابيات الناصر جماعة من المؤرخين منهم ابن خلكان (ج ١ ص٤٦٩ من وفيات الاعيان

(٢) قال عنه الفخري (ص٢٤٦) « هو اسدي اصله من النيل (قرية قرب الحلة) وقيل لجده العلقمي لأنه حفر النهر المسمى بالعلقمي . كان ابن العلقمي فاضلا كاملا لبيبا كريما وقورا محبا للرئاسة كثير التجمل . وكان يحب اهل الأدب ويقرب اهل العلم صنف له الصغاني اللغوي كتاب العباب وهو كتاب كبير عظيم في لغة العرب . وصنف له عبد الحميد شرح نهج البلاغة فأثابهما واحسن جائزتهما ، وكانت خزانته تشتمل

خلفاء العباسيين ببغداد . ولما دخل هولاكو المغولي بغداد سنة ٦٥٦ ﻫ أقر ابن العلقمي على وزارته وبقي وزيراً الى ان توفي مستهل جمادي الآخر سنة ٦٥٧ ﻫ عن ثلاث وستين سنة ، ودفن في مشهد الامام موسى جعفر (ع) وأمر السلطان ان يكون ابنه عز الدين ابو الفضل وزيراً بعده (١) »

« وابا علي بن كفيتات ابن الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالي كان وزيراً للحافظ الفاطمي بمصر سنة ٥٢٤ ﻫ وقام بالامر احسن قيام ، وكان امامياً متشدداً في ذلك ، قد خالف ما عليه الدولة من مذهب الاسماعيلية وأظهر مذهب الإمامية ، وتمسك بالائمة الاثنى عشر ، ودعا على المنابر للقائم بآخر الزمان المعروف بالامام المنتظر ، واسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الذي ينسب اليه الاسماعيلية ، وقتل ابو علي هذا في ١٦ محرم سنة ٥٢٦ ﻫ بالقاهرة (٢) »

« وأبا الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين طلابع بن رزيك كان من الشيعة الامامية واستوزره الفائز الفاطمي في ١٩ ربيع الاول ٥٤٩ ﻫ فباشر البلاد احسن مباشرة ، ثم استوزره العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وتزوج العاضد ابنته ، وقتل طلابع هذا يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ ﻫ رحمه الله وكانت ولادته سنة ٤٩٥ ﻫ وقد رثاه الفقيه عمارة اليمني (المقتول بأمر صلاح الدين على التشيع سنة ٥٦٩ ﻫ) بقصيدة أولها:

على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب ' وكان ممدوحا مدحه الشعراء وانتجعه الفضلاء ، وكان خواص المستعصم جميعهم يكرهونه ويحسدونه ، وكان الخليفة يعتقد فيه ويحبه فكثروا عليه عنده فكف يده عن اكثر الأمور ' ونسبه الناس إلى انه خامر وليس ذلك بصحيح » وقد براءه من هذه المخامرة الشائنة علي ظريف الاعظمي البغدادي انظر ص١٢٤ من كتابه « مختصر تاريخ بغداد » تر الادلة العقلية والنقلية على براءة هذا الوزير الجليل

(١) مجلد ٢٠ صفحة ٢٨٨ من العرفان (٢) ج ٤ ص ٤٦ و١٦٠ من خطط المقريزي وج ١ صفحة ٣٧١ من وفيات الاعيان بتلخيص

أفي أهل ذا النادي عليم اسائله　　فإني لما بي ذاهب اللب ذاهله

ودفن طلايع بالقاهرة ثم نقله ولده العادل في تابوت سنة ٥٥٧ هـ وركب خلفه العاضد الى تربته بالقرافة الكبرى ورثاه ايضاً عمارة اليمنى بقصيدة طويلة من غرر الشعر ، منها في وصف التابوت :

وكأنه تابوت موسى أودعت　　في جانبيه سكينة ووقار

ولعمارة فيه مراث كثيرة غير هذه ، وكان الصالح طلائع قد بني الجامع الذي على باب زويلة بظاهر القاهرة ، وكان شجاعاً كريماً جواداً فاضلاً محبباً لاهل الأدب ، جيد الشعر رجل وقته فضلاً وعقلاً وسياسة وتدبيراً ، وكان مهاباً في شكله ، عظيماً في سطوته ، محافظاً على الصلوات فرائضها ونوافلها ، شديد المغالاة (؟) في التشيع ، صنف كتاباً سماه « الاعتماد » في الرد على اهل العناد جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وله شعر كثير يشتمل على مجلدين في كل فن : فمنه

يا أمة سلكت ضلالاً بيناً　　حتى استوى إيمانها وجحودها

مائم إلى ان المعاصي لم يكن　　إلا بتقدير الإله وجودها

لو صح ذا كان الإله بزعمكم　　منع الشريعة ان تقام حدودها

حاشا وكلا أن يكون إلها　　ينهي عن الفحشاء ثم يريدها (١) »

هذه هي جل الطوائف التي تشعبت من الشيعة في عهد الائمة النجباء عليهم السلام وقد علمت — مما تقدم — خروج اكثرها عن التشيع الحق لما ابتدعه من العقائد الفاسدة والغلو القبيح الذي سبب برائة الائمة من اولئك المبتدعين وأتباعهم . ولقد حدث بعد عهدهم عليهم السلام (أي بعد الغيبة الصغرى للامام الثاني عشر) عدة طوائف غالية انتحلت حب اهل البيت واضمرت بغضهم وعدها بعض المؤلفين من الشيعة جزافاً بدون مستند ولا برهان :

---

(١) ج ٤ ص ٨١ من خطط المقريزي وج ١ صفحة ٣٥٢ من تاريخ منقريوش الصغير في وج ١ صفحة ٢٣٨ من وفيات الاعيان

منها طائفة « القرامطة » الذين أحدثوا مذهبهم سنة ٢٧٨هـ وانتحلوا حب أهل البيت كما أخبر عنهم أمير المؤمنين (ع) بقوله « ينتحلون لنا الحب والهوى ويضمرون لنا البغض والقلى ٠ وآية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم أحداثنا » ذكر ذلك ابن ابي الحديد — ج٢ص٥٠٨ — من شرح النهج ثم قال بعد ذلك « وصح ما اخبر به عليه السلام لأن القرامطة قتلت من آل ابي طالب خلقاً كثيراً وأسماؤهم مذكورة (١) في مقاتل الطالبيين لأبي الفرج »

وحدث في الغيبة الكبرى — أي في أواخر القرن الرابع — مذهب « الدروز » وهو فرع من مذهب الاسماعيلية الباطنية على ما قيل « ظهروا في أواخر أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي ٠ وقالوا بأنه إله وان القدرة الإلهية حلت فيه وجاؤوا إلى جبل لبنان (٢) وهم متفرقون بين لبنان وحوران والجبل الأعلى من أعمال حلب ، ومنهم في زكت رأس بيروت وتيامنة دمشق نسبة إلى وادي التيم (٣) » وإذا عرفنا جل الطوائف المتشعبة من الشيعة فلنستوضح الآن

ما هي الأسباب الموجبة لتشعب تلك الطوائف

ولا غرابة في مثل هذا الاستيضاح عن مثل هذه الأسباب لأنه كطبيعي في كل من علم عقيدة التشيع الأولى الساذجة البعيدة عن الغموض والابهام ، والمرتكزة على دعائم الإسلام الأساسية الواضحة المتفق عليها — عند الشيعة — من نشأتهم إلى ما ينوف عن ربع قرن ٠ ولكنهم أصيبوا — بعد ذلك — بهذا التشعب الفاضح الذي يبعث المرء حثيثاً على استيضاح أسبابه الكثيرة من اجتماعية وسياسية وطبيعية أيضاً

---

(١) لم اعثر في مقاتل الطالبيين على غير قوله ص٤٣٣ « وقتل القرمطي المعروف بالجنابي رجلا من طباطبا لم يقع إلي نسبه ٠ وقتل جماعة من العلويين يقال لهم بنو الاخيضر لم يقع إلى انسابهم » (٢) ص٣١٦ من تاريخ العلويين النصيرية

(٣) ج١ صفحة ٣٢٨ من اقرب الموارد

ولا اخفي على القارئ الكريم عدم استطاعتي — في هذه العجالة — من ضبط تلك الاسباب المتشعبة الأطراف والمناحي • ولذا أستميحه العذر على اختصارها وذكرها مجملة ثم مفصلة بعض التفصيل

أما المجملة فمعلوم — لدى العارفين — ما للبيئة التي حصل فيها تشعب أكثر الفرق — من التأثير العظيم على العقول وطبعها بطابعها الخاص من اعتراض الشبهات وسرعة التقلب في المذاهب والآراء • ومعلوم لديهم أيضاً ما للقوة القاهرة والسياسة المتلونة من الأثر الفعال في إضعاف العقائد المضادة لأغراض الساسة وأطماعهم الشخصية • أو إلجاء أهل تلك العقائد إلى التكتم فيها (على الأقل) وعدم إظهارها حتى لأبنائهم وخاصتهم • فتأخذ حينئذ بالتلاشي تدريجاً ويسهل على بقية العقائد أن تتسرب إلى عقول أولئك الأبناء والخاصة

ويجب الالتفات — هنا — إلى ان تلك القوة وهاتيك السياسة قد رافقتا الشيعة في أغلب أدوارهم وعلى الأخص في الدور الأول • فإنه الدور الذي ظهروا فيه بكثرة • ونالهم من البلاء والضغط الشديد على حريتهم المذهبية ما لا يحصى — وقد تقدم شرح بعضه — فالتجأوا إلى زيادة التكتم بكثير من عقائدهم وخصوصاً عقيدة الإمامة • ولم يكن التكتم خاصاً بالشيعة دون أئمتهم لأنا نرى جل الأئمة كانوا يتهيبون التصريح بإمامتهم والتدليل عليها حتى أمام الكثير من شيعتهم

وهكذا كانوا في بقية الأدوار وخصوصاً دور المتوكل العباسي الأليم :

أضف إلى ذلك ما دخل في الشيعة من الخليط الذي لم يدخل التشيع قلبه تماماً ولم يكن مخلصاً في تشيعه فكان آلة مفرقة بين الشيعة يحركها ذوو السلطان المغالون في كره التشيع والدائبون على محوه من صحيفة الوجود أو تشويه سمعته الطيبة على الأقل • وأضف اليه أيضاً ما ظهر احيانا من كرامات الأئمة الميامين التي لم تتحملها عقول البعض من الشيعة فغلوا فيهم وألهوهم رغم استنكار

الأئمة ذلك

هـذه صورة إجمالية لأسباب التشعب . واليكها بنوع من التفصيل :

أما « السبائية » (وهم أول فرقة تشعبت — على الأرجح — وخرجت من الشيعة لغلوها في علي (ع)) فالسبب في تشيعهم وغلوهم هو ان زعيمهم عبد الله بن سبأ كان دخيلا في إسلامه وتشيعه متصنعاً في حبه لأهل البيت (ع) وأقوى دليل على ذلك مخالفته إياهم في ابتداع فكرة الغلو التي كانت السبب الوحيد لبراءتهم منه ومن جميع الغلاة . والباعث القوي لأمير المؤمنين على افناء قسم منهم بالنار

ومع ذلك فقد ظهرت هذه البدعة الضالة وسرت سريان الوباء إلى نفر من أهل العراق « كانوا من ركاكة البصائر وضعفها على حال مشهور فلا عجب من مثلهم أن تستخفهم المعجزات — التي رأوها من علي (ع) فيعتقدوا في صاحبها أن الجوهر الإلهي قد حل فيه . وقد قيل أن جماعة من هؤلاء كانوا من نسل النصارى واليهود وقد كانوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول في انبيائهم فاعتقدوا فيه عليه السلام مثل ذلك . ويجوز أن يكون أصل هذه المقالة من قوم ملحدين أرادوا إدخال الإلحاد في دين الإسلام (١) »

وأما « الخوارج » فالسبب في تشعبهم وخروجهم — مكيدة عمرو بن العاص يوم صفين برفع المصاحف وتعمية هذه المكيدة على عقولهم البليدة الجامدة آنا والمتقلبة آنا آخر ولكن التقلب في الآراء والمذاهب كان متأصلا في بيئتهم من قديم الزمان . أضف إلى ذلك عنادهم العجيب وجهلهم الفاضح بالاحكام .

أنظر إلى عنادهم يوم حاجّهم عليّ (ع) وأجابوه بقولهم « أنت صادق في جميع ما تقول غير أنك كفرت حين حكمت الحكمين (٢) » وانظر إلى جهلهم

---

(١) ج ٢ ص ١٧٦ من شرح النهج (٢) ص ٢١١ من الاخبار الطوال للدينوري

لما خرجوا إلى النهروان « ووثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فيه فصاحوا به أخذتها بغير حدها فلفظها من فيه تورعاً . وعرض لرجل منهم خنزير فقتله فقالوا هذا فساد في الأرض . ثم لاقوا عبد الله بن خباب و كان صحابياً فسألوه عن علي بعد التحكيم فأثنى خيراً فقربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه وبقروا أم ولده عما في بطنها و كانت حبلى (٣) »

وأما « الكيسانية » فنشعبهم كان في زمن اضطرب فيه أمر الشيعة أشد اضطراب و كانت أمورهم بل أمور عامة المسلمين في شبه فوضى . لأن الفتن يومئذ أي يوم تشعب الكيسانية قد كثرت كثرة هائلة واختلط الحابل بالنابل . فقام عبد الملك يدعي الخلافة بالشام . وعبد الله بن الزبير يدعيها بالحجاز والمختار يدعيها لابن الحنفية في العراق ويدعي أنه وكيله . فراجت دعواه هذه في أسواق الكوفة وتقبلها نفر غير قليل من بسطائها فسموا الكيسانية من ذاك الحين

والذي ساعد على تقبل دعوى المختار ظهوره بمظهر الآخذين بثار الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام ورغبة أهل الكوفة الذين تخاذلوا عن نصرة الحسين قبل ذلك في أخذ الثأر وغسل العار الذي لحقهم من وراء تخاذلهم هذا . والخلاص أيضاً من نير الاضطهاد الأموي الذي ضيق عليهم بعد ما أمن الأمويون من صولة الحسين وأهل بيته .

وهناك سبب آخر لنجاح المختار في دعوته . هو بعد علي بن حسين عن الكوفة يومئذ (لأنه كان في قبضة ابن الزبير عدو الهاشميين الألد) وعدم استطاعته أيضاً من الجهر بإمامته في الحجاز وفي العراق ولا التدليل عليها وإبطال غيرها . وهكذا كان حاله بعد قتل ابن الزبير وتولي عبد الملك وهكذا كان

---

(٣) بتلخيص من ج ١ ص ٢٠٦ من شرح النهج وص ٩٩ من كتاب تلبيس ابليس لابن الجوزي

حال بقية الأئمة (ع) ماعدا الإمام الرضا فإنه صرح قليلا بإمامته واستدل عليها حتى رجع نفر ممن وقف على أبيه إلى القول بإمامته — كما سيأتي بيانه :

وأما « الزيدية » فكان السبب في تشعبهم ظنهم أن زيد بن علي السجاد كان يدعي الإمامة لنفسه وأنه خرج بالسيف لذلك « والحقيقة انه ظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات جده الحسين (ع) . واعتقد كثير من الشيعة إمامته وكان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه يدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فظنوه يريد نفسه ولم يكن يريدها لمعرفته باستحقاق أخيه الباقر (ع) للإمامة من قبله ووصيته عند وفاته إلى أبي عبدالله الصادق (١) »

ولم يتمكن الصادق — في تلك الظروف القاسية التي ظهر فيها الزيدية — أن يناظرهم غالباً في شيء من أمر الإمامة . لأنه كان يتكتم فيها ويتقي ملوك عصره ويحذر من وشاتهم وجواسيسهم الكثيرة ومع تكتمه الشديد قد « احضره المنصور وقال له — قتلني الله إن لم أقتلك أتلحد في سلطاني ؟ فقال له الصادق (ع) والله ما فعلت ولا أردت . وان كان بلغك فمن كاذب . فأحضر المنصور ذلك الرجل الذي أخبره وتكلم به أمام الصادق (ع) فطلب الصادق أن يحلفه فأذن له المنصور فحلفه فما برح حتى ضرب برجله ومات (٢) »

وأما « الغلاة » فالسبب في تشعبهم هو عين السبب الذي مر ذكره عند تشعب السبائية . زد على ذلك أن الغلاة ظهروا في أيام الصادق وأبيه الباقر (ع) وقد عرف كيف أعوزهما الامويون والعباسيون إلى القوة التي يتمكنان بها من قمع الغلاة وكبح جماحهم حيث لم تؤثر فيهم تلك الحجج الدامغة ولم تنفعهم

---

(١) ملخص من ص ٢٨٦ من ارشاد المفيد (٢) ص ٢٩٠ من ارشاد المفيد وقد أشار إلى هذه الواقعة ابن حجر ص ٢٢٣ من صواعقه فقال « وسعي به عند المنصور لما حج فلما حضر الساعي قال له الصادق اتحلف ؟ قال الساعي نعم فحلفه الصادق فما أتم حتى مات الساعي مكانه ، فقال امير المؤمنين لجعفر الصادق لا بأس عليك انت المبرأ الساحة المأمون الغائلة »

الذكرى البليغة :

وأما «الاسماعيلية» فكان السبب في تشعبهم ظنهم أن الصادق نص على إمامة ولده اسماعيل ثم دخول الشبهة عليهم في موت اسماعيل قبل ابيه وهكذا «الفطحية» ظنوا ان المنصوص عليه عبد الله بن جعفر الافطح وساعدهم على الظهور بكثرة حراجة موقف الكاظم وتكتمه في الإمامة يروي لنا المفيد عن هشام بن سالم «قال كنا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله الصادق (ع) أنا ومؤمن الطاق . والناس مجتمعون على أن عبد الله الافطح صاحب الأمر بعد أبيه فدخلت عليه أنا وصاحب الطاق فسألناه ثم خرجنا من عنده ضُلّالاً لا ندري إلى أين نتوجه . فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين حيارى . فبينما نحن كذلك إذ رأيت رجلا شيخاً لا أعرفه يومئ إلي بيده فخفت أن يكون عيناً من عيون المنصور الذين كانوا له بالمدينة ينظرون على من اتفق شيعة الصادق (ع) فيضربون عنقه فقلت لصاحبي تنحَّ عني لا تهلك ، إنما الرجل يريدني فتنحى عني غير بعيد فتبعت الشيخ فما زلت أتبعه حتى أوردني على باب ابي الحسن موسى بن جعفر (ع) ثم خلاني ومضى فإذا خادم على الباب يقول لي ادخل فدخلت فإذا ابو الحسن موسى بن جعفر (ع) يقول إلي إلي . . فقلت جعلت فداك مضى أبوك ؟ قال نعم فقلت مضى في موت ؟ قال نعم قلت جعلت فداك من لنا بعده ؟ قال إن شاء الله يهديك قلت أنت هو ؟ قال ما أقول ذلك فقلت أعليك إمام ؟ قال لا فدخلني — حينئذ — شيءٌ لا يعلمه إلا الله إعظاماً له وهيبة . ثم قلت أسألك عما كان يُسأل عنه أبوك قال سل تخبر ولا تذع فإن أذعت فهو الذبح وأشار بيده إلى نحره ، قال فسألته فإذا هو بحر علم فقلت إن شيعتك وشيعة أبيك ضلال أفألقاهم وأدعوهم اليك ؟ قال من آنست منهم رشداً فادعهم وخذ عليهم الكتمان فإن أذاعوا فهو الذبح (١)»

---

(١) بتلخيص عن ص ٣١١ من إرشاد المفيد

أضف إلى ذلك أن الصادق (ع) قد عمى أمر الوصية في الظاهر حرصاً على دم وصيه الكاظم من أن يسفك بيد المنصور الذي « كتب إلى عامله بالمدينة — إن كان الصادق أوصى إلى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه . فرجع الجواب اليه — انه قد أوصى إلى خمسة أحدهم ابو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى وحميدة فقال المنصور ليس إلى قتل هؤلاء سبيل (١) » وزد على هذا أن الكاظم قضى شطراً كبيراً من ايامه في الحبوس « حبسه موسى الهادي أولا ثم اطلقه لأنه رأى علياً رضي الله عنه في المنام يقول — فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم — فانتبه الهادي وعرف انه المراد فأطلقه ليلا (٢) »

وحبسه الرشيد اربع مرات وحجب عنه الشيعة فصاروا في حيرة وفوضى سهلت على دعاة الاسماعيلية والفطحية وأنصار السلطان — أمر تفريقهم والقاء الشبهات عليهم في الوقت الذي لا يجدون فيه من يلجأون اليه في رفع الشبهات وغيرها . لأن أصحاب الكاظم يتكتمون في تلك الظروف أشد تكتم ولا يجترئون غالباً على الجهر بما علموا من أمر الكاظم حذراً من الوشاة وبطش الحكام الذين كانوا يتقبلون كل قول من أعداء الشيعة وجواسيس العباسية

وكان علي بن اسماعيل — وهو ابن أخي الكاظم — من أشد الوشاة ضرراً على عمه . وكذلك يحيى بن خالد البرمكي الفارسي الذي تولى (كما علمت) سم الكاظم (ع) والذي كان يقول « قد افسدت على الرافضة دينهم لأنهم يزعمون ان الدين لا يقوم إلا بإمام حي وهم لا يدرون اليوم ان إمامهم حي أو ميت (٣) »

نعم كان اكثر الشيعة وقتئذ لا يعلمون ان الإمام الكاظم حي او ميت

---

(١) صفحة ١٢٩ من غيبة الطوسي (٢) صفحة ١٢٥ من الصواعق

(٣) صفحة ٣٦٣ من منهج المقال

لأنه كان محجوبا عنهم في الحبوس المتعددة في اغلب ايامه بل قد عرفت انـه استشهد في الحبس مسموماً غريباً لم يحضره احد من عشيرته وشيعته . وكأن هذا هو السبب في انكار « الواقفية » موته وقولهم انه غاب وسيعود ووقفوا على إمامته ولم يعترفوا بإمامة ولده الرضا عليهما السلام . وهناك سبب آخر لتشعب بعض الواقفية وانكارهم موت الإمام عليـه السلام رواه الشيخ الطوسي والإستراباذي عن يونس « قال مات ابو الحسن موسى الكاظم (ع) وليس من قوّامه أحد الا وعنـده المال الكثير . وكان ذلك سبب وقفهم عليـه وجحودهم موته ، وكان عند زياد القندي الانباري سبعون الف دينار وعند علي بن ابي حمزة ثلاثون الف دينار . قال يونس فلما رأيت ذلك وتبين علي الحق وعرفت من أمر الرضا ما علمت تكلمت ودعوت الناس اليه فبعثا إلي وقالا لِمَ تدعو إلى الرضا ؟ ان كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار فلم اقبل فغاضباني واظهرا لي العداوة (٢) » ولكن الإمام الرضا (ع) قد استطاع — بباهر علمه وقوة برهانه وعدم نكتمه غالبا في إمامته حتى في ايام الرشيد (٣) ان يقنع كثيراً من الواقفية ويحملهم على الاعتراف بإمامته والعدول عن الوقف على ابيه (٣) ولما تولى المأمون الأمر واكرم الرضا وشهر بفضله —

---

(١) صفحة ٤٦ من كتاب الغيبة وصفحة ٣٦٦ من منهج المقال

(٢) « دخل علي بن ابي حمزة وابن السراج وابن المكاري — وكلهم واقفة — على الإمام الرضا (ع) فقال له ابن ابي حمزة ما فعل ابوك ؟ قال مضى قال إلى من عهد بعده ؟ قال إلي قال فأنت إمام مفترض الطاعة؟ قال نعم قال ابن السراج وابن المكاري قد امكنك من نفسه . فقال الرضا (ع) ويلك وبما امكنته مـن نفسي أتريد ان آتي إلى بغداد وأقول لهارون الرشيد إني إمام مفترض الطاعة ؟ والله ما ذاك علي ، فقال ابن ابي حمزة لقد أظهرت شيئا ما كان يظهره أحد من آبائك . قال بلى والله لقـد اظهره خير آبائي لما امره الله ان ينذر عشيرته الأقربين — صفحة ١١٠ من منهج المقال »

(١) من هؤلاء الذين عدلوا عن الوقف — عبد الرحمن بن الحجاج ورفاعة بن موسى ويونس بن يعقوب وجميل بن دراج وحماد بن عيسى وغيرهم . وهؤلاء من اصحاب

كثر الشيعة وتظاهروا بالاعتراف له والقطع بموت ابيه الكاظم عليهما السلام ٠ وُسموا يومئـذ بالقطعية ٠ وهكذا قطعوا بموت الإمام الرضا لما مات وقالوا بإمامة ولده الجواد ولم يخالف سوى جماعة قيل انهم انكروا إمامته لصغر سنه كما تقدم بيانه

وبعد هذا كله يمكنك ان تعرف — من مجموع الأسباب السابقة — السبب الذي اوجب تشعب « النصيرية » وتشعب الجماعة الذين قالوا بإمامة « جعفر » ابن علي الهادي وانكروا امامة الحسن بن علي العسكري وإمامة محمد بن الحسن « المنتظر » عليهم السلام ، لأنك قد علمت — قبل — كيف كان سير السلطان في ايام هؤلاء الائمة الميامين ؟ وكيف كان حال الشيعة القائلين بإمامة محمد من الفوضى والضعف والتشتت والخوف ايضاً ٠ وعلمت ما فعله جعفر بن علي من السعاية على محمد وشيعته ، ومن حبس جواري الحسن العسكري واعتقال حلائله في ذلك الوقت العصيب ٠ اضف الى ما تقدم ان مقالة الغلاة وشبهاتهم لم تزل تماماً بل كانت متمكنة من نفوس فئة غير قليلة تبثها بين الناس وتتناقلها من فرد الى آخر حتى ظهرت بصورة كبيرة على يد زعيم النصيرية محمد بن نصير الفهري

وعلى الاجمال كان الشيعة في تلك الظروف القاسية (التي اوجبت على الإمام الثاني عشر (ع) ان يتستر ويغيب عن اعين الحكام) في فوضى واسعة النطاق تنتابهم النكبات وتتقاذفهم الوشايات والدسائس والدعايات وكان المخلصون للإمام عليه السلام أقل قليل

فلا غرابة إذا نجح — يومئذ — جعفر بن علي في دعوته واتبعه جماعة فارس بن حاتم بن ماهويه وغيرهم ٠ كما لا غرابة إذا ظهرت مقالة ابن نصير

أبيه الذين شكوا فيه ثم رجعوا . وكذلك من كان في عصره مثل احمد بن محمد بن ابي نصر ، والحسن بن علي الوشا وغيرهم ممن كان قال بالوقف فالتزموا الحجة وقالوا بإمامته وإمامة من بعده من ولده — انظر ص ٥١ من غيبة الطوسي

وتلقاها البسطاء وتقبلوا منه ادعاءه أولا بأنه الباب للإمام الثاني عشر وأمينه ووكيله في بث الأحكام وجمع الأموال. وثانياً بأنه رسول ونبي ثم إله والاسباب التي أوجبت تشعب الغلاة وغيرهم هي بعينها صالحة لأن تكون أسباباً لتشعب « القرامطة » وظهورهم بذلك المظهر البغيض . وأسباباً أيضاً لتشعب « الدروز » من الاسماعيلية الباطنية لأن الظروف التي ظهر فيها القرامطة والدروز شبيهة كل الشبه بالظروف التي ظهر فيها الغلاة وزيادة على ذلك كثرة الشبه الفلسفية وانتشارها في أيام ظهور القرامطة انتشاراً هائلا لم يكن مثله في عصر الغلاة السابقين . والله اعلم بوقائع الأمور وأسبابها



الفصل الثالث

الخلافة والخلفاء أو اختلاف الأمة الاسلامية فيها

تمهيد

لقد اختلفت الأمة الاسلامية كغيرها من الأمم في أمور كثيرة وخصوصاً حينما مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحينما توفي وبعد ذلك ولكن « اعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان (١) »

وكان مثل هذا الخلاف أثراً طبيعياً مترقباً ونتيجة محتومة لكل أمر اعتقد تفويضه إلى اختيار الناس المتباينين في الاهواء والانظار والميول

وظني انه لولا هذا الاعتقاد لما تولدت تلك الخلافات الكثيرة أو لما وصلت إلى هذا الحد المتسع فبينما تراهم يشترطون في الخليفة الانتساب إلى قريش لقول أبي بكر (رض) « الائمة في قريش (٢) » إذ بآخرين يقولون كما تكون للقرشي تكون لغيره وحجتهم قول عمر (رض) « لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليته (٣) »

---

(١) ج ١ صفحة ٩ من ملل الشهرستاني (٢) ص ١٣٦ من مقدمة ابن خلدون
(٣) صفحة ١٣٥ من المقدمة

وهؤلاء قد وافقوا الخوارج في عدم شرط الانتساب إلى قريش · وعلى قولهم صحت خلافة الترك العثمانيين

و كذلك ترى بعضهم يحصر عدد الخلفاء بخمسة متمسكا بهذا الخبر العليل «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضاً (١) » وانتهت الثلاثون بوادعة الحسن لمعاوية · وآخر يعاكسهم محتجاً بهذا الحديث الصحيح المشهور عنه صلى الله عليه وآله وسلم «لا ينقضي هذا الأمر حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش (٢) »

ولكن هؤلاء تحيروا في أمر الذين زادوا على الاثني عشر فراحوا يخرجون من الخلفاء (بعد الراشدين) ويدخلون ما يشاؤون ، ولقد تنبه للأمر وعرف مغزى الحديث ومرماه الشيخ سليمان الحنفي النقشبندي فقال «لا يمكن أن يحمل هذا الحديث المشهور من طرق كثيرة على الخلفاء بعده من أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم لقلتهم عن اثني عشر · ولا يمكن ان يحمل على الملوك الاموية لزيادتهم على اثني عشر أيضاً ولا يمكن ان يحمل على الملوك العباسيين لزيادتهم على العدد ايضاً · فلا بد أن يحمل على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم كانوا اعلم اهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً (٣)»

وكما اختلفوا في شرط الانتساب إلى قريش وفي عدد الخلفاء اختلفوا أيضاً في كيفية انتخابهم فقال قوم «يحصل باجتماع أهل الحل والعقد من الصحابة» وقال آخرون «يحصل باختيار خمسة من صلحاء المسلمين لواحد منهم كما جرى في خلافة عثمان · او بانتخاب نفس الخليفة لشخص كما فعل أبو بكر بعمر » وبضد هذا القول قول بعضهم «لا يتم الانتخاب إلا برضا جميع الأمة »

---

(١) ج ١ صفحة ١٨٣ من ابي الفداء (٢) ج ٢ ص ٧٩ صحيح مسلم
(٣) ص ٣٧٣ من كتابه « ينابيع المودة »

وقريب منه قول آخرين منهم « لا يتم إلا برضا الجميع ولكن في أيام الهدوء والسكينة وأما في ايام الخلاف بين الأمة فلا » ولكن جمهورهم اتفق اولاً على صحة الانتخاب إذ تولاه اهل الحل والعقد من الصحابة . وهناك اختلفوا فيمن يستحق ان يطلق عليه اسم صحابي « فكان سعيد بن المسيب لا يعد الصحابي إلا من اقام مع رسول الله ﷺ سنة وا كثر وغزا معه . وقال بعضهم كل من ادرك الحلم واسلم ورأى النبي ﷺ فهو صحابي ولو انه صحبه ساعة واحدة . وقال آخرون لا يكون صحابياً إلا من تخصص به الرسول ﷺ وتخصص هو بالرسول ايضا بأن يثق الرسول ﷺ بسريرته ويلازمه في السفر والحضر (١) » ولا يبعد ان يكون هذا القول الأخير اصح الأقوال واقربها إلى الصواب وهو اللائق بذات الرسول المقدسة التي يجب ان تنزه عن نسبة المنافقين ، والمؤلفة ، والطلقاء الذين لم يسيروا على هداه إلى صحبته الشريفة بل يجب تنزيه الصحابة ايضا عن عد مثل هؤلاء في عدادهم

وقد يكون اول خلاف حول الإمامة — إن لم يكن الخلاف الذي جرى يوم طلب الدواة — هو الخلاف الذي جرى في « سقيفة بني ساعدة » قبيل وفاته ﷺ بين المهاجرين والأنصار . وكان مرشح المهاجرين ابو بكر ابن ابي قحافة التيمي ومرشح الأنصار سعد بن عبادة الخزرجي . وكانت حجة المهاجرين السبق إلى الإسلام وكونهم من شجرة الرسول الطيبة . وحجة الانصار الإيواء والنصرة ، ولما كانت حجة الانصار على استحقاق الخلافة واهية جداً زيادة على تسرب الحسد إلى قلوب بعضهم — تغلب عليهم المهاجرون واخذوا البيعة لأبي بكر ممن حضر السقيفة عدا سعد بن عبادة فإنه لم يبايع « فوطئ عمر صدره وقال اقتلوا سعداً قتل الله سعداً (٢) »

وكان هناك فريق ثالث لم يحضر اجتماع السقيفة الفجائي ، اما لعدم اطلاعه

---

(١) ج ١ صفحة ١٥٦ من ابي الفداء (٢) ج ١ صفحة ٥٨ من شرح النهج

على خبر الاجتماع ، او لشكله في تلك الساعة الرهيبة بموت سيد البشر يراه نصب عينيه مسجى بلا غسل ولا دفن . أو لأن سيد هذا الفريق لم يكن يخطر في باله ان يعدل المسلمون عنه إلى غيره وقد بايعوه يوم غدير خم بأمر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبمرأى منه ومسمع

وعلى كل فقد جاؤوا — من بعد بيعتهم تلك له وبعد وفاة نبيهم بلا فصل — يطلبون منه البيعة لأبي بكر (رض) ولكنه امتنع (ع) اولاواحتج وفند حجج المهاجرين بقوله « احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة » وبقوله

فإن كنت بالشورى ملكت امورهم   فكيف بهذا والمشيرون غيب
وان كنت بالقربى حججت خصيمهم   فغيرك اولى بالنبي واقرب (١) »

يريد بالمشيرين نفسه وبني هاشم واجلة الصحابة من شيعته الذين كانوا معه في دار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يستشرهم احد في تلك البيعة المستعجلة التي رآها الخليفة الثاني « فلتة وقى الله شرها وقال من عاد إلى مثلها فاقتلوه (٢) »

وقد استمر جميع هؤلاء الأصحاب على التشيع لعلي والاعتقاد بخلافته إلى آخر نفس من حياتهم . وان بايعوا أبا بكر (رض) على انه خليفة منتخب ثم بايعوا عمر ولم يحنقوا عليه بل آزروه وناصحوه واخلصوا له يوم صار بعضهم من ولاته على الأمصار . ومن امرائه الفاتحين ومن جنده الغازي « كان عمار بن ياسر اميراً على الكوفة من قبل عمر وحضر فتح تستر (٣) »

---

(١) ج٢ صفحة ١٩٣ من نهج البلاغة (٢) ج١ صفحة ١٠ من الملل

(٣) صفحة ١٢٩ من الاخبار الطوال للدينوري وقال الخطيب البغدادي (ج١ ص١٥٠ من تاريخه) — وعمار بن ياسر تقدم إسلامه وهو معدود من السابقين الاولين من المهاجرين والأنصار . وممن عذب في الله بمكة ومر النبي (ص) بعمار وابيه وأمه وهم يعذبون فقال اصبروا يا آل ياسر فان موعدكم الجنة وشهد مع رسول الله (ص) مشاهده كلها ، ونزل فيه — إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان — وغير ذلك من الآيات وشهد مع علي بن ابي طالب حروبه حتى قتل بين يديه بصفين (سنة ٣٧ هـ) وصلى عليه علي ودفنه هناك ولم يغسله . ومناقبه مشهورة وسوابقه معروفة ، استأذن عمار

و «كان عثمان بن حنيف الأوسي الأنصاري عاملا لعمر بن الخطاب على العراق ٠ وأمره عمر بمسح الفرات فمسحه ، ومات عثمان هذا في خلافة معاوية وهو اخو سهل بن حنيف ، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وله رواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم : وكان أيضاً عاملا لعلي (ع) على البصرة يوم خروج طلحة والزبير على الإمام ، فكتبا اليه أن يخلي لهما دار الإمارة ، فاستشار عثمان الاحنف بن قيس فقال — إن هؤلاء جاؤوك للطلب بدم عثمان بن عفان وهم الذين ألبوا عليه الناس وسفكوا دمه فبادرهم قبل ان يكونوا معك في دار واحدة ٠ فقال ابن حنيف الرأي ما رأيت ولكن انتظر كتاب امير المؤمنين (ع) ورأيه ٠ فلما أمره الإمام بالحرب خرج عليهم وحاربهم ، ثم تحاجزوا و كتبوا فيما بينهم كتاب صلح ، ثم لم يلبثوا حتى نكثوا به وأخذوه غدراً وضربوه ضرب الموت ونتفوا حاجبيه واشفار عينيه وكل شعرة في وجهه ورأسه

فكان غدرهم به أول غدر في الإسلام ولقد خلوا سبيله بعد أن أرادوا قتله فلحق بعلي (ع) فلما رآه بكى وقال — فارقتك شيخاً وجئتك امرداً فاسترجع علي عليه السلام (١) »

و «كان حذيفة بن اليمان العبسي أميراً على المدائن استعمله عمر ٠ وكان مضى في سنة ٢٢ هـ إلى نهاوند فصالحه صاحبها على ٨٠٠ درهم في كل سنة ٠ ٠ وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقربه منه وثقته به وعلو منزلته عنده . و كان من اصحاب علي امير المؤمنين واحد الاركان الاربعة سكن الكوفة ومات بالمدائن سنة ٣٦ هـ بعد بيعة امير المؤمنين بأربعين يوماً (٢)»

على النبي (ص) فعرف صوته فقال مرحبا بالطيب المطيب ٠ وقال (ص) لخالد بن الوليد لما كان بينه وبينه شيء — من ابغض عمارا ابغضه الله ومن عادى عمارا عاداه الله — وصح عن النبي (ص) انه قال لعمار تقتلك الفئة الباغية وآخر شرابك ضياح من لبن»

(١) بتلخيص من مجلد ١ صفحة ١٧٩ من تاريخ بغداد للخطيب وج ٣ صفحة ٤٩٢ وصفحة ٥٠٠ من شرح النهج (٢) مجلد ٤ صفحة ٩٦ و ١٠٠ من تاريخ ابن

و « كان البراء بن عازب أمير الجيش الذي فتح قزوين (١) سنة ٢٢ هـ صلحاً وكذا فتح الديلم وفتح زنجان عنوة : وكان البراء قد غزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة ، ونزل الكوفة بعده ، وكان رسول علي بن ابي طالب إلى الخوارج بالنهروان يدعوهم إلى الطاعة وترك المشاقة ، وللبراء روايات كثيرة عن رسول الله ﷺ . ومات في ولاية مصعب بن الزبير (٢) »

و « كان الاحنف بن قيس امير الجيش الذي غزا خراسان سنة ٢٢ هـ وافتتح هراة عنوة ومروروز صلحاً : توفي الأحنف سنة ٦٧ هـ وقيل ٦٨ هـ وقيل سنة ٦٩ هـ واسمه الضحاك بن قيس وعرف بالاحنف لأنه كان احنف الرجل وهو الذي يضرب به المثل في الحلم . وكان سيد قومه موصوفاً بالعقل والدهاء والحلم والذكاء ادرك عهد رسول الله ﷺ ولم يصحبه وكان من كبار التابعين ، شهد مع علي صفين ولم يشهد الجمل ، وقدم على معاوية وعنده وجوه الناس فخطب رجل من اهل الشام في ذلك المجلس ولعن علي بن ابي طالب فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال لمعاوية — ان هذا القائل لا يعلم ان رضاك

عساكر ومجلد ١ صفحة ١٦٠ من تاريخ بغداد وصفحة ٩٦ من منهج المقال

(١) من الغرابة جداً ما جاء في صفحة ١٤٨ من جولة المصري الرابعة وهو قوله « وقزوين بلد صغيرة ولكنها اجمل من همدان لأنها كانت عاصمة الشاه عباس يسترعي النظر .. جامعها بقبته الزرقاء . وقد اقام الصلاة فيه خالد بن الوليد والحسن بن علي الذي كان يصحبه في الفتح الإسلامي » والحال ان خالدا هذا توفي سنة ٢١ هـ قبل فتح قزوين بسنة نص على ذلك ابو الفداء ج ١ صفحة ١٦٤ من تاريخه ونص ابن الاثير ايضا وابن عساكر واثبتوا ان الذي فتح قزوين هو البراء ، وان همدان فتحها حذيفة ابن اليان وافتتح الري ولم تكونا فتحتا من قبل — انظر مجلد ٤ صفحة ١٠٠ من تاريخ ابن عساكر . وانا لم ندر — على كثرة البحث عن هذه المسألة — إلى اي مصدر استند الرحالة في دعوى وصول خالد إلى قزوين المفتوحة بعد موته ؟ ومن دعوى صحبة الحسن ابن علي لخالد في فتوحه ؟ !

(٢) ج ٣ صفحة ٩ من ابن الاثير وج ١ صفحة ١٧٧ من تاريخ بغداد للخطيب

في لعن المرسلين للعنهم فاتق الله ودع عنك علياً فقد قدم على ربه • وكان والله الميمونة نقيبته العظيمة مصيبته • فقال معاوية فأيم الله لتصعدن المنبر وتلعنه طوعاً أو كرها • فقال الأحنف إعفني هو خير لك فألح عليه معاوية ولم يعفه فقال والله لأنصفنك في القول • قال وما أنت قائل • قال أقول — إن معاوية أمرني أن العن علياً • ألا وإن علياً ومعاوية اقتتلا وادعى كل منهما انه مبغي عليه • اللهم العن أنت وملائكتك ورسلك وجميع خلقك الباغي منهما والعن الفئة الباغية لعنا كثيراً أقوله ولو كان فيه ذهاب عنقي فقال معاوية إذن نعفيك من ذلك ولم يلزمه (١) »

و « كان من عمال عمر على المدائن أيضاً سلمان الفارسي • وكان يلبس الصوف ويركب الحمار ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا زاهداً فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص اذكر الله عند همك فبكى سلمان الخ (٢) »

وكان سلمان ممن حضر فتح المدائن « وعبر دجلة مع سعد بن ابي وقاص فعامت خيولهم وهم يتحدثون (٣) وحضرها أيضاً عدي بن حاتم الطائي (٤)

---

(١) ج ٣ ص ١٦ من ابن الاثير وج ١ ص ١٦٦ وص ١٩٥ من ابي الفداء

(٢) ج ١ ص ٤١٧ من مروج الذهب للمسعودي

(٣) ج ٢ ص ١٩٨ من تاريخ ابن الاثير وقال الخطيب البغدادي (ج ١ ص ١٦٣) من تاريخ بغداد « وسلمان من أهل أصفهان ، ويقال من رامهرمز ، ويكنى أبا عبدالله أسلم في السنة الأولى من الهجرة وأول مشهد شهده مع رسول الله (ص) يوم الخندق لأنه كان قبل ذلك مسترقا لقوم من اليهود قبضوا عليه قادما إلى النبي (ص) فكاتبهم (ص) وادى كتابته وعتقه، ولم يزل ملازما له حتى توفي (ص) ولما غزا المسلمون العراق خرج معهم وحضر فتح المدائن ، ونزلها حتى توفي بها في خلافة عثمان • وقبره الآن ظاهر معروف بقرب إيوان كسرى وعليه بناء وله خادم لحفظه ، وقد رأيت الموضع وزرته غير مرة وكان من المعمرين قيل انه أدرك وصي عيسى (ع) وادرك علم الأول والآخر ، وقرأ الكتابين »

(٤) قال الخطيب (ج ١ ص ١٨٩) من تاريخه « وعدي بن حاتم الطائي قدم على رسول الله (ص) فلما رآه النبي نزع وسادة كانت تحته فألقاها له حتى جلس عليها ، وسأله عن أشياء فأجابه عنها ثم أسلم وحسن إسلامه • وحضر فتح المدائن وشهد مع

وحضر وقعة القادسية هاشم المرقال (١) وكان على ميسرة جيش المسلمين ، وحضرها معهم مالك الاشتر النخعي . وكان حجر بن عدي الكندي في وقعة جلولاء مع المسلمين . وكان غير هؤلاء من الشيعة في فتوحات عمر (رض) ذكرهم الدينوري وغيره:

ولكن الرحالة محمد ثابت المصري يعاكس هذه النصوص التاريخية التي تدل على إخلاص الشيعة لعمر وعدم حنقهم عليه . حيث يقول (ص١٤٨ من جولته) «الشيعة : لما مات النبي من غير خلف من الذكور ، قام أبو بكر وأوقف المرتدين وحمل لواء الإسلام إلى الجزيرة ، ولما عاد عمر بن الخطاب واصل دعاية الإسلام بفضل قائديه خالد ومعاوية (?) فحنق عليه قوم واعتقدوا أن الخلافة يجب أن تكون في سلالة الرسول . ولكن كظموا غيظهم حتى مات عمر (?) ثم جاء عثمان وقتل عاجلا (?) وقام علي زوج فاطمة بنت النبي وأب أحفاد رسول الله . وكان الخوارج هم الذين حرضوا على قتل عثمان (?) وأيدوا علياً (?) لكنهم خرجوا عليه هو أيضاً لما رضي بمهادنة خصومه ومن ثمّ سموا الخوارج»

وهذا النغم الجديد في التاريخ . وهذه الغرائب في الأقوال هما اللذان ألزمانا التوسع قليلا في الكلام عن هذه الحوادث التاريخية التي اهتم المؤرخون الشرقيون في تدوينها وتصفيتها حتى أجمعوا على أكثرها ، واودعوه في مؤلفاتهم ثم جاء من بعدهم كتبة الافرنج فدسوا من الأقوال والآراء ما يوافق سياستهم

علي الجمل وصفين والنهروان ومات بعد ذلك بالكوفة سنة ٦٧ هـ زمن المختار وهو ابن مائة وعشرين سنه ، وقيل بقرقيسا »

(١) ترجمه الخطيب (مجلد ١ صفحة ١٩٦ من تاريخه) فقال « هاشم بن عتبة ابن ابي وقاص المعروف بالمرقال ، وهو أخو نافع بن عتبة وابن أخ سعد بن ابي وقاص أسلم يوم فتح مكة وحضر مع عمه سعد حرب القادسية ، وقتل هاشم المرقال مع علي رضي الله عنه بصفين »

وأغراضهم الشخصية في الشرق الإسلامي تحت ستار «فلسفة التاريخ» حتى عمي الأمر على كثير من الشرقيين وراحوا يتلقون تلك الأقوال الغربية الغريبة ويدونونها بغير محاكمة ولا عرض على مصدرها الشرقي الإسلامي العربي . الأمر الذي يدل على عدم الثقة برجالنا ، وعلى عدم الاحتفاظ بثروة الآباء والأجداد : واليك هذه الحوادث على سيرها الطبيعي ، وترتيبها الواقعي ، ومصدرها الوثيق

مرض النبي ووفاته وبيعة ابي بكر

لما مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض الموت دعا أسامة بن زيد وقال له سر إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم «جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه (١)» وقال لما اشتد به وجعه «ائتوني بدواة وبيضاء فأكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً . فتنازعوا فقال قوموا عني ولا ينبغي عند نبي تنازع . فقالوا ان رسول الله ليهجر (٢)»

(١) ذكر ذلك الشهرستاني مجلد ١ صفحة ٩ من ملله وذكره غيره بأسانيد صحيحة معتبرة لم يعترض عليها معترض : ولأجله يحتار المسلم كثيرا عندما يقرأ هذا الأمر المؤكد بتجهيز جيش اسامة وهذا اللعن القارص لمن يتخلف عنه . ويزداد حيرة حينما يعلم ان فئة من الأصحاب الذين تهمهم مصلحة الإسلام وجهاد اعدائه وقلة عصيانهم لأوامر النبي (ص) من قبل - قد تخلفوا عن هذا الجيش الإسلامي المجهز للدفاع عن الإسلام . لذلك تراه لا يستطيع إلا أن يعترف بخطأهم ويستغفر الله لهم . أما ان يتقبل تلك الاعذار الواهية التي اعتذر بها - عن تخلفهم - بعض الكتاب من «ان قلوبهم لا تساعدهم على السير مع الجيش وترك النبي بحالة المرض» فذلك مما لا يستطيعه مادام مؤمنا بوجوب الإمتثال لأوامر النبي (ص) وما دام معتقدا ان النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم واعلم بمصلحة الإسلام منهم . وليدلنا ذلك الرجل كيف لم تساعد تلك القلوب على فراقه (ص) وقد ساعدتهم على مخالفة امره وإغضابه ؟ بقولهم (كيف يستعمل هذا الغلام (أسامة) على جلة المهاجرين والأنصار ؟ حتى احرجوه فأخرجوه عاصبا رأسه قائلا - ايها الناس ما مقالة بلغتني من بعضكم في تأميري اسامة . ائن طعنتم في تأميري اسامة فقد طعنتم في تأميري اباه من قبله - بتلخيص من مجلد ١ صفحة ٥٣ من شرح المعتزلي

(٢) مجلد ١ صفحة ١٥١ من تاريخ ابي الفداء

ويروي الشهرستاني عن البخاري « انه قال لما اشتد به مرضه الذي مات فيه — ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي . فقال عمر: ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله (١) و كثر اللغط فقال النبي عليه السلام قوموا لا ينبغي عندي التنازع . قال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله (٢) » ولقد عظمت هذه الرزية بوفاته (في صفر سنة ١١ هـ وحزيران سنة ٦٣٢ م) وبما جرى بعدها — بلا فصل — من الخلاف العظيم الذي توقعه ﷺ وهو حي وأراد تداركه بذلك الكتاب الذي حيل بينه وبينه ورمي — لما طلب الدواة - بهارمي

كان ذلك الخلاف — كما علمت — حول الخلافة وكان في اليوم الذي توفي فيه النبي ﷺ حيث « اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لتولية سعد بن عبادة والنبي لما يدفن؟! ولما سمع عمر الخبر أقبل إلى منزل النبي ﷺ وأبو بكر فيه وعلي بن ابي طالب دائب في جهاز الرسول ﷺ فأرسل عمر إلى أبي بكر أن اخرج إلي، فأرسل اليه اني مشتغل فأرسل اليه ثانياً انه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره . فخرج اليه فأعلمه عمر الخبر فمضيا مسرعين نحو السقيفة ومعهما أبو عبيدة بن الجراح . فلقيهم رجلان وقالا لهم إرجعوا لا يكون ما تريدون . فقالوا لا نفعل وذهبوا إلى السقيفة وترادوا الكلام فيما بينهم وبين الأنصار إلى أن صفق عمر على يد ابي بكر . وقيل سبقه إلى البيعة بشير بن سعد الانصاري أبو النعمان بن بشير كراهية لابن عمه سعد (٣)

---

(١) لقد اوضح عمر (رض) ما اريد من طلب الدواة وما اراد من المنع بقوله لابن عباس « لقد اراد رسول الله في مرضه ان يصرح باسم علي فمنعت من ذلك حيطة على الإسلام - انظر مجلد ٣ صفحة ٩٧ من شرح المعتزلي

(٢) مجلد ١ صفحة ٩ من ملله

(٣) بتلخيص من الطبري مجلد ٣ صفحة ٢٠٨ ومن ابن الاثير مجلد ٢ صفحة ١٢٥ ومن تاريخ ابن خلدون مجلد ٢ صفحة ٦٤ ومجلد ١ صفحة ٧٤ من شرح النهج للمعتزلي

« وأقبل ابو بكر ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعــة من أصحاب السقيفة لا يمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يــد ابي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى (١)

وعندئذ « انثال الناس على ابي بكر يبايعونه خلا جماعة من بني هاشم ، والزبير بن العوام وعتبة بن ابي لهب ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد وسلمان وابي ذر وعمار والبراء بن عازب وأبي بن كعب مالوا مع علي بن ابي طالب وقال في ذلك عتبة بن ابي لهب :—

ما كنت أحسب ان الأمر منصرف — عن هاشم ثم منها عن ابي حسن
عن اول الناس إيماناً وسابقة — واعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن — جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به — وليس في القوم ما فيه من الحسن

وكذلك تخلف عن البيعة لأبي بكر — ابو سفيان من بني امية . ثم ان أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة رضي الله عنها . وقال له إن أبوا عليك فقاتلهم . فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة رضي الله عنها وقالت إلى أين يا ابن الخطاب؟ أجئت لتحرق دارنا ؟ قال نعم أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة (٢) »

« وأقبل ابو سفيان وهو يقول — إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم . فزجره علي وقال : والله إنك ما اردت بهذا إلا الفتنة . وانك طالما بغيت للإسلام شراً (٣) »

---

(١) ج ١ صفحة ٧٤ من شرح النهج (٢) مجلد ١ صفحة ١٥٦ من تاريخ ابي الفداء ، ومجلد ٣ صفحة ٦٣ من العقد الفريد ومجلد ١ صفحة ١٣ من الإمامة والسياسة لابن قتيبة ولكنه قال — قيل لعمر لما جمع الحطب على باب الدار — إن في الباب فاطمة قال وإن »

(٣) مجلد ٢ صفحة ١٢٣ من تاريخ ابن الاثير . وذكر صاحب الأغاني جزء ٦ صفحة ٩٦ ان ابا سفيان هذا قد قال لما بويع عثمان « يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به ابو سفيان ما مــن عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة »

ويروي صاحب العقد الفريد ان النبي ﷺ توفي وابو سفيان غائب فلما بلغه بيعة ابي بكر قال — إني أرى غبرة لا يطفئها إلا دم . فلما قدم المدينة جعل يطوف في ازقتها وهو يقول

بني هاشم لا يطمع الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة او عدي
فما الأمر إلا فيكم واليكم وليس لها إلا ابو حسن علي

فقال عمر لأبي بكر — إن هذا قد قدم وهو فاعل شراً ، وقد كان النبي ﷺ يستألفه على الإسلام . فدع له ما بيده من الصدقة ، ففعل ابو بكر فرضي ابو سفيان وبايعه (١) »

ولما رأى علي رأس الفتنة قدذرّ قرنه ورأى ارتداد البعض عن الإسلام وقلة المسلمين وإحاطة العدو بهم — تغاضى عن الطلب بحقه وقال « والله لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها إلا جورٌ علي خاصة (٢) »

ثم قام مع ابي بكر (رض) يجاهد المرتدين في الجزيرة، وينصح المسلمين بجهده وتبعه على ذلك عمه العباس القائل « والله لولا ان الإسلام قيدالفتك لتدكدكت جنادل صخر (٣) »

وكذلك تبعه سائر بني هاشم وجماعة الشيعة من الصحابة أمثال سلمان وعمار والمقداد وابي ذر وغيرهم ممن اعتقدوا قبلئذ « ان الخلافة يجب أن تكون في سلالة الرسول » لكن بعد ابيهم علي عليه السلام

فليس اعتقادهم ذلك من يوم خلافة عمر (رض) كما يظهر من كلام الرحالة المتقدم . بل قد عرفت انهم يعتقدونه من يوم « غدير خم » على ان خلافة الثاني كانت محكمة بنص من الأول لم يعارض فيها سوى طلحة ونفر قليل . وكلمة طلحة لأبي بكر قبيل وفاته مذكورة في التاريخ مشهورة لا نحب

---

(١) مجلد ٣ صفحة ٦١ منه (٢) مجلد ٢ صفحة ٦٠ من شرح النهج
(٣) مجلد ١ صفحة ٧٣ من الشرح

ذكرها لخشونتها : وانما نذكر لك كيف كانت

وفاة ابي بكر وبيعة عمر

وقد اختلف في سبب وفاته فقيل ان اليهود سمته في أرز وقيل في حسو .
« وعن عائشة (رض) انه اغتسل وكان يوماً بارداً فحم خمسة عشر يوما ثم توفي لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ١٣هـ وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال (١) » وقولها هو الأصح لأنها اعلم بحال ابيها

ولابن الطقطقي قول في سبب وفاته قد تفرد به (على الظاهر) انظره ص٨٧ من كتابه الفخري في الآداب السلطانية .

وعلى كل فقد قضى ايام خلافته في جهاد المرتدين والروم والفرس ايضا ونشر كلمة الاسلام في الجزيرة . وبقي يمد الجيش الاسلامي إلى اليوم الذي توفي فيه وفي الساعة التي توفي فيها « احضر عثمان بن عفان وقال له اكتب — هذا ما عهد ابو بكر بن ابي قحافة إلى المسلمين اما بعد ثم أغمي عليه فكتب عثمان — اما بعد فاني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً ، ثم أفاق ابو بكر وامضى كتابة عثمان (٢) »

« ولقد شكا المهاجرون والأنصار من عمر .. وقال بعضهم أمرته عام اول وأمرك العام . وكره اهل الشام خلافته في بدء الأمر (٣) » ولا ريب انهم امسوا — بعد ذلك — يحبونها كثيراً . لأنه قام بأعباء الخلافة . ووسع الفتح الاسلامي ونال الاسلام في عهده عزاً ومنعة . وفضل الاشراف على غيرهم في قسمة الغنائم فرضي عنه من كان يشكوه . ورضي عنهم وعن الذين اسخطوه من قبل سوى خالد بن الوليد لأن « أول كتاب كتبه عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح بتولية الجند وعزل خالد لأنه كان عليه ساخطا

---

(١) مجلد ١ صفحة ١٥٨ من تاريخ ابي الفداء (٢) مجلد ٢ صفحة ١٦٣ من ابن الاثير (٣) مجلد ١ صفحة ١٩ من الإمامة والسياسة

في خلافة ابي بكر كلها لوقعته بابن نويرة وما كان يعمل في حروبه (١) واول ما تكلم به عمر عزل خالد وقال لا يلي لي عملا ابداً (٢) » ولكنه ابقاه في الجيش لشجاعته وبطولته

أما معاوية — الذي عده الرحالة من القواد — فما عرف بالشجاعة ، ولا ظهر له أثر في الحروب ، ولا تولى قيادة الجيوش في أيام الأول والثاني (رض) ولما تولى القيادة في صفين واشتدت الحرب ركب فرسه وفر أو هم بالفرار (٣) وقد عرض النجاشي الشاعر بهذه القصة فقال

ونجى ابن حرب سابح ذو غلالة أجش هزيم والرماح دواني

و« كان معاوية يقول بعد ذلك لبني أمية — دعوني فوالله ماذكرت عيونهم — أي بني هاشم — تحت المغافر في صفين إلا لبس على عقلي (٤) » فقول الرحالة « بفضل قائديه خالد ومعاوية » من بديهيات الاخطاء

﴿ وفاة عمر وبيعة عثمان ومقتله ومن حرض عليه ومن قتله ﴾

قلنا أن بيعة عمر (رض) كانت سنة ١٣ هـ . وأما قتله فكان آخر ذي

---

(١) كأنه يشير إلى ما ذكره ابو الفداء مجلد ١ صفحة ١٦٥ من تاريخه من قتل خالد لبني خزيمة بعد ان امنهم لأنهم كانوا قتلوا عمه في ايام الجاهلية فراجع

(٢) مجلد ٢ صفحة ١٦٦ من ابن الاثير وقد ايده المسعودي مجلد ١ صفحة ٤٢٢ من مروج الذهب بقوله — وقد كان في نفس عمر على خالد اشياء من ايام ابي بكر في قصة مالك بن نويرة وغير ذلك » وقصة مالك معروفة مشهورة في التاريخ ذكرها ابو الفداء مجلد ١ صفحة ١٥٨ من تاريخه مفصلة وذكر قول ابي نمير السعدي

قضى خالد بغياً عليه بعرسه وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير مالك عنان الهوى عنها ولا متمالك

ومن اغرب ما اعتذر به عن خالد قول ابن زيد شبلي « ولعل خالدا وقد قتل زوجها رأى ان يجبر كسرها وان يخفف عنها مصيبتها فتزوجها جبرا لها مما اصابها وتطييبا لخاطرها » انظر صفحة ١١١ من كتابه تاريخ خالد

(٣) انظر مجلد ١ صفحة ٤٩١ من شرح النهج (٤) مجلد ٢ صفحة ٥٥ من مروج الذهب

الحجة سنة ٢٣ هـ قتله ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة . وكان نصرانياً وقيل مجوسياً — وكانت مدة خلافته عشر سنين ونصف سنة وقد جعلها — من بعده — شورى (١) بين خمسة نفر أو ستة ولكنه قيدهم برأي أحدهم عبدالرحمن ابن عوف صهر عثمان وكيفما كان فقد بويع عثمان (رض) في ٣ من المحرم سنة ٢٤ هـ وقيل في آخر ذي الحجة سنة ٢٣هـ وقتل آخر سنة ٣٥ هـ بيد زعماء المصريين يومئذ كما سنبينه ان شاء الله .

وكان محبوباً في السنين الأولى من خلافته التي دامت اثنتي عشرة سنة وهي مدة طويلة لا يقال فيمن قضاها « انه جاء ثم قتل عاجلا » كما قال معلم الآداب في مصر ورحالة القرن العشرين الذي اخترع في التاريخ « ان الذين حرضوا على قتل عثمان وأيدوا علياً هم الخوارج » مع ان لفظ الخوارج لم يسمع ولم يوجد أيضاً إلا بعد مضي سنتين على قتل عثمان وبيعة علي ومع ان التاريخ يحدثنا بأن الذين حرضوا على قتل عثمان وخذلوه هم من اكابر الصحابة والتابعين في المدينة المنورة .

يحدثنا ابن الاثير انه « كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة إلى من في الآفاق منهم — إن اردتم الجهاد فهلموا اليه فإن دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أفسده خليفتكم (٢) »

ويقول الطبري ابن جرير « وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى

---

(١) الشورى من افضل النظم الانتخابية إذا استعملت بمعناها الحقيقي الواسع وقد أمر بها النبي (ص) (وشاورهم بالأمر) ولكن معاوية يرى « انه لم يشتت بين المسلمين ولا فرق اهواءهم إلا الشورى التي جعلها عمر إلى ستة نفر انظر مجلد ٣ صفحة ٧٤ من العقد الفريد » وأرى ان هذه الشورى — وان خلقت طمع طلحة والزبير بالخلافة وسعيهما لها — خير من تلك السنة التي سنها معاوية في ولاية العهد وحصر الإمرة بنسل ولده يزيد وحرمان ابناء المهاجرين والأنصار

(٢) مجلد ٣ صفحة ٦٥ من تاريخه

التوبة ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله (١) » فكتب عثمان إلى معاوية « أما بعد فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة ، فابعث إلي من قبلك من مقاتلة الشام ، فلما جاء معاوية الكتاب تربص به وكره (؟) إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ وقد علم اجتماعهم (٢) »

ويروي ابن عبد ربه الأندلسي ما يبين السر في خذلان الصحابة لعثمان حيث يقول « روي انه سئل سعيد بن المسيب كيف قتل عثمان ؟ ولِمَ خذله أصحاب محمد ﷺ ؟ فقال قتل عثمان مظلوماً ومن خذله كان معذوراً قيل له وكيف ذلك ؟ قال لأن عثمان كان يحب قومه ، وكان كثيراً ما يولي بني أمية ممن لم يكن له في رسول الله ﷺ صحبة وكان يجيء من أمرائه ما يكره أصحاب محمد ﷺ فكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم (٣) »

وقالت السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها لمروان بن الحكم لما طلب منها إصلاح أمر عثمان مع الصحابة وعدم خروجها من المدينة « ولعلك تظنن اني في شك من صاحبك أما والله لوددت انه مقطع في غرارة من غرائري واني أطيق حمله فأطرحه في البحر (٤) » وقد كان عبد الرحمن بن عوف — وهو الذي عقد البيعة لعثمان — أول من اجترأ عليه كما يحدثنا الطبري في مقام ذكر المفتتح للجرأة على عثمان بقوله « قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها لبعض بني الحكم . فبلغ ذلك عبد الرحمن فأرسل من أخذها له فقسمها في الناس وعثمان في الدار (٥) »

ولما عوتب عبد الرحمن في امر عثمان « وقيل له هذا كله فعلك قال

---

(١) مجلد ٥ صفحة ١١٦ من تاريخه (٢) مجلد ٥ صفحة ١١٥ من تاريخ الطبري (٣) ج ٣ ص ٧٩ من العقد الفريد (٤) ج ١ ص ٦ من عصر المأمون (٥) ج ٥ ص ١١٣ من الطبري

لم أكن أظن به هذا ولكن لله علي أن لا أكلمه أبداً . فمات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان . ولما دخل عليه عثمان عائداً تحول عنه إلى الحائط ولم يكلمه (١) »

وأما عمرو بن العاص فكان من أشد الناس تحريضاً على عثمان وطعناً به وان لم يشهد مقتله مع الصحابة (٢) يقول الطبري « كان عمرو بن العاص عاملا لعثمان على مصر فعزله . فلما قدم المدينة جعل يطعن على عثمان فقال له عثمان يا ابن النابغة أقمل جربأن جبتك ? فخرج عمرو من عنده وهو محتقد عليه يأتي عليا مرة والزبير وطلحة مرة يؤلبهم على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان ، فلما كان الحصار الأول خرج من المدينة إلى أرض له بفلسطين يقال له السبع فبينا هو جالس في قصره إذ مر به راكب فناداه عمرو من أين? قال من المدينة ، قال ما فعل الرجل يعني عثمان ? قال قتل قال أنا ابو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها . إني كنت لأحرض عليه حتى الراعي في غنمه في رأس الجبل . فقال له سلامة بن روح الجذامي إنه كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه قال عمرو إنا أردنا أن نخرج الحق من حافرة الباطل (٣) »

وعمرو هو القائل لتلك الكلمة الشهيرة « اتق الله يا عثمان فإنك ركبت بنا نهابير (٤) وركبناها معك فتب إلى الله (٥) »

ولم يقصر طلحة في التأنيب والتحريض بل قد زاد على ابن العاص بمناجاته لرؤساء المصريين الذين باشروا قتل عثمان (رض)

« قال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة دخلت على عثمان فأخذ بيدي

---

(١) ج ٣ ص ٧٣ من العقد الفريد وج ١ ص ١٦٦ من ابي الفداء

(٢) يقول ابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٣١ من شرح النهج « سئل ابو سعيد الخدري هل شهد مقتل عثمان احد من الصحابة ? قال نعم شهده ثمانمائة »

(٣) ج ٥ ص ١٠٨ من تاريخه

(٤) هي المهالك (٥) مجلد ٥ صفحة ١١١ من الطبري

وأسمعني كلام من على بابه فمنهم من يقول ما تنتظرون ؟ ومنهم من يقول انظروا عسى أن يراجع . قال فبينما نحن واقفون إذ مرّ طلحة فقال أين ابن عديس ؟ فقام اليه فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه لاتتركوا أحداً يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده فقال لي عثمان هذا ما أمر به طلحة اللهم اكفني طلحة فإنه حمل علي هؤلاء القوم وألبهم وإني لأرجو أن يكون منها — أي الخلافة — صفراً (١) »

ويقول ابن قتيبة « ان طلحة قال للمحاصرين لعثمان — إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه وهو يدخل عليه الطعام والشراب فامنعوه الماء ان يدخل عليه ولما أتى علي بالماء لعثمان قال طلحة لعلي ما أنت وهذا وكان بينهما كلام شديد (٢) »

ويروي ابن ابي الحديد « ان طلحة كان مقنعاً - يوم قتل عثمان — بثوب قد استتر به عن اعين الناس برمي الدار بالسهام . وان الزبير قال — ساعتئذ — اقتلوه فقالوا له إن ابنك يحامي عنه بالباب فقال ما اكره أن يقتل عثمان ولو بدئ بابني الخ (٣) »

وعلى الإجمال « فإن من يتصفح أحوالهم وما كان يبدو على ألسنتهم من الكلمات الشديدة المؤلمة في حق عثمان سواء في وجهه وفي غيبته يحكم ان النفوس انطوت على مكروهه . حتى كانوا يلقبونه نعثلا (٤)

وبعد فإنا نجتزئ بذكر هذه الكلمات بدون محاكمة وبغير تحليل لأنا لسنا الآن بصدد التخطئة لزيد او التصويب لعمرو ، وليس غرضنا من ذكرها التشهير بأحد أو القاء التبعة على آخر ، وإنما غرضنا منه الاستدلال على ان

---

(١) مجلد ٣ صفحة ٦٧ من ابن الاثير ومجلد ٥ صفحة ١٢٢ من الطبري
(٢) مجلد ١ صفحة ٣٥ من الإمامة والسياسة (٣) مجلد ٢ صفحة ٤٠٦من شرح النهج (٤) صفحة ٣٩١ من محاضرات الشيخ محمد الخضري المصري

الذين حرضوا على قتل عثمان وخذاوه هم من الصحابة وفي مقدمتهم السيدة عائشة (رض)

وأما الذين باشروا قتله فهم المصريون الذين « رجعوا من البويب وبيدهم الصحيفة التي أخذوها من غلام عثمان وفيها حث على حبسهم وجلدهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم . وقيل ان الذي أخذت منه الصحيفة هو ابو الاعور السلمي ولما وصلوا المدينة اجتمعوا حول الدار : واجتمع معهم حكيم ابن جبلة في ركب من البصرة ، والاشتر النخعي في أهل الكوفة واعتزل الاشتر عنهم فاعتزل حكيم بن جبلة . وكان ابن عديس المصري واصحابه هم الذين يحصرون عثمان فأقاموا على حصاره تسعة واربعين يوماً حتى قتل : وكان عدد المصريين الفاً على ما قيل وكان رئيسهم ابن حرب الغافقي العكي وهو الذي تولى القتل وباشره مع سودان بن حمران وكنانة بن بشر التجيبي من المصريين . وقيل ان الخليفة قضى بضربة التجيبي لقول الوليد بن عقبة بن أبي معيط في رثاء عثمان من جملة أبيات

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة ... قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

وقول الفضل بن عباس في جوابه

فلو رأت الأنصار ظلم ابن أمكم ... بزعمكم كانوا له حاضري النصر

كفى ذاك عيباً أن يشيروا بقتله ... وأن يسلموه للأحابيش من مصر (١)

وقول الفضل هذا يدل على رضا الأنصار بالقتل وهم من الصحابة يومئذ لا من الخوارج وعلى كل فالذي يهمنا أن نعرف كيف كانت

☼ بيعة علي ومن بايعه وأيده ؟ هل هم الصحابة أم الخوارج ؟ ☼

.. عرفت ان المحرضين على عثمان هم من الصحابة بنص التاريخ ،

---

(١) مجلد ٣ صفحة ٦١و٦٥و٦٩و٧٥ من تاريخ ابن الاثير ومجلد ٥ صفحة ١٢٣ من تاريخ ابن جرير الطبري بتلخيص وتصرف

وان الذين باشروا قتله هم من أهل مصر وهؤلاء أجمع ليسوا بخوارج باتفاق المسلمين .

أما الدافع « للرحالة » على قوله « وكان الخوارج هم الذين حرضوا على قتل عثمان وأيدوا علياً » فذلك مما لم يعرفه أنا وأنت أيضاً . إذ يحتمل ان يكون الخط مباشرة من خلافة علي . أو تقليداً لمن قال قبله من المصريين « والخوارج وإن تجاهروا بمبدئهم السياسي قد اشتركوا في تدبير هذه الجريمة أو على الأقل حرضوا على ارتكابها : ثم كانوا بعد ذلك عوناً لعلي في تولي الخلافة (١) »

ويحتمل ان يكون الدافع استعظامه أمر التحريض وعدم قبوله بأي مبرر لتحريض أولئك الصحابة على خليفة المسلمين ثم إلحاحهم على علي بقبول البيعة بعد قتل الخليفة بتقدمهم طلحة والزبير وهذا الدافع — إن صح — لا يلام عليه لأنه كعاطفة نفسية تثور في كل مسلم اطلع على تلك الحادثة التاريخية الأليمة . وإنما يلام على جعل جميع المحرضين خوارج وفيهم طلحة والزبير حواري الرسول ﷺ وشريكتهما أم المؤمنين : وكذلك على جعل جميع الذين أيدوا علياً وبايعوه خوارج وفيهم (سيدا شباب أهل الجنة) و(حبر الامة) و (عمار الطيب المطيب) و (ذو الشهادتين) وغيرهم من الأصحاب على أن علياً (ع) لم يقبل من أحد تأييداً — يومئذ — أليس هو القائل لما أريد على البيعة « دعوني والتمسوا غيري » ؟ أليس هو الذي أرسل الماء إلى عثمان يوم شدد عليه الحصار وعارضه طلحة بكلام شديد؟ وأرسل ولديه الحسنين ومولاه قنبراً للدفاع عن عثمان « حتى جرح الحسن في سبيل عثمان وانصبغ بالدم وشج رأس قنبر في هذا السبيل (٢) » أليس هو الذي بذل

---

(١) صفحة ١٥ من كتاب « تاريخ الجمعيات السرية »

(٢) مجلد ٣ صفحة ٨١ من العقد الفريد ومجلد ١ صفحة ١٧٠ من ابي الفداء

جهده في إصلاح ذات البين حتى اخذ عهداً من عثمان للمتألبين عليه فرجعوا إلى بلادهم معتقدين في ان مطاليبهم ستنجز — ومن جملتها إبعاد مروان عن عثمان . ولكن مروان — لما عز عليه التخلي عن الإمرة — راح يعمل لرد قريبه عثمان عن رأيه وعهده (١) فتم له ذلك ثم زوّر كتاباً على قريبه وضع فيه ما يقتص به من أولئك الذين طلبوا إبعاده عنه . ولكن التزوير قد ظهر وقبض المصريون على حامل الكتاب المزور . وما لبثوا حتى عادوا إلى المدينة وحاصروا الخليفة وقتلوه .

« فاجتمع (وقتئذ) طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا علياً يبايعونه فأبى (٢) ذلك وقال أكون وزيراً خير من أن أكون اميراً ومن اخترتم رضيته فألحوا عليه وقالوا لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك حتى غلبوه في ذلك فخرج إلى المسجد وبايعوه وأول من بايع طلحة والزبير (٣) »

هذا نص ابن خلدون وهو أقوى دليل على ان الذين أيدوا علياً وبايعوه هم الصحابة وغيرهم من المهاجرين والأنصار لا الخوارج الذين لم يكن لهم

---

(١) يقول الطبري مجلد ٥ صفحة ١١٢ من تاريخه « كان مروان بن الحكم يدخل على عثمان فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى فتله عن رأيه وأزاله عما كان يريد

(٢) وقال عليه السلام « دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت له العقول ، وان الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت ، واعلموا إن اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ، ولم اصغ إلى قول القائل وعتب العاتب » قال المرحوم الشيخ محمد عبده — المحجة الطريق المستقيم ، تنكرت أي تغيرت علائمها فصارت مجهولة وذلك ان أهل الاطماع كانت قد تنبهت في كثير من الناس على عهد عثمان بما نالوا من تفضيلهم بالعطاء ، فلا يسهل عليهم فيما بعد ان يكونوا في مساواة مع غيرهم فلو تناولهم عدل الإمام افلتوا منه وطلبوا طائش الفتنة طمعاً في نيل رغباتهم . وأولئك هم اغلب الرؤساء في القوم ، فإن اقرهم الإمام على ما كانوا عليه من الامتياز في العطاء فقد اتى ظلماً وخالف شرعاً ، فأين المحجة للوصول إلى الحق على امن من الفتن ، وقد كان بعد بيعته ما تفرس به قبلها — انظر مجلد ١ صفحة ١٩٠ من نهج البلاغة الذي عليه شرح الشيخ المذكور (٣) مجلد ٢ صفحة ١٥٠ من تاريخ ابن خلدون

اسم في ذلك الوقت . حتى ان رؤساءهم كانوا يومئذ من أطراف الناس لا شخصية لهم ولا عشيرة كبيرة يستعينون بها على قتل خليفة وتنصيب خليفة بغير رضا المهاجرين والأنصار أهل الحل والعقد والطول والحول .

نعم « بايع المهاجرون والأنصار علياً عليه السلام في مسجد المدينة وبايعه الناس إلا نفراً يسيراً كان جلهم من ولاة عثمان على الأمصار (١) »

وكان أول من بايعه طلحة والزبير — كما قال ابن خلدون — وهما اللذان أشارا على الناس ببيعته ورضيا به أولاً يخبرنا ابن قتيبة « ان الزبير قام بعد قتل عثمان — وقال ايها الناس إن الله قد رضي لكم بالشورى وقد تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه . واما قتل عثمان فإنا نقول فيه امره إلى الله . وقد احدث احداثاً والله وليه . فقام الناس فأتوا علياً في داره وقالوا مد يدك نبايعك انت احق بها (٢) »

ويؤيده ابن عبد ربه الأندلسي بما رواه عن حصين عن الاحنف بن قيس « قال قدمنا المدينة نريد الحج فانطلقت فأتيت طلحة والزبير فقلت لهما — إني لا ارى هذا إلا مقتولا فمن تأمراني به كما ترضيانه لي . قالا نأمرك بعلي بن ابي طالب . قلت تأمراني به وترضيانه لي قالا نعم . قال ثم انطلقت حتى اتيت مكة فبينما نحن فيها إذ اتانا قتل عثمان فانطلقت إلى عائشة في مكة . فقلت من تأمريني ان ابايع قالت علي بن ابي طالب . قلت اتأمريني به وترضينه لي قالت نعم . فمررت على علي بالمدينة فبايعته ثم رجعت إلى البصرة فما راعنا إلا قدوم عائشة وطلحة والزبير قد نزلوا جناب الخريبة (٣) »

هذه بعض نصوص التاريخ الصحيح نقدمه كدليل فاضح لتلك الأقوال الملفقة والشبه المصطنعة حول مقتل عثمان وبيعة علي . ولولا تلك الأقوال

---

(١) مجلد ٥ صفحة ١٥٢ من تاريخ ابن جرير الطبري
(٢) مجلد ١ صفحة ٤١ من الإمامة والسياسة
(٣) مجلد ٣ صفحة ٩٨ من عقده الفريد

والشبه بل لولا وجود من يعتمد عليها ويوقع على نغمها البغيض في عصرنا هذ لما تعرضنا لبحث الخلافة وسقنا تلك الشواهد التاريخية التي لا تخلو من ا كلمات جارحة :

وليست التبعة في ذلك علينا وإنما هي على من اضطرنا إلى الإستشهاد بتلك الكلمات على إيضاح أخطائه . وهكذا شأننا في كل الشواهد الماضية والآتية التي اضطرنا اليها الموضوع أو الاستشهاد فحسب . وهل بوسع أحد ممن اضطر إلى التاريخ إلا أن يرويه بألفاظه مهما حوته من قساوة المعنى . ومع ذلك فقد ابتعدنا قدر المستطاع عن كثير من الكلمات الخشنة : وبعد فلننتقل بك إلى

دراسة ثابت المصري التاريخية

لعلك تجد فيها لذة جديدة غير تلك اللذة الأولى . ولعل (على ما اذكر) الترجي والترجي هو كالتمني لا يدرك كله : فلذلك لا أضمن لك اللذة الجديدة في قول الرحالة « بايع الناس الحسن بن علي وكان معاوية قد بويع في الشام فزحف لقتال الحسن ، وتأهب الحسن للقتال في العراق لكن ثار عليه جنوده فهادن معاوية وتنازل له عن الخلافة وفر وقتل (؟) ثم بايع الجميع معاوية إلا الخوارج والشيعة وقد اجتمعوا حول الحسين بن علي في مكة، فقتله جنود معاوية (؟) في كربلاء هو وأفراد أسرته وأتباعه جميعاً إلا ابن واحد للحسين قد أمكنه الهرب (١) »

روى ثابت هذه الحوادث التاريخية بإيجاز وأظهرها بصور الحقائق الراهنة وحكم فيها بفرار الحسن بن علي وقتله . وبفرار ابن واحد للحسين من جنود معاوية بكربلا ومشى كالظافر الفاتح :

ولكنه أبقانا نتساءل إلى أي جهة كان فرار الحسن وفي أي مكان قتل؟

---

(١) انظر صفحة ١٤٩ من جولته في ربوع الشرق الادنى

ومن قتله ؟ وفي أي سنة كان قتله ؟ ومن هو الذي أمكنه الهرب من أبناء الحسين عليه السلام وهذا ما دعانا للإفاضة قليلا في الجواب عن هذه الأسئلة « بالإذن » من الرحالة مجملين مقتل علي وشبليه عليهم السلام وبيان من قتلهم وفي أي مكان قتلوا ؟ وفي أي سنة ؟ مبتدئين في

مقتل علي ومدفنه وإثبات محله

ولد امير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في البيت الحرام (١٣ رجب سنة ٣٠ من عام الفيل) وتوفي شهيداً في الكوفة ليلة ٢١ من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي (١) غيلة بالسيف في مسجد الكوفة العظيم وهو يصلي صلاة الصبح لليلة ١٩ من شهر الصيام ٠ وحمل نعشه الشريف ليلا حمله بنوه وخلص أصحابه إلى الغري ودفنوه هناك حيث مقامه الآن في مدينة النجف الأشرف وعليه قبة كبيرة عالية مغطاة بالذهب الوهاج من الخارج ، وفي داخلها نقوش بديعة وآثار ثمينة لا يسع المقام إيفاء وصفها :

وقد كثرت الأقاويل والتخرصات حول المكان الذي دفن فيه عليه السلام

---

(١) ورد في ذم ابن ملجم من الاحاديث الشيء الكثير وإليك ما جاء في (ج ٣ صفحة ١٢٣) من العقد الفريد « قال النبي » (ص) لعلي بن ابي طالب – ألا أخبرك بأشد الناس عذابا يوم القيام قال اخبرني يا رسول الله – قال إن اشد الناس عذابا يوم القيامة عاقر ناقة ثمود ، وخاضب لحيتك من دم رأسك » وفي ج ١ ص ٨٨ من تهذيب الكامل للمبرد « انه قال (ص) لعلي – اشقى الناس إثنان احمر ثمود الذي عقر الناقة – والذي يخضب هذه ووضع يده على لحية علي » وفي ج ١ ص ١٣٥ من تاريخ الخطيب البغدادي لبغداد عن جابر بن سمرة انه (ص) قال لعلي من اشقى الاولين؟ قال عاقر الناقة – قال فمن اشقى الآخرين ؟ قال الله ورسوله اعلم . قال هو قاتلك وروى ابن حجر صفحة ٧٦ من صواعقه ما تقدم وروي عن عائشة (رض) أنها قالت رأيت النبي (ص) التزم عليا وقبله وهو يقول بأبي الوحيد الشهيد

كما كثرت حول حمل النعش الشريف (١)

وإنا لنستغني عن الإطالة بذكر تلك الأقوال وتفنيدها ، بذكر هـذه الكلمة المنصفة لابن ابي الحديد المعتزلي الذي أصاب بها سدرة الصواب حيث يقول « وما يدعيه أصحاب الحديث من الإختلاف في قبره (أي قـبر علي) وأنه حمل إلى المدينة ، أو أنه دفن في رحبة الجامع ، أو عند قصر الإمارة ، أو ندّ البعير الذي حمل عليه فأخذته الاعراب — باطل كله لا حقيقـة له ، وأولاده أعرف بقبره ، واولاد كل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب . وهذا القبر هو الذي زاره بنوه لما قدموا العراق منهم جعفر بن محمد الصادق (ع) وغيره من اكابرهم واعيانهم (٢) »

وقال في مكان آخر « إن عليا عليه السلام لما قتل قصد بنوه ان يخفوا قبره خوفا من بني امية أن يحدثوا في قبره حدثاً ، فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة — وهي ليلة دفنه — إيهامات كثيرة . ثم قال : ولم يعلم دفنه في الحقيقة إلا بنوه والخواص المخلصون من اصحابه فإنهم خرجوا به عليه السلام وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان . فدفنوه على النجف في الموضع المعروف بالغرى بوصاة منه عليه السلام وعهد كان عُهد به إليه وعُمي موضع قبره على الناس واختلفت الأراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافاً شديدا وافترقت في موضع قبره الشريف وتشعبت (٣)

---

(١) من تلك الاقاويل الملفقة التي لا يعتمد عليها الشيعة ولا يرويها احـد منهم : قول الرحالة المصري « وللقوم قصة يروونها عن نشأة النجف هي انه لما قتل علي في الكوفة حملت جثته على جمل اطلق في الصحراء فأخذ يسير على غير هدى حتى وصل ربوة تطل على بحر النجف فـبرك الجمل وهنا دفن القوم الجثة الطاهرة واخفوها خشية ان يعلمها اعداؤهم »

(٢) ج ١ صفحة ٥ من شرحه على النهج

(٣) ج ١ ص ٣٦٤ من شرح النهج

—✵ بيعة الحسن ومقتله ومن قتله ✵—

وكان علي (ع) قد ه اوصى إلى ولده الحسن فبايعت الشيعة كلها ، وتوقف أناس ممن كان يرى رأي العثمانية (١) » وكانت خلافته العامة ستة اشهر واياما وخلافته الخاصة بالشيعة تسع سنين واشهرا . وقد تجرع مرارة الصبر على اعمال جنده المضطرب المقسم المشتمل على كثير من اعداء ابيه . وتحمل قوارص العتاب من خاص الاصحاب بعد الموادعة حتى قال بعضهم « السلام عليك يا مذل المؤمنين »

ولقد صبر عليه السلام على اشد من ذلك كله يوم خطب معاوية وقال (كل شيء اعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا افي به (٢) ومما اعطاه من الشروط « ان لا يشتم عليا عليه السلام فلم يجبه معاوية إلى الكف عن شتم علي . فطلب منه أن لا يشتم عليا وهو يسمعه فأجابه إلى ذلك ثم لم يف له به ايضا (٣) » فالتجأ إلى أن (توجه من الكوفة في عياله وحشمه إلى المدينة المنورة . وخرج اهل الكوفة لوداعه باكين لفراقه (؟) ولم يزل مقيما بالمدينة إلى ان توفي فيها (٤) »

وكان يأخذ الاموال الطائلة وهو في المدينة من معاوية ويفرقها على المعوزين « واقد اعطاه معاوية مرة ثلاثمائة الف . فاستعظم ذلك يزيد بن معاوية — واستكثره فقال له معاوية — يا بني إن الحق حقهم فمن أتاك منهم فاحث له (٥) »

وبقي في المدينة إلى أن « توفي سنة ٤٩ هـ من سم سقته إياه زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس ، قيل فعلت ذلك بأمر معاوية وقيل بأمر يزيد بن معاوية وعدها أن يتزوج بها إن فعلت ذلك فسقته السم وطالبت يزيد أن يتزوجها فأبى . وكان الحسن قد اوصى أن يدفن عند جده صلى الله عليه وآله وسلم فلما توفي

---

(١) جزء ١١ ص ١١٦ من الاغاني (٢) ص ٤٨ من مقاتل الطالبين (٣) ج ٣ صفحة ١٦٢ من ابن الاثير (٤) صفحة ٦٧ من تحفة الأنام للشيخ عبدالباسط الفاخوري (٥) ج ٤ صفحة ٥ من شرح النهج

أرادوا دفنه هناك فمنع مروان بن الحكم . وكاد أن يقع بين بني امية وبين بني هاشم فتنة فقالت عائشة (رض) البيت بيتي ولا آذن ان يدفن فيه فدفن بالبقيع . ولما بلغ معاوية موت الحسن خرّ ساجدا فقال بعض الشعراء

اصبح اليوم ابن هند شامتا ظاهر النخوة إذ مات الحسن

ولما منع مروان من دفنه قال له ابو هريرة — اتمنع الحسن ان يدفن في هذا الموضع وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة ، فقال له مروان دعنا منك . لقد ضاع حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان لا يعرفه غيرك (١) »

وقضية السم لا خلاف فيها كما لا خلاف في ان جعدة بنت الاشعث هي المباشرة له ولكن الخلاف قد وقع في الآمر بالسم فردّده ابو الفداء بين معاوية وبين ابنه يزيد . ولكن المسعودي يرجح « ان الذي حمل جعدة بنت الاشعث على سم الحسن هو معاوية . دسّ اليها انك إن احتلت في قتل الحسن وجهت اليك بمائة الف درهم وزوجتك يزيد ، فكان ذلك الذي بعثها على سمه . فلما مات وفى لها بالمال وأرسل اليها : انا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه (٢) »

وقد ايده ابو الفرج الاصبهاني بقوله « ودس معاوية اليه والى سعد بن ابي وقاص — حين اراد ان يعهد الى يزيد بعده — سما فماتا منه في ايام متقاربة . وكان الذي تولى ذلك من الحسن (ع) زوجته بنت الاشعث (٣) »

ومن الجائز إن يكون كلٌّ منهما قد أمرها بسمه ووعدها بالجائزة لان الغاية مشتركة بينهما والنفع عائد إليهما : ويكون أمر الثاني لها كتأكيد لأمر الأول : فأنت إذا علمت — مما تقدم — أن الحسن (ع) لم يكن « فرّ يوم

---

(١) ج ١ صفحة ١٨٣ من ابي الفداء و ج ٣ صفحة ٦٦ و ١٢٤ من العقد الفريد
(٢) ج ٢ صفحة ٥٠ من مروج الذهب (٣) صفحة ٣٣ من مقاتل الطالبيين

هادن معاوية ولا قتل» يومئذ وإنما قتل في مدينة جده ﷺ بعد أن أقام فيها ما ينوف عن تسع سنين — تحكم معنا بلا شك — أن قول الرحالة(فو وقتل)من قبيل قول بعضهم (إن عليا قتل في غزاة حنين (١) »

وهكذا قوله «ثم بايع الجميع إلا الشيعة وقد اجتمعوا حول الحسين فقتله جنود معاوية في كربلا »فكأنه تخيل أن نهضة الحسين كانت في أيام معاوية حتى قال « فقتله جنود معاوية » مع أن النهضة الحسينية كانت بعد موت معاوية ومع أن الشيعة بايعوا — على مضض — معاوية ولم يتخلف يومئذ سوى قيس بن سعد بن عبادة(٢) ولكنه بايع أخيراً بأمر سيده الحسن بن علي عليهما السلام «وكانت بيعة قيس لمعاوية والسيف أو الرمح بينهما لان قيساً كان حلف أن لا يلقي معاوية إلا والسيف أو الرمح بينهما . فجثا معاوية على سريره وأكب على قيس حتى مسح يده على يده فما رفع قيس إليه يده (٣)

---

(١) هذه العبارة من قصة ذكرها المسعودي — ج ٢ صفحة ٧٣ من مروج الذهب إليك إجمالها « قال قال لي رجل من اهل العلم سألني ذات يوم بعض العامة — كم تطنبون فى فلان وفلان فقلت له ما تقول انت ؟ قال من تريد ؟ قلت عليا ما تقول فيه؟ قال أليس هو ابو فاطمة إمرأة النبي (ع) بنت عائشة اخت معاوية قلت فما كانت قصة علي قال قتل في غزاة حنين مع النبي »

(٢) كان قيس شجاعا بطلا كريما سخيا . وحمل لواء رسول الله (ص) في بعض غزواته وولاه علي بن ابي طالب إمارة مصر وحضر معه حرب الخوارج بالنهروان ووقعة صفين . وكان مع الحسن بن علي على مقدمته بالمدائن : باع قيس مالا من معاوية بتسعين الفا فأمر مناديا فنادى في المدينة — من أراد القرض فليأت منزل سعد . فأقرض اربعين وأجاز بالباقي وكتب على من اقرضه صكا فلما مرض قل عواده . فقال لزوجته قريبة بنت ابي قحافة اخت ابي بكر — لم قل عوادي ؟ قالت للذي لك عليهم من الدين فأرسل إلى كل رجل بصكه . ثم توفي بالمدينة آخر خلافة معاوية — انظر ج ١ صفحة ١٧٨ من تاريخ بغداد وينص صفحة ٣٦٧ من منهج المقال على ان وفاة قيس كانت سنة ٦٠ هـ   (٣) صفحة ٥٠ من مقاتل الطالبيين

وبعد عشرين سنة مضت على بيعة الشيعة لمعاوية وبعد موت معاوية وتولي ابنه يزيد وإرساله الى عامله بالمدينة ان يضايق الحسين ويجبره على البيعة والطاعة لمثل يزيد المعلوم الحال ٠٠ عند الحسين (ع) وعند غيره ايضاً بعد ذلك كله نهض الحسين ٠

وابى ان يعيش إلا عزيزاً　　او تجلى الكفاح وهو صريع

أبى ان يبايع يزيد وامتنع اشد المنع لما كان يعلمه من ان إمرة يزيد كانت بغير رضى الامة وان اباه مهدها له بالمال والخداع والقوة والقهر من غير ما مشورة ولا إختيار فضلا عما كان يعتقده الحسين من عدم اهلية يزيد لهذا المنصب الديني الخطير ٠ وأنه لو تولاه امثال يزيد لما بقي لشريعة جده محمد (ص) من هيبة ولا اثر في النفوس ، ولانمحت قوانينها العادلة من صحيفة الشرائع الالهية تدريجاً ٠ ولانغرس في نفوس العامة معنى قول يزيد :

لعبت هاشم بالملك فلا　　خبر جاء ولا وحي نزل

لذلك كله امتنع الحسين عليه السلام عن البيعة وبذل نفسه الزكية ليحيى الدين الحنيف ويستقيم ، ويموت الظلم والإستبداد ٠

إن كان دين محمد لم يستقم　　إلا بقتلي يا سيوف خذيني

وفضل بعد ذلك الخروج من المدينة لأمور يطول شرحها فخرج منها إلى مكة المكرمة خائفاً :

خرج الحسين من المدينة خائفاً　　كخروج موسى خائفاً يترقب

وأقام في مكة عدة شهور يتدبر الأمور ٠ وفيها « تتابعت عليه — في أيام — رسل أهل الكوفة ومعهم من الكتب ما ملأ منه خرجين (١) » يدعونه «أن اقدم لعل الله يجمعنا بك على الهدى » فأرسل اليهم ابن عمه مسلم بن عقيل (رض) يستطلع خبرهم ويختبر نياتهم ولما وصل مسلم إلى الكوفة « بايعه من

---

(١) صفحة ٢٣١ من الاخبار الطوال

أهلها للحسين ثمانية عشر ألفاً وقيل ثمانية وعشرون ألفاً (١) فكتب رجل إلى يزيد بذلك فغضب واستشار سرحون مولى أبيه معاوية فأشار عليه بعزل النعمان بن بشير وتولية عبيد الله بن زياد على الكوفة . وكان يزيد عليه ساخطاً يريد عزله عن البصرة ولكنه ... رضي عليه وكتب اليه بولاية البصرة والكوفة وقتل مسلم بن عقيل . فعمل ابن زياد بأمر يزيد وقتل مسلماً وهاني بن عروة لأنه آوى مسلماً في داره . ودافع مسلم عن نفسه دفاع الأبطال المستميتين حتى غدروه بالأمان . وقد أمر بهما أن يُجرا بأرجلهما — بعد القتل — في الأسواق وفي ذلك يقول الشاعر :

فإن كنت لاتدرين ماالموت فانظري ... إلى هانئ في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه ... وآخر يهوي من طمار قتيل (٢)

فعل ذلك إبن زياد بعد ان أعطى مسلماً عهد الأمان . وبعد ان علم إباء مسلم عن الفتك به وقتله غيلة يوم احتال أحد الشيعة على ابن زياد وأحضره الى داره أعزلاً . ومكّن مسلماً من قتله . فأبى مسلم واعتذر بقوله «إنا أهل بيت نكره الغدر»

نعم كان كره الغدر وما ينافي الأريحية والشرف من سجاياهم وشيمهم عليهم السلام . ملك أهل الشام الماء في صفين ومنعوا علياً وجنده من الماء وأرادوا قتلهم عطشا . فلما غلب جند علي (ع) وملكوا الشريعة إستأذنوه في منع أهل الشام الماء فقال : « إن في حد السيف لغني عن ذلك . وإني لا أستحل منعهم الماء ثم قاسمهم الشريعة بينه وبينهم شطرين — وكان الأشتر يستأذنه أن يبيت معاوية فيقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يبيت المشركون (٣)

---

(١) ويقول صاحب العقد الفريد — ج ٣ صفحة ١٣٦ بايع مسلم بن عقيل اكثر من ثلاثين الفا من اهل الكوفة

(٢) بتلخيص وتصرف من ج ٤ صفحة ١٥ و١٨ من ابن الاثير و ج ٦ ص ١٩٦ من الطبري (٣) ج ١ صفحة ٣١٧ من شرح النهج

ولما عدل الخوارج في صفين عن قبول التحكيم وطلبوا الكرة فوراً على معاوية قبل انعقاد مجلس التحكيم واقتراب وقته – أبى عليه السلام موافقتهم والتزم بالعهد حتى قاسى في سبيله ما قاسى من الخوارج وغيرهم . ولو أنه وافقهم ساعتئذ وكرّ بهم وبأهله وشيعته على أهل الشام لتم له النصر المبين :

ولكن حاشا علاه ودينه من أن ينتهز هذه الفرص التي منعها الدين . وهو القائل « قد يرى الحوّل القلّبُ وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين (١) »

وخليق بمسلم أن يقتدي بعمه واستاذه علي بن أبي طالب ويُؤثر الدين على الهوى ، والآخرة على الدنيا ، ويُفضل الموت على الإنتصار بالغدر وعلى هذه السجية كان سيده الحسين بن علي عليهم السلام كان باستطاعته – لولا الدين – أن يبايع يزيد (٢) ويكون أقرب الناس عنده . وعلى الأقل كان بوسعه أن يجند أهل مكة بشتى الوسائل ويتحصن بحرم جده (ص) مهما ترتب على ذلك من هتك الحرم المقدس وغيره :

ولكن الوازع الديني المكين ، ذلك الوازع الذي ورثه عن أبيه وجده ﷺ . والإباء الهاشمي العظيم ، والإحتفاظ بحرمة الحرم هي التي بعثته على الخروج من مكة إلى الكوفة لإلقاء الحجة على أهلها الذين « بلغت كتبهم اليه في أيام قلائل إثني عشر الفا »

---

(١) ج ١ من النهج (٢) وما يقال من انه طلب في كربلاء أن يسيروه إلى الشام ليبايع يزيد أو يسيروه إلى احد الثغور فذلك بعيد جدا بل غير صحيح بشهادة مولاه عبد الله بن سمعان قال « صحبت حسينا فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم افارقه حتى قتل . وليس كلمة من مخاطبته الناس بالمدينة وبمكة وفي الطريق وفي العراق وفي العسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها . ألا والله ما اعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية . ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين . ولكنه قال دعوني لأذهب في هذه الارض العريضة حتى ننظر ما يصير اليه امر الناس – انظر ج ٦ ص ٢٣٥ من تاريخ الطبري

أضف إلى ذلك ما يترتب على خروجه واستشهاده غريباً عطشاناً مع أهله وصحبه ثم على سبي نسائه وأطفاله ، وسوقهن من بلد إلى بلد ، وقيامهن في مناسبات كثيرة يخطبن في الجموع التي تتجمع للتفرج عليهن ، ويظهرن مظلومية سيدهن = بل سيد المسلمين = ويُنددن بفظائع الحكم الأموي المستبد ، ويغرسن في النفوس غرس الإباء الحسيني ومفاداته في سبيل الدين والاخلاق العربية الفاضلة . نعم أضف اليه ما يترتب على هذه الأمور من انتشار الدعوة الحسينية ، وبُعد صيتها في الآفاق، ومن تأثيرها الأثر المطلوب في الحجاز وغيره ولو بعد حين .

ولذلك ترى = في التاريخ = تتابع الثورات على الأمويين وشعاراً كثرها = الأخذ بثأر الحسين بن على عليهما السلام = إلى ان انقرضت دولتهم في الشام على يد عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس الذي كان يترنم بقوله :

حسبت امية ان سترضى هاشم عنها ويذهب زيدها وحسينها

وبينما يتأهب الحسين لأداء فرض الحج إذابه يفاجأ = بأن يزيد بن معاوية قد بعث ثلاثين رجلا لاغتياله ولو في الكعبة الشريفة — فاضطر عليه السلام لسرعة الخروج من مكة فخرج يوم « التروية » في ٨ ذي الحجة سنة ٦٠ هـ وفي ٩ منه أي يوم عرفة قتل مسلم بن عقيل في الكوفة فوصل خبر مقتله إلى الحسين (ع) في « الثعلبية » فترحم عليه وقال لا خير في العيش بعده . ثم تابع السير «فلما بلغ عمرو بن سعيد أن حسيناً خرج من مكة قال — أطلبوه بين السماء والارض فعجب الناس من قوله فطلبوه فلم يدركوه (١)

ولما علم يزيد بخروج الحسين إلى العراق « كتب إلى عبيد الله بن زياد — قد بلغني أن الحسين بن علي قد فصل من مكة متوجها إلى ما قبلك فاذك العيون

(١) ج ٣ ص ١٣٤ من العقد الفريد . وعمرو بن سعيد هذا هو الذي أومأ إلى قبر النبي (ص) وقال لما بلغه قتل الحسين (ع) - يامحمد يوم بيوم بدر - انظر ج ١ ص ٣٦١ من شرح النهج

عليه وضع الأرصاد على الطرق ٠ وقم بالأمر أفضل القيام ٠ وا كتب إلى بالخبر في كل يوم (١) »

وفي كتاب آخر = سيأتي = قال له « وإلا تقتل او تعود عبدا كما تعبد العبيد » فامتثل ابن زياد أمر يزيد وارسل الحر الرياحي على الف فارس ليقطع طريق الحسين (ع) ويضيق عليه ويأتي به اليه ٠ ولكن قلب الحر (٢) كان حسينيا وسيفه يزيديا فحسب ولذلك لما اجتمع بالحسين ائتم به وقال له يا ابن رسول الله ﷺ اسلك من البر سبيلا وسطا لا يؤدي إلى الشام ولا إلى الكوفة حتى يكون بذلك نجاة الطرفين ٠ فاستحسنه الإمام (ع) فسار والحر يسير خلفه حتى وصل كربلاء يوم الخميس ٢ محرم سنة ٦١ هـ فنزل بها ونزل معه نجوم الأرض من بني عبد المطلب ٠ واولئك الاصحاب الذين أعرضوا عن زهرة دنياهم وتجردوا لنيل الكرامة بنصر نبيهم ﷺ في ذريته :

ومابلغ ابن زياد خبر وصول الحسين إلى كربلاء حتى «جهز اليه (كما في ص ١٢٠ من الصواعق) عشرين الف مقاتل» وطلب من عمر بن سعد بن ابي وقاص أن يكون

---

(١) صفحة ٢٤٣ من الاخبار الطوال (٢) ولم يزل هذا الحب كامنا في قلب الحر حتى علم من ابن سعد تصميمه على قتال الحسين « قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الايدي » فخرج الحر وهو يرتعد واخذه مثل الافكل ٠ فقال له رجل – إن امرك لمريب فوالله لو سئلت من اشجع اهل العراق لما عدوتك ٠ فما تمالك الحر إلا أن يظهر حب الحسين (ع) وأشار إلي انه طريق الجنة لو عمل به فصارح الرجل بقوله « ويحك إني أرى نفسي بين الجنة والنار ، ولا اختار على الجنة شيئا وإن قطعت وحرقت » ثم مال بجواده نحو الحسين (ع) فلما وصل قال – جعلت فداك يا ابن رسول الله (ص) انا صاحبك الذي جعجع بك في الطريق ٠ وما ظننت أن القوم ينتهون بك إلى ما أرى فهل ترى لي من توبة ؟ الحسين نعم يتوب الله عليك فانزل : الحر – انا لك فارسا خير مني راجلا ٠وآخر امري النزول » فنزل وسلم على الإمام واستأذنه في الحرب فأذن له ٠ فركب وسار نحو العدو فخطب وقال « يا أهل الكوفة لأمكم الهبل دعوتم ابن بنت نبيكم لتنصروه حتى إذا جاءكم اسلمتموه ٠ ثم عدوتم عليه تقاتلونه الخ »

امير الجيش المجهز « فتردد عمر وردد قوله

أأترك ملك الري والري منيتي   أم ارجع مذموما بقتل حسين ؟
وفي قتله النار التي ليس دونها   حجاب وملك الري قرة عيني

ولما اختار ملك الري (معتقدا بالنار والعار ايضا) ذهب لقتال الحسين في كربلاء وكان اول عمل باشره فيها أن منع عن الحسين واهله واطفاله واصحابه الماء . وفي اليوم العاشر من المحرم = وهو يوم الجمعة يومئذ = احاط عمر بن سعد وجنده بخيم الحسين ورموها بالسهام والنبال . وكان أولهم عمر بن سعد ولما رمى قال = اشهدوا لي اني اول رام = ولما رأى الحسين تساقط السهام والنبال نهض وخطب اصحابه وامرهم بالجهاد . فقاموا يبارزون (جند يزيد من اهل الكوفة) وكلما برز اليهم فارس قتلوه حتى صاح عمرو ابن الحجاج بالجيش ويلكم أتدرون من تقاتلون ؟ هؤلاء فرسان المصر احملوا عليهم من كل جانب . ولكن اصحاب الحسين اخذوا . يغوصون في أوساطهم ويقاتلونهم اشد قتال خلقه الله (١) »

وتسابق الهاشميون بعدئذ إلى افتداء سيدهم بأرواحهم واحداً بعد واحد حتى قتلوا — وما قتلوا حتى

تكسرت الاسياف في أرؤس العدى   وأمسى أديم الارض من دمهم دما

« ولما قتل اصحاب الحسين واهل بيته حمل الناس عليه من كل جانب واحاطوا به فحمل عليهم ، وكلما حمل على جانب تفرق أمامه حتى ادهش القوم بشجاعته . وقال بعضهم يومئذ — ما رؤي مكثور قط قد قتل ولده واهل بيته واصحابه اربط جأشا منه ولا امضى جنانا ولا أجرأ مقدما . لقد كانت

فلم يجبه احد إلا برمي النبال فحمل عليهم وقاتلهم أشد قتال حتى اثخن بالجراح فصاح مودعا « السلام عليك يا ابا عبد الله » فجاءه الحسين (ع) وأبنه بقوله « انت حر كما سمتك امك حر في الدنيا وسعيد في الآخرة »

(١) بتلخيص من الطبري ج ٦ ص ٢٣٢ و ٢٥٩ ومن ابن الاثير ج ٤ ص ٩ و ٣٠

الرجال تنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد بها الذئب (١)»

« ولولا ما كادوه به من انهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه إذ هو الشجاع القرم لا يزول ولا يتحول (٢) » ودام عليه السلام على هذا الحال من الإقدام الجريئ والصبر العظيم على حرارة العطش وحر الهجير ، وحرقة الاحشاء من رؤيا الأحبة مجزرين كالاضاحي ، ورؤيا النساء والاطفال صرعى من الظمأ إلى إن نزل به القضاء المحتوم . وكان ما كان من الاعمال الفظيعة التي عملها يزيد وابن زياد وابن سعد وابن الجوشن وغيرهم من اشياعهم تلك الاعمال التي لم يجرأ على ارتكاب مثلها احد قبلهم وبعدهم . فسودوا بها صحيفة التاريخ الإسلامي والعربي ايضا . وصاروا أسوأ قدوة للظالمين إلى آخر الدهر

❊ هل يبرأ التاريخ يزيد من دم الحسين ؟ ❊

لقد مر على التاريخ حقب متطاولة ، وظروف قاسية كان يسير فيها — أحيانا — مرغما على طرق مخططة حسب أغراض الملوك وهوى الحكام يدون بقلمه ما يوافق تلك الأغراض وذلك الهوى ، ويتعامى عن كثير من الحقائق الثابتة والقضايا الراهنة .

قاسي التاريخ ما قاسى من حجر واضطهاد ، وخضع ما خضع للقوى الغاشمة ولكنه كان — على الرغم من ذلك كله — يتمرد على تلك القوى ويجهر بالحق في كثير من المواقف الحرجة الرهيبة ، ويدونه في صحائفه الخالدة غير هياب ولا وجل ولا مراقب سوى الحق والضمير والوجدان .

ولولا هذه الجرأة الضئيلة في التاريخ ، وهاتيك الإعترافات الصادقة الصادرة من أهله لما عرفنا من الحقيقة شيئا ، ولما جزمنا بصدق قضية واحدة من قضاياه الكثيرة في شتى الوقائع البشرية والحوادث الكونية تلك الحوادث التي أحاطها الوضاعون بأطار من الإبهام والتشكيك ، والتحريف والتلبيس .

---

(١) الطبري جزء ٦ ص ٢٥٩ وابن الاثير جزء ٤ صفحة ٣٢ (٢) الصواعق ١٢١

ومن القضايا التي أثبتها التاريخ واعترف بها اعترافاً جازماً غير مكترث بأية قوة تعارضه ، قضية أمر يزيد بن معاوية بقتل السبط الحسين بن علي (ع) ومروره بسفك ذلك الدم النبوي الزكي . حتى صارت من بديهيات التاريخ، وصار إسم يزيد كعلم لقاتل الحسين (ع) وكعلم للظلم والقسوة . وإسم الحسين كعلم للمظلومية والعدالة ؛ وكعلم للإباء والنهضة . ولله قول المرحوم أحمد شوقي المصري في مصطفى « أتاترك »

هذا الذي كان الحسين عدالة   في المسلمين قد استحال يزيدا

وبالرغم من ثبوت تلك القضية وسطوع براهينها قد جدّ « اليزيديون » في أن يسدلوا عليها غشاء قاتماً من الإبهام والتشكيك . وحاولوا أن يبرأوا يزيد من دم الحسين الشهيد وان يخرجوا هذه الجريمة الكبرى من صحائف يزيد السود ويمحوها بدمعة يقال انها سقطت من عينيه حينما رأى أطفال الحسين في حال تقشعر منها القلوب المتحجرة وتسيل العيون الجامدة . وتشبثوا بكلمة زعموا أنه قالها لما وضع الرأس الشريف بين يديه وهي « رحمك الله يا حسين » ولكنهم تغافلوا عما فعله يزيد في ثنايا الحسين بعد تلك الكلمة المزعومة بلا فاصل . وتغافلوا عن صراحة التاريخ بضد ما يحاولون وعكس ما يتشبثون حيث يقول « خرج الحسين من مكة إلى العراق . فكتب يزيد إلى واليه في العراق عبيد الله بن زياد بقتاله فوجّه اليه جيشاً عليه عمر بن سعد فقتله وجيئ برأسه في طست حتى وضع بين يدي ابن زياد لعنه الله ولعن قاتله ويزيد أيضاً ثم ان ابن زياد بعث برأس الحسين وأهله إلى يزيد فسر بقتلهم أولاً ثم ندم لما مقته المسلمون على ذلك وأبغضه الناس وحق لهم أن يبغضوه (١) » ويقول أيضاً « خرج الحسين إلى الكوفة ساخطاً لولاية يزيد بن معاوية . فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد وهو واليه في العراق : أنه قد بلغني أن حسيناً سار إلى

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي صفحة ٨٠ و ٨١

الكوفة وقد ابتلى الله به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وابتليت به من بين العمال ، وعنده تقتل أو تعود عبداً كما تعتبد العبيد (١) ».

وقد اعترف ابن زياد بمؤدى قول يزيد وتهديده اياه بالقتل . فقال لمسافر بن شريح اليشكري « أما قتلي الحسين فإنه أشار إلي يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتله (٢) »

ويؤيد ذلك كله ما كتبه الحبر ابن عباس في جواب كتاب كتبه اليه يزيد يشكره فيه على ترك البيعة لابن الزبير . قال ابن عباس (رض) « وإن أنس فما أنسى طردك حسينا من حرم الله وحرم جده رسول الله (ص) وكتابك إلى ابن مرجانه تأمره بقتله . وإني لأرجو من الله أن يأخذك عاجلا حيث قتلت عترة نبيه (ص) ورضيت بذلك ... وإن من أعظم الشماتة حملك بنات رسول الله وأطفاله وحرمه من العراق إلي الشام أسارى مجلوبين مسلوبين تري الناس قدرتك علينا وانك قهرتنا . وفي ظنك انك اخذت بثارات أهلك الفجرة يوم بدر واظهرت الإنتقام الذي كنت تخفيه والاضغان التي تمكن في قلبك كمون النار في الزناد ، وجعلت انت وابوك دم عثمان وسيلة على إظهارها فالويل لك من ديان يوم الدين . والله لئن اصبحت آمنا من جراحة يدي فما أنت بآمن جراحة لساني ، ولئن ظفرت بنا اليوم لنظفرن بك غدا بين يدي الحاكم العدل الذي لا يجور في حكمه قال الواقدي فلما قرأ يزيد كتابه أخذته العزة وهمّ بقتل إبن عباس فشغله عنه أمر إبن الزبير (٣) »

ولقد أقرّ معاوية بن يزيد بن معاوية بأن أباه قد نازع الحسين وقتله . حيث يقول « إن هذه الخلافة حبل الله . وان جدي معاوية نازع الأمر أهله

---

(١) العقد الفريد ج ٣ ص١٣٧ وابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٢ (٢) ابن الاثير مجلد ٤ ص ٥٥ ويؤيده ما نقلناه عن الدينوري من تحريض يزيد لابن زياد على قتل الحسين وامره بالتضييق عليه وان يكتب إليه عما يعمله مع الحسين في كل يوم ولا يستقل برأيه ويتصرف على حسب هواه (٣) ص ٢٦٨ من تذكرة الخواص

ومن هو أحق به منه علي بن أبي طالب . وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه ثم قلد أبي الامر وكان غير أهل له . ونازع إبن بنت رسول الله ﷺ

فقصف عمره ، وانبتر عقبه ، وصار في قبره رهيناً بذنوبه ثم بكى وقال إن من أعظم الامور علينا علمنا بسوء منقلبه . وبئس مصرعه وقد قتل عترة رسول الله ﷺ وأباح الخمر وضرب الكعبة (١) »

وإقرار معاوية هذا حجة دامغة لأنه كإقرار المرء على نفسه . فهل يا ترى تمحوا تلك الدمعة الربائية من يزيد - وقد تقاطر مثلها من عيون القساة حينما رأت السبايا الهاشميات — كل ماذكرناه لك من الأدلة على أمر يزيد بقتل الحسين الشهيد ، وعلى عده هذا القتل قضاء لديونه .

« قال الزهري . لما جاءت الرؤس إلى الشام كان يزيد جالساً على « جيرون » فلما نظر إليها أنشد —

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشموس على ربا جيرون
نعب الغراب فقلت صح أولا تصح فلقد قضيت من الغريم ديوني (٢)

وإذا كانت تلك الدمعة كافية — عند أشياع يزيد - لتبرأته من دم الحسين عليه السلام . فما يصنعون بما صنعه يزيد بعد تلك الدمعة بلافاصل في ثنايا الحسين؟ وما يقولون بما قاله يزيدهم من الشعر الدال بوضوح على التشفي بقتل الحسين (ع) والأخذ بثارات أشياخ يزيد الذين قتلهم - ببدر — جد الحسين وأبوه عليهما السلام والمفصح عن رأيه في النبوة والوحي الالهي :

يخبرنا إبن جرير الطبري « ان إبن زياد أمر بنساء الحسين وصبيانه . وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه ثم سرح بهم إلى يزيد في الشام . ولما وصلوا جلس يزيد ودعا أشراف الشام فأجلسهم حوله ثم دعا بعلي بن الحسين

---

(١) ص ١٣٧ من الصواعق (٢) ص ١٣٥ من الصواعق و ص ٢٥٦ من التذكرة

وصبيان الحسين ونسائه فأدخلوا عليه والناس ينظرون . وجاء برأس الحسين فوضعه بين يديه وأخذ ينكت — بقضيب كان معه — ثنايا الحسين وثغره حتى قام أبو برزة الأسلمي وقال ليزيد أتنكت بقضيبك ثغر الحسين ؟ وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرشفه (١) »

ويقول سبط ابن الجوزي « المشهور عن يزيد في جميع الروايات أنه لما حضر الرأس بين يديه جمع أهل الشام وجعل ينكت عليه بالخيزران ويقول أبيات ابن الزبعري —

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

قال الشعبي وزاد فيها يزيد بيتين وهما

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل (٢)

وهذه ريًا حاضنة يزيد تشهد عليه بقرع الثنايا وبقول شعر ابن الزبعري حيث تقول « دنوت من رأس الحسين فنظرت إليه وبه ردغ من حناء، والذي أذهب نفسه وهو قادر أن يغفر له (؟) لقد رأيته يقرع ثناياه بقضيب في يده ويقول أبياتا من شعر ابن الزبعري (٣) »

أضف إلى ذلك كله انه لما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسرّه ما فعل (٤) » « وبالغ في رفعته حتى أدخله على نسائه (٥) » « وجلس بعد قتل الحسين على شرابه وعن يمينه ابن زياد فأقبل على ساقيه وقال

---

(١) ج ٦ ص ٢٤٦ من تاريخه بتصرف (٢) شرح النهج مجلد ٣ صفحة ٣٨٢ وصفحة ٢٥٦ من التذكرة (٣) خطط المقريزي مجلد ٢ صفحة ٢٨٩ (٤) مجلد ٤ صفحة ٣٦ من ابن الاثير (٥) الصواعق صفحة ١٢٢

أسقني شربة تروّي مشاشي ثم صل واسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي(١)

وهل تدري ما فعل عبيد الله بن زياد؟ فانه بعد أن أمر برض صدر الحسين وظهره بحوافر الخيل . وبعد ان هتك في مجلسه ستور المخدرات النبوية . وأراد قتل العليل علي بن الحسين (٢) عليهما السلام وبعد ان سنّ لسيده يزيد قرع الثنايا «جهّز الرأس الشريف وعلي بن الحسين ومن معه من حرمه بحالة تقشعر منها ومن ذكرها الأبدان والقلوب . وترتعد مفاصل الإنسان بل فرائص الحيوان إلى البغيض يزيد بن معاوية مع شمر بن ذي الجوشن (٣) الذي احتز الرأس الشريف .

هذا هو فعل ابن زياد الذي سرّ يزيد وأوجب أن يحسن حال ابن زياد عنده ويزيد في عطائه وصلته ويبالغ في رفعته ويدخله على نسائه . ومع ذلك كله فيزيد بريءٌ — عند تلك الفئة من اليزيديين — من دم الحسين لأجل تلك الدمعة المصطنعة ؟

ولنختم كلمتنا هذه بكلمة نصور لك جميع ما ذكرناه من أعمال يزيد حتى كأنك في مجلسه ترى إدخال الحوراء زينب ابنة علي (ع) مع السبايا وجلوسهن في ذلك المجلس الحافل بالمتفرجين الشامتين وترى رأس الحسين ريحانة النبي ﷺ بين يدي يزيد ينكت ثناياه ويتمثل بابيات ابن الزبعري ويزيد عليها من عنده حتى نهضت حفيدة الرسالة زينب وجابهته بجرأة هاشمية . « أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء . فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى — ان بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة . وان ذلك لعظم خطرك عنده . فشمخت

---

(١) مروج الذهب مجلد ٢ صفحة ٧٤ (٢) تقدم ما زعمه الرحالة « من ان عليا هذا قد امكنه الحرب » وهو غريب في التاريخ (٣) تحفة الأنام للفاخوري مفتي بيروت سابقا صفحة ٨٤

بأنفك . ونظرت في عطفك جذلان فرحاً حتى رأيت الدنيا لك مستوسقة والامور عليك متسقة . فهلا مهلا — أنسيت قول الله تعالى ؟ — ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم . إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين . أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن . تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد . ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد . والدني والشريف . ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي ؟ إلى أن قالت ثم تقول غير متأثم ولا مستعصم

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يايزيد لا تشل

منتحياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك . وكيف لاتقول ذلك ؟ وقد نكأت القرحة . واستأصلت الشافة باراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونجوم الارض من آل عبد المطلب . وتهتف بأشياخك زعمت انك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم . ولتودن انك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت . وفعلت ما فعلت . فو الله يايزيد ما فريت إلا جلدك ، ولا حززت إلا لحمك ، ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته .

فكد كيدك . واسع سعيك . وناصب جهدك . فو الله لاتمحو ذكرنا . ولا تميت وحينا . ولا تدرك أمدنا . ولا ترحض عنك عارها . وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد ؟ يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين (١)»

---

(١) بلاغات النساء لاحمد بن ابي طاهر البغدادي صفحة ٢٥

الفصل الرابع *

مواقف الشيعة في العهدين الاموي والعباسي

١ مثل من نضال الشيعة ٢ حال الاسلام في عهد الراشدين ونبذة من قوانينه ٣ بدء الفتن بين المسلمين ومن آثارها والعوامل الدافعة لذلك ٤ سر المناهضة لعلي ومن ناهضه ٥ مناهضة المسلمين لبني امية واسبابها ٦ نهضة الشيعة ضد الأمويين وعللها ٧ عدم تشيع الفرس أيام الدعوة العباسية ٨ نهضة الشيعة ضد العباسيين وسر مطاردة العباسيين لهم .

تمهيد ومُثل من نضال الشيعة وصراحتهم

ذكرنا — قبلئذ — أن الذين ثبتوا على التمسك الحقيقي بالعترة والتدين بالموالاة بعد المبلغ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هم فئة قليلة من الصحابة . وأنهم كثروا يوم باشر امر الإمامة علي أمير المؤمنين (ع) وقاموا يحاربون معه الناكثين والقاسطين والمارقين . ويجاهرون بعقيدة التشيع الدينية طيلة حياتهم الثمينة وهكذا كان إخوانهم — بعد استشهاد هذا الإمام العظيم يجاهدون في سبيل العقيدة ويناضلون عنها في أحرج المواقف . ويصارحون بها اشد الحكام قساوة :

« قطع ابن زياد يدي رشيد الهجري ورجليه وصلبه على جذع نخلة في الكوفة لأجل تشيعه . ولكنه — رحمه الله — لم يترك التحدث بفضائل العترة وبيان مخازي الظلمة حتى قطعوا لسانه . وهكذا صنع ابن زياد بميثم التمار . وزاد على ذلك بأن ألجم ميثماً بلجام من شريط ليمتنع من التحدث بفضائل أهل البيت . ولما رآه لم يمتنع قطع لسانه . وكان ميثم أول خلق الله ألجم بلجام من حديد كما تلجم الخيل . وكان قتله قبل قدوم الحسين العراق

(*) نشر اكثره في مجلة العرفان مجلد ٢٦

بعشرة أيام (١) »

وقس على هذين من قتلهم — قبل ذلك - زياد بأمر من معاوية أمثال الصحابي الجليل حجر بن عدي وأصحابه . ومن قتلهم - بعد ذلك الحجاج بن يوسف أمثال الصحابي الثقة سعيد بن جبير ، قال له الحجاج يوما « أمؤمن أنت أم كافر ؟ قال سعيد ما كفرت بالله منذ آمنت بـه فقال الحجاج اضربوا عنقه (٢) »

وأمثال كميل بن زياد النخعي قتله الحجـاج سنة ٨٢ هـ وكذلك قتل قنبرا مولى امير المؤمنين (ع) هكذا كان رجال الشيعة (من قبل) وهكذا كان صبرهم وإقدامهم ومفاداتهم على قلتهم وضعف مادياتهم وكثرة مضطهديهم وقوتهم (٣)

---

(١) ص ١٧٤ من ارشاد المفيد وص ١١٥ من منهج المقال و ج ١ ص ٢١١ من شرح النهج ولكنه قال صاحبه ان الذي قتل رشيد الهجري هو زياد لا ابنه وكذلك قال المفيد (٢) ج ٣ ص ٢٥٧ من العقد الفريد (٣) ولولا قوة الايمان ، وصلابة العقيدة الشيعية ، والاتحاد والنصيحة لمذهبهم واخوانهم في الوطن والدين وكرم اخلاقهم لما كتب لهم البقاء في تلك العصور المظلمة الموبوءة بالاستبداد والتعصب، ولما كثر الشيعة هذه الكثرة التي نراها اليوم . ولكنها – وياللأسف – كثرة متأخرة عن تلك القلة تأخرا شائنا : متأخرة في إيمانها ، وصلابتها واتحادها ، « إن كان ثمة اتحاد » وفي نصيحتها واخلاقها : ومن المحزن المؤلم أن ترى البعض يشرع لنفسه التحليل والتحريم او يعترض على الشرع والشارع بأن اللعبة الفلانية مثلا مسلية فلماذا حرمت على الناس ؟ يقول ذلك وهو يرى ان اكثر اوقاته الثمينه تذهب سدى من جراء اعتياده على تلك اللعبة ، هذا مع قطع النظر عن الخسارة المادية ، والبعض الآخر يقول إن قليل الخمر لا يسكر فهو حلال جاهلا ان القليل إذا لم يسكره قد يسكر غيره إسكارا فاحشا وانه قد يجر المرأ قهرا إلى الكثير بسرعة إلى غير ذلك من الاقوال الاثيمة ، وإذا ضايقته بالدليل القطعي على حرمة الشيء الفلاني يلتجىء إلى التأسي بالعصاة المحترمين من طائفته مع علمه بوجوب الابتعاد عنهم والامتثال لما نص عليه الثقلان الكتاب والعترة إذ هو المسؤول عنه فحسب « يوم يفر المرء من اخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه - يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا »

ولا عجب فإن هذه الصفات تكاد تكون من ميزات الرجال وخصائصها الطبيعية وإنما الذي يوجب العجب والإعجاب ما صدر من ربات الخدور الشيعيات في مجالس القوة الغاشمة . فإن المرأة منهن كان يؤمر بدخولها على المجلس الحافل برجال الدولة الأشداء فتُسأل عن عقيدتها في علي ومعاوية وعن أقوالها يوم صفين . وكان يتولى السؤال معاوية بنفسه ، ورغم هذا الموقف الرهيب كانت تدخل بكل جرأة وتعترف بحب علي غير هيابة ولا وجلة . وتجابه معاوية بما يعرق به جبينه .

دخلت سودة بنت عمارة بن الاسك الهمداني على معاوية فقال لها «هيه يا بنت الأسك – ألست القائلة يوم صفين

شمّر كفعل ابيك يا ابن عامرة يوم الطعان وملتقى الاقران
وانظر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان
إن الإمام اخو النبي محمد علم (الهدى) ومنارة الإيمان

قالت إي والله ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب . قال لها: فما حملك على ذلك ؟ قالت حب علي عليه السلام واتباع الحق .

ولما أدخلت الزرقاء بنت عدي بن غالب وكانت ممن تعين علياً (ع) يوم صفين قال لها معاوية : ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفين بين الصفين توقدين الحرب وتحضين على القتال قائلة — أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس ، وان الكوكب لا يقد في القمر ، وان البغل لا يسبق الفرس وان الزف لا يوازن الحجر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد ، ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن استخبرنا اخبرناه إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها . فصبراً صبراً يا معشر المهاجرين والانصار ألا إن خضاب النساء الحناء . وخضاب الرجال الدماء . والصبر خير في الأمور عواقبا . إيها إلى الحرب غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده : قالت نعم فقال معاوية والله يازرقاء لقد شاركت

علياً في كل دم سفكه قالت أحسن الله بشارتك مثلك من بشر بخير وسر جليسه . قال وهل سرك ذلك؟ قالت نعم والله لقد سرني فأنى لي بتصديق الفعل

ودخلت عكرشة بنت الأطش على معاوية فسلمت عليه بالإمرة وجلست فقال لها معاوية الآن صرت امير المؤمنين ؟ قالت نعم إذ لا عليٌّ حي . قال ألست المتقلدة بحمائل السيف وانت واقفة بين الصفين يوم صفين تقولين — يا أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهديتم — إن الجنة دار لا يرحل عنها من قطنها ولا يحزن من سكنها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها . ولا تنصرم همومها ، كونوا قوماً مستبصرين . إن معاوية داف اليكم بعجم العرب دعاهم بالدنيا فأجابوه . واستدعاهم إلى الباطل فلبُّوه فالله الله عباد الله في دين الله . إياكم والتواكل فإن في ذلك نقض عروة الإسلام واطفاء نور الإيمان . وذهاب السنة وإظهار الباطل . هذه بدر الصغرى والعقبة الأخرى . قاتلوا يامعشر المهاجرين والانصار على بصيرة من دينكم . واصبروا على عزيمتكم . ثم دارت بينهما محاورات في صنع عماله وعطائه فكانت لها الغلبة . ولذا قال لها — هيهات يا أهل العراق فقهكم علي بن أبي طالب فلن تُطاقوا ثم أمر لها برد صدقتها وإنصافها :

ولما أدخلت ام الخير البارقية . ذكرها معاوية بقولها — هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل . والوصي الوفي . والصديق الاكبر . إنها إحن بدرية . واحقاد جاهلية . وضغائن احدية . وثب بها معاوية ليدرك ثارات بني عبد شمس . فإلى أين تريدون — رحمكم الله — عن إبن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزوج ابنته . وأبي ابنيه . خلق من طينته ، وتفرع من نبعته ، وخصه بسره . وجعله باب مدينة علمه . وأعلم بحبه المسلمين . وأبان ببغضه المنافقين . فلم يزل كذلك يؤيده الله عز وجل بمعونته . ويمضي على سنن إستقامته ، لا يعرج لراحة اللذات وهو مفلق الهام . ومكسر الاصنام . صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس مرتابون . فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر ، وأفنى أهل أحد . وفرق

جموع هوازن. فيالها وقائع زرعت في نفوس قوم نفاقا وردة وشقاقا . فأعترفت لمعاوية به فقال والله يا ام الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي . والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك قالت والله ما يسوئني يا ابن هند أن يجري الله ذلك على يدي من يسعدني الله بشقائه :

وأدخلت الدارمية الحجونية . فابتدأها معاوية بسؤآله — على م أحببت عليا وأبغضتيني؟ وعلى م واليتيه وعاديتيني؟ قالت : إني أحببت عليا عليه السلام على عدله في الرعية . وقسمه بالسوية . وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك . وطلبك ما ليس لك . وواليت عليا عليه السلام على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الولاية . وعلى حبه المساكين . وإعظامه أهل الدين . وعاديتك على سفكك الدماء وشقك العصا . قال صدقت فلذلك انتفخ بطنك إلخ قالت يا هذا بهند والله يضرب المثل لا أنا :

ودخلت بكارة الهلالية على معاوية فقال له عمرو بن العاص هي القائلة يا أمير المؤمنين

أترى ابن هند للخلافة مالكا	هيهات ذاك وما أراد بعيد
منتك نفسك في الخلاء ضلالة	أغراك عمرو للشقا وسعيد

فقال سعيد وهي القائلة

قد كنت آمل أن أموت ولا أرى	فوق المنابر من أمية خاطبا
فالله أخر مدتي فتطاولت	حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم لا يزال خطيبهم	وسط الجموع لآل احمد عائبا

فقالت بكارة نبحتني كلابك يا أمير واعتورنني ، وأنا والله قائلة ما قالوا لا أدفع ذلك بتكذيب فامضي لشأنك فلا خير في العيش بعد علي امير المؤمنين (١)

---

(١) كل ما ذكرناه من كلمات النساء ملخص من ج ١ من العقد الفريد وكتاب بلاغات النساء لأحمد بن ابي طاهر ، وآثار ذوات السوار للمرحوم الشيخ محمد علي حشيشو

وعلى الإجمال — وسترى التفصيل — فإن الشيعة كانوا من اشد الطوائف ثباتاً على عقيدتهم الدينية، وأعظم تفانيافي سبيل المصلحة الإسلامية والمحافظة على قوانين الدين الإسلامي الحنيف ٠

وفي هذا السبيل ناصروا الخلفاء في فتوحاتهم وحروبهم ٠ وفي هذا السبيل ناهضوا الدولة الأموية أيام قوتها وسعة سلطانها كما ناهضوا بعد ذلك الدولة العباسية بعد أن عاونها بعضهم في العراق لا في خراسان لأن التشيع لم يكن يومئذ منتشرا في فارس ولا أثر له في خراسان بل كانت الأكثرية الساحقة هناك من اعداء التشيع العلوي — كما ستعرفه قريباً - ولكن الاستاذ محمد ثابت المصري يرى أن التشيع كان معولاً هادما للاسلام ، وأن الفرس كانوا من الشيعة الحاملين لذلك المعول الهدام ، ويرى اختفاء الشيعة أيام قوة الدولة الأموية ويرى غير ذلك في قوله (ص ١٥٠ من جولته) « قام الشيعة يناهضون بني امية لكن لما قويت الدولة الأموية اختفى الشيعة وظلوا يعملون سرا حتى بدأ اضمحلال دولة بني امية ٠ فظهروا ثانية وعاونوا العباسيين في خراسان تحت ابي مسلم الخراساني ٠ على أن العباسيين لما تملكوا أخذوا يطاردون الشيعة واخذت طوائف الشيعة تتشعب وعاونها الفُرس سرا على ذلك لأن فارس رأت فيهم خير هادم للإسلام وللملك بني العباس أولئكم الذين قضوا على استقلال فارس وحاولوا القضاء على قوميتها »

وليسهل على القارئ الكريم استنتاج الأحكام من المقدمات التي برهن عليها التاريخ الصحيح ٠ ومن العلل والاسباب الطبيعية — نتقدم اليه بالبحث موجزاً عن كل ما له مساس بهذه الكلمة المضطربة ، بادئين بنبذة مهمة من قوانين الإسلام الأساسية لتبقى في ذاكرتك وتجعلها مقياسا عادلاً تقيس عليه الأعمال ٠ فتعرف وقتئذ من هو الذي أراد هدم الإسلام ؟!

حالة الإسلام في بدء الخلافة ونبذة من قوانينه

كان الإسلام أمة واحدة مجتمعة متراصة تحت لوائه الخفاق ، تعمل لتأييده ونشره في أطراف المعمور ، وبث تعاليمه الحكيمة بين الأمم الأخرى التي دخلت في دين الله أفواجا :

كانت الحجاز ، والشام ، ومصر ، واليمن ، ونجد ، والعراق ، وكانت الفُرس والروم ، وكان في الجميع لغات عديدة وأديان كثيرة متفاوتة من نصرانية ويهودية ومجوسية وغيرها . وما مضى ربع قرن حتى تغلبت العربية على كثير من تلك اللغات . وانتصر الاسلام على جل تلك الأديان ولم يبق في هاتيك البلاد سوى جماعات متفرقة هنا وهناك بقيت على دين آبائها الأولين بفضل سماحة الإسلام المقرر في قوانينه العادلة وتعاليمه الرحيمة « لا إكراه في الدين — وجادلهم بالتي هي أحسن — وادع إلى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »

قرر نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم المساواة في الحقوق والأحكام ، وقرر هدم العصبيات القبلية التي كانت بين القبائل في الجاهلية ليبني من هذا الهدم — أساس الجامعة الإسلامية التي هي - بلا شك — أوسع وانفع في الدارين :

وقرر المؤاخاة بقوله تعالى « إنما المؤمنون اخوة » وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم « المسلم أخو المسلم » وأكد ذلك بالعمل فآخى بين اصحابه (رض) ثم آخى بينه وبين ابن عمه علي بن ابي طالب (ع) ومرنهم بجهده على العدل ، والعطف والوفاء واحترام المسلمين جميعاً من غير فرق بين العربي والعجمي ، ولا بين الأسود والأبيض ، ولا بين الحُر والعبد إذ لا ميزة لأحد على أحد إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) ولم ينس احترام غير المسلمين من أهل الذمة فإنه صلى الله عليه وآله وسلم قد امر باحترام حقوقهم واحكام شرائعهم .

وقد حرم شرب الخمر ، والكذب ، والنميمة ، والغيبة — ولا يغتب بعضكم بعضا — وحرم الخيانة ، والغدر ، والرياء ، والمداهنة ، والمحاباة للقريب

والبعيد ، ونكث العهد ، والإخلال بالوعد ، والبذخ والإسراف والظلم ، والجور والمُثلة ولو في الكلب العقور وحرم قتل النفس المحترمة بغير جرم ديني ، والزنا واللواط ، واللهو ، وأكل مال الغير — ولا يحل مال امرء إلا عن طيب نفسه وجعل للزاني — وعبّر عنه بالعاهر — الحجر إلى غير ذلك من المحرمات الشديدة

وقد حثهم على العمل للآخرة والزهد في الدنيا في الوقت الذي حثهم على العمل لها والسعي في مناكبها بقوله البليغ « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » إلى غير ذلك من التعاليم والسنن التي سنها ﷺ لامته وعمل بها في حياته كلها وأصحابه الراشدون بعد مماته والامة معهم تسير بسيرهم وتهتدي بهدى أخي نبيهم يستشيرونه في الايام العصيبة (١) ويستوضحون منه المسائل المعضلة « وكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان يستشيرونه في الاحكام ويرجعون إلى رأيه إذا خالفهم في بعض الاحيان وأكثر من عرف ذلك عنه عمر بن الخطاب (٢) لقد كان يسأله ويأخذ عنه وإذا أشكل عليه شيء قال ههنا علي ؟ وكان يتعوذ من معضلة ليس فيها أبو الحسن (٣)

بدء الفتن في الملة الإسلامية ومن آثارها وسببها

ودامت الامة على ذلك الشكل من الاتحاد والاخلاص للاسلام والمسلمين والعمل بتلك السنن والتعاليم النبوية قدر الجهد إلى أواخر أيام عثمان (رض) حيث تغلبت فئة من بطانته وتولت الاعمال . وانتشرت في البلاد تأمر وتنهى حسب الأهواء . وتنال ما تريد من الملاذ والملاهي التي حرمها الشرع الشريف ولم يعتدها المسلمون من قبل ولم يستطيعوا الصبر عليها والإغضاء عن فاعليها ، فكان من

---

(١) انظر ص ١٣٩ من الاخبار الطوال للدينوري و ج ٣ ص ٣ من تاريخ ابن الاثير وج ٢ ص ٤٢٦ من شرح النهج تجد تفصيل استشارة عمر لعلي وقول علي له « إن الاعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا هذا اصل العرب فإذا اقتطعتموه استرحتم »

(٢) صفحة ٤٤٨ من محاضرات الشيخ الخضري المصري (٣) صفحة ١١٠ من الصواعق وصفحة ٦٦ من تاريخ الخلفاء للسيوطي

الطبيعي أن ينهضوا ويملأوا الارض والسماء بصدى أصواتهم الحرة واستنكاراتهم الشديدة ليشهدوا الله سبحانه وانواع خلقه على ان هناك من لم يزل ينكر «شرب الخمر والزيادة في الفريضة (١)» وتزوير الكتب والإسراف والبذخ: ومن لم يزل واقفاً بالمرصاد يرقب أعمال تلك الفئة التي أهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دم بعضها ونفى البعض الآخر:

ولما أسمعوا عثمان ذلك واعلموه ما خفي عليه من تلك الاعمال عزل البعض وأنب آخرين. ولكنهم عادوا فتغلبوا ثانياً وازدادوا طغياناً. فقام حينئذ المهاجرون والانصار وجائت مصر «بلد الرحالة» والعراق «شيعة طلحة والزبير يومئذ» وكان ما كان — بسبب تلك الفئة — مما مر ذكره قريباً:

وإذا علمت تلك الاعمال — ولو إجمالا — فلا شك انه يحصل لديك صورة جلية وضاءة تريك العوامل الدافعة للأمة على قيامها ضد تلك الفئة وتوضح لك الأسباب التي جرأت أحباش مصر على قتل عثمان (رض) الذي جعل وسيلة بعده لإحداث فتنتي الجمل وصفين:

سر المناهضة لعلي والغاية منها ومن ناهضه *

كانت تلك الفئة على يقين من صلابة أمير المؤمنين (ع) في دينه ومن أنه «لا يمالئ ولا يحابي ولا يداهن (٢)»

---

(١) ذكر ابو الفداء — ج ١ ص١٦٧ من تاريخه «ان الوليد بن عقبة بن ابي معيط شرب الخمر وصلى بالمسلمين الفجر اربع ركعات وهو سكران وقال بعد الفراغ أأزيدكم؟ وفي ذلك يقول الحطيئة

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه	أن الوليد احق بالغدر
نادى وقد تمت صلاتهم	أأزيدكم ثملا وما يدري

وذكر ذلك المسعودي (ج ١ ص ٤٣٥) من مروج الذهب وقال (إن الوليد هذا ممن اخبر النبي (ص) بأنه من أهل النار)

(*) إنما ذكرنا مناهضة القوم لعلي عليه السلام لأنها في جملة الاسباب التي اوجبت مناهضة الشيعة لبني امية (٢) انظر إلى صنعه مع اخيه عقيل الذي طلب الزيادة عما يستحق من بيت المال بسبب إملاقه الذي سول له ان يقصد معاوية

وكانت تعتقد ايضاً انه لو تولى الخلافة لقضي على آمالها وشهواتها . ولحملها على مر الحق الذي لم تتذوقه .

وكان لديها أمر آخر لا يغيب عن مفكرتها وإن أخفته خوفاً من «الدرة» أيام الثاني والتلهيها بالحكم ونيل الآمال أيام الثالث . وذلك الامر هو ثأر اقربائها عند علي الذي افنى اكثرهم أيام احد وبدر وحنين وغيرها كما هو معروف في التاريخ :

« جاء الوليد بن عقبة إلى علي (ع) فقال — يا أبا الحسن إنك قد وترتنا جميعاً — أما أنا فقد قتلت ابي يوم بدر صبرا، وأما سعيد بن العاص فقتلت اباه يوم بدر وأما مروان بن الحكم فسخفت أباه عند عثمان إذ ضمه إليه . ونحن نبايعك على ان تضع عنا ما أصبناه من المال ايام عثمان ..(١) »

وعادة الأخذ بالثأر كان لها الاهمية العظمى عند العرب ايام الجاهلية وبقيت عندهم حتى في أيام عز الإسلام وقوة الدين الذي حرم ذلك اشد تحريم :

وقد حدثنا التاريخ عن قتل « جفينة والهرمزان » بمجرد اتهامهما بالممالأة على قتل الخليفة الثاني (رض) . وزد على ذلك أن تلك الفئة لم تكن مخلصة في تدينها ولا دخل الدين قلبها تماماً حتى ينسيها العادات الجاهلية، وحتى يحجزها عن الشر وقلب ظهر المجن للمسلمين ، وحتى يمسكها من الإنشقاق عن الامة الإسلامية التي اجتمعت حول علي (ع) وبايعته :

فلا غرابة إذن في مناهضتها له وسبها إياه على المنابر رغم قول النبي ﷺ « من سب عليا فقد سبني (٢) ولكن من الغرابة بمكان قيام عمرو بن العاص معها يطالب بدم عثمان وله السهم الأوفى في التحريض عليه حتى انه اعترف بقتله في قوله لما بلغه قتله « انا قتلته وانا بوادي السباع (٣) »

(١) شرح النهج ج ٢ ص ١٧٢ (٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٧ والصواعق ص ٧٦ (٣) إبن الأثير ج ٣ ص ١٠٩

ثم اخذ يتباكى عليه ويناصر من اتخذ هذه الواقعة « المدبرة » وسيلة إلى مآربه الشخصية (١) • ولا ريب في أن الدافع لعمرو على ذلك ليس الحب لعثمان ولا لمعاوية، وإنما الدافع القوي له هو طمعه في دنيا معاوية وحبه التشنيع على امير المؤمنين (ع) ولذلك « قال لعائشة (رض) — لوددت أنك كنت قتلت يوم الجمل • فقالت ولِمَ لا أباً لك ؟ قال كنت تموتين وتدخلين الجنة ، ونجعلك اكبر التشنيع على علي (٢) »

وعمرو هو الذي اشار على معاوية بنشر قميص عثمان على منبر الشام ليثير حنق اهلها على من « كان من اكبر المساعدين لعثمان والذابين عنه • وما زال عثمان يلجأ إليه في دفع الناس عنه فيقوم في دفعهم القيام المحمود (٣)

كل هذا فعله علي (ع) في سبيل عثمان وهم كانوا بين محرض عليه وخاذل له (٤) وقد ذكرنا سابقا كتاب عثمان إلى معاوية يستنصره فيه على الصحابة ، وذكرنا إخفاء معاوية الكتاب عن اهل الشام لئلا يعلموا تخاذله عن نصرته فلا يتمكن بعدئذ من سوقهم لحرب علي واتهامه وحده بدم عثمان والممالأة عليه

وإن معاوية وزملاءه كانوا يعلمون أن الذين قتلوا عثمان كانوا اثنين او ثلاثة من اهل مصر وان اثنين منهم قتلا في دار عثمان فورا — كما في ج ١

---

(١) يدلنا على ذلك أن معاوية لم يطالب أحدا بدم عثمان بعد نيل مراده ولم يتعرض لمن أطاعه من المؤلبين عليه بل قرب أكثرهم وأكرمهم ولما «دخل دار عثمان بعد عام الجماعة صاحت عائشة ابنة عثمان وبكت ونادت أباها فقال لها معاوية — لئن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني من عرض الناس (العقد الفريد ج ٣ ص ١٢٦ » نعم لم يتعرض لاعداء ابيها ولا وعدها بشيء من ذلك بل اراد اقناعها بأنه صار امير المؤمنين ؟ (٢) ج ١ صفحة ٢٩٧ من تهذيب الكامل للمبرد (٣) الفخري ص ٧٧ (٤) يشهد الشهرستاني — ج ١ صفحة ١١ من ملله — انه كان امراء جنود عثمان — معاوية عامل الشام • وسعد بن ابي وقاص عامل الكوفة وبعده الوليد بن عقبة بن ابي معيط • وعبد الله بن عامر عامل البصرة • وعبد الله بن ابي سرح عامل مصر • وكلهم خذلوه ورفضوه حتى اتى قدره عليه »

ص ١٦٨ من شرح النهج وان الثالث قُتل في مصر مع ابن أبي حذيفة قبل واقعة صفين كما في ج ٤ ص١٤٩ من المقريزي · ويعلمون ايضا براءة علي من دم عثمان · ولكن الإمرة والملك العضوض وضعف الدين هي وحدها — لا دم عثمان — التي دعتهم وحفزتهم لحرب «من كان من الحق في جميع احواله يدور الحق معه حيث دار (١)»

ولولا الإستعانة على حرب علي (ع) لما سخى معاوية بمصر (٢) وجعلها طعمة لابن العاص كما أن ابن العاص — لولا ولاية مصر — لم يعن معاوية تلك الإعانة المخزية في صفين حتى أبدى سوأته (٣) لينجو من «ذي الفقار»

---

(١) ملل الشهر ستاني ج ١ ص ٥٨ (٢) يقول العقد الفريد (ج٣ ص ١١٣) «علم معاوية والله إن لم يبايعه عمرو بن العاص لم يتم له أمر . فقال له ياعمرو أتبعني قال لماذا ؟ للآخرة فوالله ما معك آخرة ام للدنيا فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها قال معاوية أنت شريكي قال عمرو فاكتب لي مصر وكورها فكتبها له وكتب في آخر الكتاب — وعلى عمرو الطاعة والسمع قال عمرو واكتب انها لا ينقصان من شرطه شيئاً قال معاوية لا ينظر الناس إلى هذا قال عمرو حتى تكتب فكتب معاوية والله لا يجد بدا من كتابتها · ودخل عتبة بن أبي سفيان على معاوية وهو يكلم عمرا في مصر وعمرو يقول له إنما ابايعك بها ديني · وإلى ذلك يشير عمرو في قوله

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل   به منك دنياً فانظرن كيف تصنع »

(٣) ذكر المؤرخون مبارزة عمرو بن العاص لأمير المؤمنين (ع) وانه لما همّ أن يعلو عمراً بالسيف كشف عمرو عن سوأته فتنحى عنه أمير المؤمنين ومال بطرفه تكرما وحياء من هذا المنظر المعيب المخجل وكذلك فعل بسر بن أرطاة لما صرعه امير المؤمنين وقد ضرب بهذه المكرمة العلوية المثل وُعد عفوه عنهما من المكارم والسؤدد · وللشعراء فيهما ابيات شهيرة منها قول ابي فراس الحمداني ·

ولا خير في دفع الردى بمذلة   كما ردّها يوما بسوأته عمرو

وقول ابن منير الطرابلسي في وصف عمرو ·

بطل بسوأته يقاتل   لا بصارمه الذكر

وقول الحرث الخثعمي يخاطب معاوية

أفي كل يوم فارس لك ينتهي   وعورته وسط العجاجة باديه؟

الذي سُلَّ عليه . وليرى ولاية مصر التي كانت تعدل — بنظره — الخلافة يقول المقريزي « وكان يقول عمرو بن العاص = ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة (١) هذه بعض أعمالهم في سبيل الملك وهذه انانيتهم الذميمة في الإمرة .

وفي سبيل الملك استلحق معاوية زياد بن عبيد الرومي . وقتل صبراً حجر ابن عدي الكندي الصحابي الجليل « وهو أول من قتل صبراً في الإسلام (٢) » وقد نقم جماعة من المسلمين على معاويــة هذه الأحداث العظيمة في الإسلام كان اشدهم الحسن البصري القائل « اربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة ، انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف ، واستخلافه بعده ابنه يزيد سكيراً خميراً ، يلبس الحرير ، ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حجر بن عدي واصحابه . فيا ويلا له من حجر وأصحاب حجر (٣)

وما لنا نسهب في الكلام ونذهب بعيدا في الاستدلال ولدينا إيواء معاوية لابن العاص الذي يعلم بتحريضه الشديد على عثمان فإنه اكبر دليل على أنه ما أراد بخروجه على الإمام دم عثمان . وإنما أراد الملك العضوض الذي حرص عليه وبذل جهده في سبيل احتكاره لولده يزيد غير مكترث بما ينال الإسلام والمسلمين من هذا الإحتكار البغيض، وبما ينجم عنه من الفتن التي تُودي بالملك وتزعزعه من اساسه وتوجب قتل الاخ لاخيه في سبيله :

يكف لها عنه علي سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاويه

فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا ... لنفسكما لا تلقيا الليث ثانيه

ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما ... هما كانتا والله للنفس واقيه

(١) ج ١ ص ٢٧١ من خططه (٢) مروج الذهب ج ١ ص ٥٦ (٣) إبن الاثير ج ٣ صفحة ١٩٣ ومحاضرات الراغب الإصبهاني ج ٢ صفحة ٢١٣ .

مناهضة المسلمين لبني امية والسر في ذلك

تذكر الآن ما قدمناه = قبل صفحات = من سيرة النبي العظيم ﷺ وقوانينه العادلة التي سار على ضوئها الوهاج خلفائه الراشدون (رض). وتذكر ايضا سيرة ابن ابي سفيان وابنه يزيد وامثال يزيد من آل مروان « اولئك الذين استبدا بالسلطة. وجعلوا الرعية وأموالها ملكا لهم يتوارثونها ويتصرفون فيها بما شاءوا حتى إذا ظهر فيهم عادل يحاول وضع الحق موضعه كمعاوية الاصغر، وعمر بن عبد العزيز (١) ألزموه بقوة العصبية على أن يجري في طريقهم أو يخلع من الملك (٢)

أضف إلى ذلك إمتهانهم لأئمة الحديث والفقه وبيعهم لأحرار العرب (٣) الذين خدموهم اكبر خدمة وأيدوا ملكهم ونصبوا لأجلهم العداء لأهل البيت (ع).

---

(١) «كان عمر هذا من أعدل بني مروان ولذا احبه الناس وجنحوا في أيامه إلى السكينة وكان يرأف بشيعة الكوفة ويكتب إلى عامله بالعراق « اما بعد فإن اهل الكوفة قد اصابهم بلاء وشدة وجور في احكام الله وسنة خبيثة سنها عليهم عمال السوء ج٥ ص٢٣ من ابن الاثير» «وتوفي عمر سنة ١٠١ﻫ بالسم عند أكثر اهل النقل. فإن بني امية علموا إن امتدت ايامه اخرج الامر من ايديهم ولا يعهد بعده إلا لمن يصلح للأمر فعاجلوه وما امهلوه انظر ج١ ص٢٠١ من ابي الفداء، واما ابن الاثير فيجزم « بأن بني امية خافوا ان يخرج ما بأيديهم من اموال وان يخلع يزيد من ولاية العهد فوضعوا على عمر من سقاه سما فلم يلبث حتى مرض ومات ج٥ ص١٨ من تاريخه

(٢) من مقال لصاحب المنار ج٦ ص٢٦ (٣) يحدثنا الطبري وابن الاثير « ان الوليد ابن يزيد جلس للناس ويوسف بن عمر عنده فأرسل الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري ان يوسف يشتريك بخمسين الف الف فإن كنت تضمنها وإلا دفعتك إليه فقال خالد – ما عهدت العرب تباع – فدفعه إلى يوسف فنزعه يوسف ثيابه ودرّعه عباءة ولحفه بأخرى وحمله في محمل بغير وطاء ثم ارتحل به نحو الحيرة فلما وصل أتى بخالد فدعا بعود فوضع على قدمي خالد ثم قامت عليه الرجال تضربه حتى تكسرت قدماه ثم على ساقيه حتى كسرتا ثم على حقويه ثم على صدره حتى مات ودفن بعباءته بناحية الحيرة سنة ١٢٦ ﻫ – ج٩ ص٢١ ومجلد ٥ صفحة ١٠٣ من تاريخيهما

نعم تذكر كلتا السيرتين وقارن بينهما ليتضح لديك السر في مناهضة الامة الإسلامية جمعاء لبني امية . لا خصوص الشيعة كما يلوح من كلام الرحالة ثابت .

يدلك على ذلك التعميم نهضة المدينة المنورة بعد نهضة الحسين المباركة ولما خمدت نهضة المدنية « أباحها قائد يزيد بن معاوية ثلاثة أيام لاهل الشام يفسقون بالنساء ويقتلون فيها الناس حتى قتل من وجوه المهاجرين والانصار سبعمائة ومن وجوه الموالي عشرة آلاف . ثم ان قائد يزيد بايع من بقي من الناس على أنهم خول وعبيد ليزيد بن معاوية (١) »

ويقول إبن قتيبة « قتل في المدينة من النساء والصبيان عدد كثير . وكان الجند يأخذ برجل الرضيع فيجذبه من امه ويضرب به الحائط فينتثر دماغه على الارض وامه تنظر إليه (٢) . ويقول الفخري « إن الرجل من أهل المدينة كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها لعلها قد افتضت في وقعة الحرة (٣) » حيث « افتض فيها ألف عذراء من بنات المهاجرين والانصار (٤) »

فاهتاجت لذلك ولغيره مكة المكرمة . وتحصن أهلها في البيت الحرام آملين ان يراعي الامويون حرمة هذا البيت المقدس حتى عند الجاهلية الأولى . ولكن الحصين بن نمير قائد الجيش الاموي قد خيب أمل المكيين وراح يقذف الكعبة المشرفة التي التجأوا إليها بالمنجنيق والنار :

وأهل المدينة ومكة كان أكثرهم يومئذ إن لم نقل كلهم من غير الشيعة بل كان الرئيس في مكة عبد الله بن الزبير وميله عن علي وشيعته مشهور معروف (٥)

---

(١) ابو الفداء مجلد ١ صفحة ١٩٢ (٢) الامامة والسياسة صفحة ٢٠٠

(٣) صفحة ١٠٥ منه (٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي صفحة ٩٩ (٥) انظر العقد الفريد مجلد ٣ صفحة ١٥٧ تجد إسقاطه اسم النبي (ص) من الخطبة اربعين جمعة لئلا يفتخر بذكره قومه . وانظر تهذيب الكامل للمبرد مجلد ١ صفحة ١٤٩ تجد بغض ابن الزبير للعلويين وسجنه لهم في سجن عارم وعزمه على حرقهم فيه »

ومثله محمد بن الاشعث الذي نهض في مرج راهط ضد عبد الملك بن مروان :

❋ نهضة الشيعة ضد بني أمية وأسبابها ❋

كانت باكورة النهضات ضد الامويين (بعد معاوية) نهضة الشيعة كما علمت : نهضوا مع سيد الأباة وسبط الرسالة إمامهم الحسين بن علي عليهما السلام . وردّدوا قوله «لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما»

وقد أجملنا أسباب هذه النهضة الشريفة في ضمن الكلام عن مقتل الحسين وأصحابه فلا حاجة إلى الإعادة . وانما نحن بحاجة إلى التنبيه على أن هذه النهضة الحسينية هي التي نبهت الافكار . وحفزت الهمم الخامدة . وجرأت الأمة الاسلامية على الجهر بإنكار ما رأته من أعمال الامويين المنافية لقوانين الدين الحنيف . وعلى إباء الذل والخنوع والضغط والإضطهاد :

ولذلك نرى تتابع النهضات الإسلامية على أثر النهضة الحسينية الواحدة تلو الاخرى ، ونرى بعض الزعماء يفتخرون بالتأسي بسنة الحسين (ع) حتى ان مصعب بن الزبير كان يثبّت نفسه على حرب عبد الملك بقوله

وإن الأُلى بالطف من آل هاشم   تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وكان أول نهضة شيعية بعد الحسين (ع) هي نهضة التوابين ثم نهضة شيعة الكوفة مع المختار . وكان السبب لهاتين النهضتين مزدوجاً من الاخذ بالثأر ومن كراهية الحياة بالذل واحتمال الضغط والاضطهاد :

وبعدهما نهض زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام وكانت نهضته كنهضة جده في أيام قوة الدولة الاموية وميعة صباها، وسعة سلطانها ، فقول الرحالة المصري «لكن لما قويت الدولة الاموية اختفت الشيعة» بعيد عن الصواب .

وسبب نهضة زيد — على ما أرى — هو ما رآه من ظلم هشام بن عبد الملك وخالد القسري ويوسف بن عمر وعبثهم بحقوق الامة وهتكهم نواميس الشرع . واحتقار هشام بالخصوص لزيد وأخيه الإمام الباقر عليهما السلام

حتى انه « لما دخل زيد على هشام قال له ما فعل اخوك البقرة ؟ فغضب زيد حتى كاد يخرج من إهابه ثم قال لهشام · سماه رسول الله باقراً وتسميه انت البقرة· لشدّ ما اختلفتما · لتخالفنه في الآخرة كما خالفته في الدنيا · فقال هشام خذوا بيد هذا الاحمق المائق (١) »

· فخرج زيد من عند هشام وهو يقول = ما كره قوم قط جرّ السيوف إلا ذلّوا (٢) » ويؤيد كون السبب في نهضة زيد ما رآه من ظلم القوم وفسقهم ما رواه المقريزي قال « سئل جعفر بن محمد الصادق عن خروج زيد · قال خرج على ما خرج عليه آباؤه (٣) ويرى الخضري المصري « ان سبب خروج زيد بن علي هو ظلم يوسف بن عمر وسوء تدبيره (٤) » والاقرب ما تقدم وما ذكره الخضري من جملة الاسباب الأولى لا أنه سبب وحده ·

ثم انا لا ننكر أن الشيعة كما ناهضوا الدولة الاموية أيام قوتها ناهضوها أيضاً أيام ضعفها وبدء اضمحلالها : فهذا يحيى بن زيد المتقدم ذكره قد نهض أيام ضعف الدولة والدين أيضا وناهض في سنة ١٢٥ هـ الوليد بن يزيد بن عبد الملك المخاطب لكتاب الله العزيز بعد ان ألقاه « ورماه بالسهام

تُهددني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبارٌ عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يارب مزّقني الوليد — (٥)

ومع هذا القول يعدونه (ويا للاسف) من خلفاء الإسلام ويعدّون الخروج عليه جريمة لا تغتفر وخطأ عظيماً كما عدّ بعضهم خروج الحسين على يزيد سلف الوليد من هذا القبيل :

---

(١) بتلخيص من عيون الاخبار مجلد ١ صفحة ٢١٢ وشرح النهج مجلد ١ صفحة ٣١٥ (٢) خطط المقريزي مجلد ٤ صفحة ٣٠٩ (٣) الخطط مجلد ٤ صفحة ٣٠٧ (٤) صفحة ٦١٠ من محاضراته (٥) مجلد ٥ صفحة ١٠٧ من ابن الاثير · ويقول السيوطي – صفحة ٩٧ من تاريخ الخلفاء – إن الوليد هذا كان فاسقا خميرا لواطا راود اخاه سليمان عن نفسه ونكح زوجات ابيه »

واما خروج معاوية على أبي الحسين فهو بنظر البعض لمصلحة الأمة . وهذا = بلا ريب = تعصب ذميم ، وخروج عن جادة الإنصاف .

وأي مصلحة رأت الامة في خروج معاوية وفي سبه أهل البيت على منبر جدهم (ص) حتى أوغر بذلك صدور الشيعة وجعلهم يتربصون الفرص للنهضة ضد الدولة الاموية بل أي مصلحة للإسلام في أن «يقول جماعة معاوية لحجر بن عدي وأصحابه إنا أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له . فإن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم . فقالوا لسنا فاعلي ذلك .. فحُفرت لهم القبور . وأُحضرت الاكفان وقام حجر وأصحابه يصلّون عامة الليل فلما كان الغد قدموا فقتلوا (١)

حكى ذلك ابن الاثير ثم شفع هذه الحكاية الفظيعة بافظع منها قال «قال معاوية لكريم الخثعمي — ما تقول في علي ؟ قال أقول فيه قولك . قال معاوية أتبرأ من دين علي الذي يدين الله به ؟ فسكت الخثعمي (٢) »

وحق له السكوت لان علياً لم يدن بغير دين الاسلام في حياته كلها بل «والله لولا سيفه لما قام عمود الاسلام . وهو بعد أقضى الامة وذو سابقتها وذو شرفها (٣) بل

« ولولا أبو طالب وابنه   لما مَثُل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة آوى وحامى   وهذا بيثرب جس الحماما (٤) »

وعلى الإجمال فإن هذه السنة السيئة — سنة السب — كانت متبعة عند الامويين . وهي السبب الرئيسي لاكثر نهضات الشيعة الذين كانوا يسمعون سب أئمتهم جهاراً من بني أُمية وعمالهم أمثال زياد وإبنه ، وخالد القسري ويوسف ابن عمر ، والحجاج بن يوسف الذي قال عنه عمر بن عبد العزيز «لو جائت كل

---

(١) ابن الاثير مجلد ٣ صفحة ١٩٢ وجزء ١٦ صفحة ٩ من الاغاني (٢) نفس المصدر (٣) قال ذلك عمر بن الخطاب (رض) في جواب من نسب عليا أمامه إلى التيه فقال له حق لمثله ان يتيه الخ انظر مجلد ٣ صفحة ١١٥ من شرح النهج (٤) من ابيات لابن ابي الحديد في مدح ابي طالب ذكرها مجلد ٣ صفحة ٣١٧ من شرحه

أُمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم (١)» وقال عنه الامام الاوزاعي «كان الحجاج ابن يوسف ينقض عرى الاسلام عروة عروة (٢)»

ولا نستغرب هذين القولين فان الحجاج «كان يُفضل عبد الملك بن مروان على الملائكة المقربين والانبياء المرسلين ويقول. ويحكم أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه ام رسوله إليهم ؟(٣)» ومع هذا القول كان عبد الملك «يقول الحجاج جلدة ما بين عيني وانفي (٤)»

عدم تشيع الفرس أيام الدعوة العباسية

عرفت الاسباب التي سببت مناهضة الشيعة للدولة الأُموية في حالتي القوة والضعف معاً والتي أوجبت مقت الشيعة للحكم الاموي الجائر. ودفعت بعضهم إلى الاشتراك مع العباسيين في العراق على العمل ضد الامويين لا «في خراسان تحت راية أبي مسلم الخراساني» كما زعمه الرحالة المصري. لان أهل خراسان لم يكونوا — يومئذ — من شيعة العلويين. وإنما كانوا من شيعة العباسيين ودعاتهم وهكذا كان أبو مسلم الخراساني.

يقول الطبري «وفي هذه السنة سنة ١٢٠ هـ وجهت شيعة بني العباس في خراسان إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس — سليمان بن كثير ليعلمه أمرهم وما هم عليه.. وفيها وجه محمد هذا بكير بن ماهان إلى شيعته بخراسان وكتب معه كتاباً يعلمهم به أن خداشاً حمل شيعته على غير منهاجه (٥)»

ويقول ابن خلدون «واما الكيسانية فساقوا الإمامة من ابن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم إلى ان انتهى إلى المنصور ثم قال وانتقلت في ولده بالنص والعهد. وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بني العباس. وكان منهم أبو مسلم الخراساني

---

(١) ابن الاثير مجلد ٣ صفحة ٢٢٣ و مجلد ٣ صفحة ٢٥٣ من العقد الفريد
(٢) نفس المصدر (٣) مجلد ٣ صفحة ٢٥٥ من العقد الفريد (٤) نفس المصدر
(٥) مجلد ٨ صفحة ٢٤٩ من تاريخه

وسليمان بن كثير وابو سلمة وغيرهم من شيعة العباسية (١) »

ويقول الخضري المصري « كل هذه المشاغل شغلت مروان بن محمد عن خراسان فكان ذلك اكبر مساعد لشيعة بني العباس ورئيسهم المقدام أبي مسلم الخراساني في التغلب على خراسان ومبايعة أهلها على الرضا من بني العباس (٢) »

فأنت ترى أن الطبري وابن خلدون والخضري لم يجعلوا الخراسانيين ولا أبا مسلم الخراساني وزملاءه في الدعوة العباسية من الشيعة العلوية وإنما جعلوهم من اشياع العباسيين والقائمين بدولتهم .

ولقد أخرج الصادق جعفر بن محمد أهل خراسان من الشيعة « يوم جاء عبد الله المحض وقال للصادق (ع) هـذا كتاب ابي سلمة يدعوني فيه إلى الخلافة قد وصل على يد بعض شيعتنا من أهل خراسان . فقال الصادق — ومتى صار أهل خراسان من شيعتك وهم يدعون إلى غيرك ؟ فقال عبد الله كأن هذا الكلام لشيء ؟ فقال الصادق (ع) — قد علم الله أني أوجب النصح على نفسي لكل مسلم فكيف أدخره عنك ؟ وقد جاءني مثل هذا الكتاب الذي جاءك فاحرقته (٣) »

وأخرجهم ايضا من التشيع محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في كلمته التي قالها لرجال الدعوة حينما أراد بثهم في البلدان . قال « اما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب . وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف . وأما الجزيرة فحرورية مارقة . وأما اهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان . . وأما اهل مكة والمدينة فقد غلب عليها أبو بكر وعمر . ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير . والجلد الظاهر . وصدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الاهواء . ولم تتوزعها النحل ولم تشغلها ديانة إلخ (٤) »

---

(١) صفحة ١٤٠ من مقدمته ولكن المقريزي قد خالفه في تسمية هؤلاء فأسماهم باسم الرزامية لا الهاشمية وان وافقه على غير ذلك انظر خططه مجلد ٤ صفحة ١٧٧
(٢) صفحة ٢٢٩ من محاضراته (٣) صفحة ١٣٧ من الفخري في الآداب السلطانية
(٤) عيون الاخبار لابن قتيبة مجلد ١ صفحة ٢٠٤

وإن هذه الكلمة الصادرة من هذا الرجل الكبير الخبير بتلك البلدان ٠ والعليم بمذاهب أهلها ونزعاتهم ٠ لأصرح دليل على عدم تشيع الخراسانيين في ذلك العهد ٠ بل يظهر منها انحصار التشيع أو كثرته في الكوفة وسوادها لكن حملها على الكثرة أولى لان وجود الشيعة يومئذ في جبال عاملة وقم ونيسابور مما لا ريب فيه على الظاهر ٠ وخصوصاً في قم: يخبرنا ياقوت الحموي «ان قم مصرت سنة ٨٣ هـ على يد بني سعد بن مالك بن عامر الاشعري ٠ وكان متقدم هؤلاء البنين عبد الله بن سعد وكان له ولد قد ربي بالكوفة فانتقل منها إلى قم وكان إمامياً ٠ وهو الذي نقل التشيع إلى أهلها فلا يوجد بها سني قط (١)»

والذي يدل أيضاً على براءة التشيع من أبي مسلم وإخوانه الخراسانيين — قول الشهرستاني عن إبراهيم الامام العباسي «وهو صاحب أبي مسلم الذي دعاه اليه وقال بإمامته وتبعه قوم من خراسان ساقوا الامامة إليه ٠ وقالوا له حظ فيها ثم ادعوا حلول روح الإله فيه ٠ ولهذا ابدوه على بني أمية حتى قتلهم عن بكرة أبيهم (٢)»

وإليك (زيادة عما تقدم من الادلة على عدم تشيع الخراسانيين أيام الدعوة وما قبلها) ما يدلك على بقائهم على ذلك إلى القرن الرابع والخامس ٠ ويدلك على عدم تشيع غيرهم من بلاد فارس ايضاً

يقول أبو بكر الخوارزمي (المتوفى سنة ٣٨٣ هـ) في رسالته إلى جماعة الشيعة بنيسابور بعد ان عدد اعمال الامويين قال «فبعث عليهم أبا مجرم لا أبا مسلم فنظر لا نظر الله إليه إلى صلابة العلوية ولين العباسية، فترك تقاه، واتبع هواه، وباع آخرته بدنياه، وسلط طواغيت خراسان، وخوارج سجستان، واكراد اصفهان على آل ابي طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدر، حتى سلط الله عليه احب الناس إليه (٣) فقتله كما قتل الناس في طاعته، وأخذه بما أخذ

---

(١) مجلد ٧ صفحة ١٦٠ من معجمه (٢) ج ١ ص ٨٧ من ملله (٣) يشير بذلك إلى المنصور العباسي الذي قتل أبا مسلم الخراساني سنة ١٣٧ هـ بعد أن وطد الملك العباسيين وبناه لهم على الجماجم الفارسية فكان جزاؤه منهم جزاء سنمار

الناس في بيعته (١) »

وهذه الكلمة تفهمنا = زيادة على كره ابي مسلم للشيعة و كونه غير شيعي = ان التشيع لم يكن إلا نادراً في البلاد الفارسية أيام ابي مسلم والدعوة العباسية ، بل ولا كان فاشيا حتى في خراسان بلد ابي مسلم وحتى في بلد كبير كإصفهان وسجستان ٠

ويؤكد ذلك في ختام هذه الرسالة بقوله « فإن كان التشيع قد كسد في خراسان فقد نفق في الحجاز والحرمين ، والشام والعراقين ٠ ونسأله تعالى أن لا يكلنا إلى انفسنا ، وان يعيذنا من روايات الكيسانية ، و كذب الغلاة الخطابية ، وأن لا يحشرنا على نصب إصفهاني ، ولا على بغض لأهل البيت طوسي أو شاشي »

وهذا ابن الأثير يخبرنا بما يوافق الخوارزمي على كون اهل طوس كانوا من مبغضي أهل البيت في أواخر عصر الخوارزمي قال « إن محمود بن سبكتكين جدد عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر علي بن موسى الرضا وأحسن عمارته وكان أبوه سبكتكين أخربه ٠ وكان اهل طوس يؤذون من يزوره فمنعهم ابنه عن ذلك ٠ وكان سبب فعله ذلك ٠ انه رأى في المنام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وهو يقول له إلى متى هذا ؟ فعلم انه يريد امر المشهد فأمر بعمارته (٢) »

وإليك ايضا ما يدل على عدم تشيع الخراسانيين في أواخر القرن الثاني ما رواه البيهقي من « ان المأمون العباسي هم بأن يكتب كتاباً في الطعن على معاوية ٠ فقال له يحيى بن اكثم = يا امير المؤمنين العامة لا تتحمل هذا ولا سيما اهل خراسان ٠ ولا تأمن ان يكون لهم نفرة (٣) »

---

(١) ص ١٢٨ من رسائله (٢) ج ٥ ص ١٣٩ من تاريخ ابن الاثير (٣) ج ١ ص ١٠٨ من المحاسن والمساوئ للبيهقي

الإستنتاج

فإذا علمت ان خراسان وسجستان وإصفهان كانت غير شيعية ايام ابي مسلم الخراساني والدعوة العباسية ، وان اصفهان وشاش وطوس — وهي مدفن الإمام الثامن للشيعة = كانت ناصبة العداء لآل البيت العلوي ايام الخوارزمي وابن سبكتكين المتوفى سنة ٤٢١ ﻫ وان خراسان كانت توالي معاوية ايام المأمون . إذا علمت ذلك كله فاسأل معنا الرحالة المصري عن القرن الذي قصده في قوله « رأت فارس في الشيعة خير هادم للإسلام وملك بني العباس » هل هو القرن الثاني او الثالث او الرابع او القرن العاشر ؟ الذي ظهرت فيه الدولة الصفوية العلوية . وجعلت التشيع مذهبا رسميًا في فارس وبثته في البلاد حتى صار جل السكان إمامية إثنى عشرية ولم يزالوا كذلك الى اليوم

وأظنه يقصد القرن الثاني لان فيه تولدت الدولة العباسية التي « قضت — بزعمه — على استقلال فارس وقوميتها »

وبما انك علمت = مما تقدم = ان الشيعة في هذا القرن لم يكونوا في فارس غير أفراد قلائل في (قم) متسترين لا يستطيعون التظاهر بمذهبهم ولا الدعوة له . فلا أظنك إلا حاكمًا بان هدم الاسلام الذي زعم الرحالة حصوله يومئذ من الفُرس إنما كان على يد غير الشيعة لان أكثرية السكان الساحقة كانت وقتئذ في جانب غير الشيعة . وكان السلطان لتلك الاكثرية والقوة معها . وكان منها العلماء الذين ترأسوا وقُلِّدوا في الاقوال والاعمال . ومنها الدهاة المحنكون في الدعاية والتلبيس :

ومن البديهي = ان هدم العقيدة وكذا المذهب والملك إنما هي من الامور التي لا يتمكن منها غالبًا غير أولى السلطان والقوة العلمية والمادية . وهي باجمعها لم تكن متوفرة لدى أفراد الشيعة القليلين في فارس يومئذ :

ولذلك لما توفرت لديهم = ايام الشاه عباس الصفوي = تغلب المذهب الشيعي

على غيره هناك ونال الاكثرية . وإليك مثلاً من تأثير السلطان والقوة في هدم العقيدة وبناء غيرها في القلوب = ما فعله السلطان السفياني ثم المرواني فإنه بعد أن هدم =بقوته الغاشمة =عقيدة التمسك بالعترة النبوية بنى عقيدة النصب لهم والتقرب إلى الله تعالى—عقيب كل فريضة= بسبهم . وتمكنت هذه العقيدة من قلوب جماعات كثيرة حتى جهرت بها في أغلب البلاد الإسلامية وحتى « كان اهل حران حين ازيل لعن امير المؤمنين عن المنابر في ايام الجمع= امتنعوا من إزالته وقالوا=لا صلاة إلا بلعن أبي تراب (١)

وهكذا فعل السلطان الايوبي في مصر فإنه بعد ان «تقوى على العاضد الفاطمي وألغى الخطبة له بتحريض من أمير فارسي يدعى امير عالم . وهذا الامير هو الذي اخذ على عاتقه ان يباشر العمل بنفسه ، ففي اول جمعة من محرم سنة ٥٦٧ هـ توجه امير عالم الفارسي إلى اكبر جوامع القاهرة ، وصعد المنبر وخطب باسم المستضيء العباسي . فلما علم صلاح الدين الأيوبي بذلك أمر أن تعاد الخطبة للمستضيء في جميع جوامع القاهرة والفسطاط (٢) »

بعد ذلك كله «اتخذ الملوك من بني ايوب يوم عاشوراء يوم سرور ، يوسعون فيه على عيالهم ، ويتبسطون في المطاعم ، ويصنعون الحلاوات ، ويتخذون الأواني الجديدة ، ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج في أيام عبد الملك .. وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو ايوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط (٣) » ونحن ادركنا تلك البقايا ليلة ١١ محرم سنة ١٣٣٨ هـ في دير الشعار في طريقنا إلى العراق لطلب العلم الديني في النجف الأشرف وقلنا أبمثل هذا تتقرب الأمة إلى نبيها في الليالي التي قتل فيها سبطه وريحانته ؟!

---

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٢٠٢ (٢) تاريخ مصر لزيدان ج ١ ص ٣٣٥

(٣) ج ٢ ص ٣٨٥ من خطط المقريزي

وهذا العمل وإن كان بظاهره عادة — إلا أنه أثر كبير يدل على عقيدة النصب البالغة إلى أعماق القلوب والمؤثرة لهذا العمل الفظيع المبعد عن الله ورسوله ﷺ ويحدثنا المقريزي أيضا « ان السلطان صلاح الدين الأيوبي حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري (١) وشرط ذلك في اوقافه .. فاستمر الحال على عقيدة الاشعري بديار مصر والشام ، والحجاز واليمن ، والمغرب حتى صار هذا الإعتقاد بسائر هذه البلاد بحيث ان من خالفه ضرب عنقه . والأمر على ذلك إلى اليوم (٢) »

ويخبرنا « ان المعز ابن باديس حمل جميع اهل إفريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه من المذاهب . فرجع اهل افريقية واهل الأندلس كلهم الى مذهب مالك إلى اليوم رغبة فيما عند السلطان وحرصاً على طلب الدنيا (٣) ».

ويحكي الشهرستاني « أن محمود بن سبكتكين السلطان قد نصر مذهب الكرامية (٤) وصب البلاء على اهل الحديث والشيعة (٥) »

ولدينا غير هذه من الشواهد والأمثلة الكثيرة . أعرضنا عنها حذراً من

---

(١) تولد الأشعري بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ وتوفي سنه ٣٢٤ هـ وكان من العلماء الأفذاذ « وكان على عقيدة المعتزلة ثم رجع وتاب من القول بخلق القرآن ، ومن القول بأن الله لا يرى بالابصار ، ومن القول بنسبة فعل الشر إلى المخلوقين » المقريزي ج٤ ص ١٨٦ من خططه (٢) الخطط ج٤ ص ١٦١ (٣) الخطط ج٤ ص ١٤٤

(٤) الكرامية كانوا من المجسمة والمشبهة . ويثبتون القدر خيره وشره من الله تعالى . وأن الله أراد الكائنات كلها خيرها وشرها . وقالوا الإمامة تثبت بالاجماع دون النص والتعيين . وقالوا يجوز عقد البيعة لإمامين في قطرين . وغرضهم إثبات إمامة معاوية بالشام وأمير المؤمنين في المدينة والعراق ورأوا تصويب معاوية فيما استبد به من الاحكام الشرعية . ملل الشهرستاني ج ١ ص ٦١ ويقول المقريزي — ج٤ ص١٧٣ من خططه — حدث مذهب التجسيم على يد محمد بن كرام بن عراق السجستاني زعيم الكرامية بعد المائتين من سني الهجرة . واثبت الصفات حتى انتهى إلى التجسيم والتشبيه : مات بزغرة سنة ٢٥٦ هـ ودفن بالقدس » (٥) ج١ ص١٥ من ملله

التطويل المؤدي إلى الملل وحذرا من الابتعاد كثيراً عن موضوع بحثنا الذي كان القصد منه إثبات عدم تشيع الخراسانيين أيام دعوتهم ونصرتهم لبني العباس ، وعدم شيوع التشيع في فارس إلى اوائل القرن العاشر . بل كان جُل القصد والغرض تخطاة أولئكم الذين يتسرعون كثيراً في الحكم بتشيع الفُرس ونسبتهم إلى الشيعة في العهد العباسي ، ثم ينسبون إليهم كل البدع والخرافات التي أُلصقت بالإسلام — وكل الرزايا التي نزلت بالمسلمين :

وهذا — بلا شك — حكم جائر ورأي قائل لا يستند إلى دليل ، ولا يتفق بوجه مع قيام الفُرس — وخصوصا الخراسانيين — بتأسيس الدولة العباسية ومساعدة آل العباس على تقتيل العلويين الذين نهضوا في الحجاز والعراق وفارس . وكان عمدة انصارهم على نهضتهم هذه علماء العرب وأبطالهم — وما سمعنا عرقاً فارسيا نبض في نصرة هذه النهضات العلوية (١) أو رفع صوته — على الأقل — منكراً على العباسيين أعمالهم المنكرة الفظيعة مع بني عمومتهم بل سمعنا بالعكس ، سمعنا أن يحيى البرمكي تعهد للرشيد بقتل الإمام الكاظم ووفى بتعهده كما تقدم في الفصل الثاني ، وسمعنا الحسن بن سهل يعاكس في عهد المأمون للإمام الرضا كما في صفحة ٣٣٢ من ارشاد المفيد . ويسعى بالإمام عند المأمون كما في كتاب أخبار الحكماء فراجع :

وعلى كل فإذا وُجد مع « الرحالة » من يتوهم تشيع الفُرس في تلك العصور « وهدمهم الإسلام » فلا يُوجد (على ما أظن) من يتوهم معه « ان الدولة العباسية قضت على استقلال فارس ، وحاولت القضاء على قوميتها » لأن من البديهي أن فتح فارس كان أيام الخليفة الثاني والثالث (رض) ولم يبق سوى

---

(١) نعم كان الامام ابي حنيفه الفارسي يحض الناس على الخروج مع ابراهيم الحسني بالبصرة كما قدمنا في بحث الزيدية وذكرنا أنه كان على بيعة محمد بن عبد الله الحسني ومن جملة شيعته »

بلاد قليلة خارجة عن يد المسلمين يومئذ ثم استولوا عليها أيام بني امية .

وهذا لا يجهله حتى صغار الطلبة كما لا يجهلون أن العباسيين — بلا مبالغة — هم الذين أحيوا قومية الفُرس وسلموا زمام الدولة لرجالات فارس حتى كانت دولتهم وقتئذ شبه فارسية ، ثم صارت أيام المعتصم ومن بعده شبه تركية :

﴿نهضة الشيعة ضد العباسيين وسر مطاردة العباسيين لهم﴾

.. كان بنو أمية يمقتون جميع الهاشميين — إلا القليل — أشد المقت أيام الجاهلية وداموا على ذلك حتى في أيام نبي الاسلام الهاشمي ﷺ ولكن قد كمن مقتهم هذا لما ظهرت معجزات النبوة وآياتها الباهرة . واشتد عضد الاسلام بالمهاجرين والانصار . وبقي ذلك المقت كامنا إلى أواخر أيام عثمان (رض) حيث ظهر على يد بطانته الاموية . وبلغ أشده يوم تولى الخلافة العامة أمير المؤمنين وسيد الهاشميين بعد النبي ﷺ فنال من مقتهم ومناوأتهم له ما غصت به بطون الكتب :

ولما استشهد (ع) وبويع شبله الحسن قاموا يناهضونه بكل ما لديهم من قوة حتى اذا ما تمت لهم الغلبة الدنيوية « كتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع عماله بعد عام الجماعة — أن برأت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب علي (ع) واهل بيته . فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرأون منه ويقعون فيه وفي اهل بيته (١) »

وقد علمت مما تقدم أن لعن علي والبراءة منه كانا سنة متبعة في الدوله الاموية إلى عهد عمر بن عبدالعزيز (رض) ولكن يظهر من المقريزي « ان سنة اللعن دامت في مصر من حين فتحها مروان الى سنة ١٣٣ ه‍ (٢) »

وقد بلغ اضطهاد الامويين وعمالهم إلى بني هاشم إلى حد كانت تعد صلة الهاشمي جريمة كبرى في نظر بعض العمال يتخذونها طريقا للوشاية بخصومهم والوقيعة بهم يحدثنا الطبري « ان يوسف بن عمر كتب إلى هشام — ان أهل هذا البيت من بني هاشم

(١) شرح النهج ج ٣ ص ١٥ (٢) ج ٤ ص ١٥٢ من خططه

قد كانوا اهلكوا جوعاً حتى كانت همة أحدهم قوت عياله . فلما ولي خالد العراق اعطاهم الاموال فقووا بها حتى تاقت انفسهم الى الخلافة (١) »

وكان هذا الإضطهاد الاموي متجهاً نحو الهاشميين اجمع لا فرق لديه بين العلوي والعباسي كما يظهر من ابن أبي الحديد الذي حكى لنا « قصة اجتماع معاوية ومروان وزياد ويزيد وعتبة . وسبهم لحبر الامة عبد الله بن عباس = وتحقيرهم إياه في مجلس معاوية (٢) وحكى قول معاوية لابن عباس « إن في نفسي منكم لحزازات يا بني هاشم . وإني لخليق ان ادرك بكم الثأر (٣) »

وذكر ايضاً « ان الوليد بن عبد الملك ضرب علي بن عبد الله بن عباس بالسياط ، وشهره بين الناس يُدار به على بعير ووجهه مما يلي ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا علي بن عبد الله بن عباس الكذاب (٤) وروى في مكان آخر « كيفية خنق الامويين لابراهيم العباسي في جراب من نورة بالحبس »

لذلك كان من الطبيعي ان يترقب العباسيون الفرصة للوثبة على الامويين . وأن يبايعوا بعض العلويين وينهضوا معاً ضد الدولة الاموية لما رأوا تفكك الأمويين وثورة بعضهم على بعض — وخروج البلاد عليهم ومللها منهم ومن حكمهم :

لما رأى الهاشميون ذلك كله قاموا يُنظمون الدعوة ويبثون الدعاة . ويجعلون في رأس الدعوة وعنوانها — البيعة لرجل من آل هاشم من غير ذكر لأحد الفريقين المتحدين وأرى . انه لولا ذكر الآل في مواد الدعوة لما نالت ذلك الظفر الباهر . ولا سرت بسرعة البرق إلى القلوب . خصوصاً قلوب أهل الكوفة وسوادها لتشيع أهلها تشيعاً علوياً . ولعلمهم بانحصار الآل وغلبة إطلاقه على أبناء فاطمة بضعة المصطفى ﷺ ولأن ظلم الامويين كان أثره في العلويين اظهر منه في

---

(١) ج ٩ ص ١٨ من تاريخه (٢) شرح النهج ج ٢ ص ١٥ (٣) شرح النهج ج ٢ ص ١٠٥ (٤) ج ٢ ص ٢١٠ من شرح النهج و ج ١ ص ٢٩٢ من تهذيب الكامل للمبرد الذي ذكر فيه — ص ٣٩٢ — أن الوليد هذا ضرب علياً هذا بالسياط مرتين وكذلك ذكر ابن خلكان مجلد ١ صفحة ٣٢٣ من وفياته

العباسيين . ومعلوم ان النفوس البشرية ميالة =بالطبع = إلى نصرة من ظهرت ظلامته . زد على ذلك ان آل العباس كانوا — قبل نيل الملك — يظهرون محبة علي وينتصرون لهولآله عليهم السلام . ويصرحون كثيراً بأن غايتهم الأولى الأخذ بثأر الحسين بن علي وأحفاده «و كان عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ينشد حينما قتل الامويين في الشام . ويترنم بقوله —

حسبت امية ان سترضى هاشم عنها ويذهب زيدها وحسينها(١)

وعلى كل فقد لبس العباسيون على الشيعة في هذه الدعوة(٢) حتى قام بعض الكوفيين يعاضدها في العراق مع شيعه بني العباس الخراسانيين . ولكن لما تم النجاح وظهرت الغلبة . وانكشفت استار تلك الرواية الخداعية . وراى الشيعة العلوية تربع السفاح العباسي على سرير الخلافة او الملك (على الاصح) — قاموا يطالبون بحقوق العلويين ونصيبهم من تلك الدعوة المشتركة . فما كان جوابهم — بالطبع — إلا السيف تارة والخداع والمواعيد تارة اخرى . على طبق مايصنعه

---

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة مجلد ١ صفحة ٢٠٨ (٢) كما لبّس الامويون على أهل الشام ان بني امية هم اهل بيت رسول الله (ص) والوارثون له . حكى المسعودي مجلد ٢ صفحة ٧٣ من مروج الذهب« ان عبد الله بن علي وجّه إلى ابي العباس السفاح أشياخا من اهل الشام من ارباب النعم والرياسة فحلفوا له انهم ما علموا لرسول الله (ص) قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني امية حتى وليتم الخلافة» وذكر هذا الحلف الرفاعي صاحب عصر المأمون مجلد ١ صفحة ١٩٠ وإنا (مع اعتقادنا بحصول التلبيس على الشام) لنشك في صدق هؤلاء الأشياخ بحلفهم هذا لأنه من البعيدجدا ان يجهل مثلهم من المسنين المتصلين برجال بقية الاقطار — قرابة الرسول القريبة الذي اذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيرا نعم كان التلبيس من بني امية على العامة الجاهلة وخصوصا الاحداث وكذلك من بني مروان الذين بالغوا في التلبيس واللعن لعلي وإخفاء فضله « قال عمر بن عبد العزيز لابيه يوما — يا أبت أنت افصح الناس . فما بالي أراك إذا مررت بلعن هذا الرجل — يعني عليا — صرت ألكن عيياً ؟ فقال عبد العزيز — يابني إن من ترى من أهل الشام وغيرهم تحت منبرنا لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه ابوك لم يتبعنا منهم احد — انظر مجلد ١ صفحة ٣٥٦ من شرح النهج

ذئاب الإستعمار اليوم مع العرب وخصوصاً في فلسطين المجاهدة المكلومة:

قتل المنصور «محمد بن عبد الله الحسني الذي غضب لما حبس المنصور ١١ رجلا من بني الحسن في سجن ضيق حتى ماتوا جميعاً . وقام في المدينة ضد المنصور . وكذلك قام اخوه ابراهيم بن عبد الله بالبصرة فقتل (١) »

وقد كان المنصور «بايع محمد بن عبد الله الحسني بالخلافة مرتين وكذلك بايعه ابراهيم الإمام وابو العباس السفاح . إحداها بالمدينة والأخرى بمكة في المسجد الحرام . فلما خرج محمد من المسجد أمسك له المنصور بركاب دابته وقال له ـ أما انه إن افضى اليك هذا الامر نسيت لي هذا الموقف ولم تعرفه لي (٢) »

ولكن التقادير قد عاكست محمداً وافضت بذلك الامر الى المنصور الذي نسي أو تناسى ما كان في عنقه من البيعة الثنائية الى محمد هذا . وبعبارة اخرى راح بنكث بيعته لمحمد ويتعمد قتله وقتل بقية الحسنيين بانواع القتل الفظيع :

يقول ابن الاثير «لما أتي ببني الحسن نظر المنصور الى محمد بن ابراهيم بن الحسن فقال — أنت الديباج الاصفر؟ قال نعم قال أما والله لأقتلنك قتلة لم اقتلها أحداً من أهلك ثم امر به فبني عليه إسطوانة وهو حي فمات فيها (٣) »

وهكذا كان من تخلف بعد المنصور فانهم تفننوا بالوقيعة والقتل لابناء عمهم العلويين فدسوا السم للامام الرضا وأبيه وابنه الجواد — على قول — في حين ان الذي سم الرضا كان يحب العلويين كثيراً ويكرمهم . وقد يكون صادقاً في حبه إلا أن حب الملك — الذي قتل في سبيله أخاه — قد غلب على ذلك الحب وأزاله من قلبه

وقتلوا أيضاً الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن السبط في «فخ» بين مكة والطائف «ظهر الحسين هذا سنة ١٦٩ هـ بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان معه جماعة من الطالبيين وأشتد أمره وجرى بينه وبين عامل موسى الهادي العباسي على المدينة

---

(١) تاريخ دول الاسلام لمنقريوس الصيرفي ج ١ ص ٨٠ (٢) مقاتل الطالبيين ص ١٤٣ و ١٤٥ و ٢٠٣ (٣) إبن الاثير ج ٥ ص ١٩٥ وص ١٤٠ من المقاتل

قتال عظيم فانهزم العامل وبايع الناس الحسين على كتاب الله وسنة رسوله للمرتضى من آل محمد . وأقام الحسين بالمدينة يتجهز فجاء جماعة من العباسيين والقواد إلى الحج وحاربوه يوم التروية وقتلوه واصحابه المخلصين وفرّ الباقون وكان مقتلهم بموضع يقال له «وج» وفي ذلك يقول بعضهم

تُركوا بوجّ غدوة   في غير منزلة الوطن

ولقد أرسل موسى بن عيسى العباسي رجلا إلى عسكر الحسين هذا حتى يراه ويخبره عنه فمضي الرجل وتعرّف عسكر الحسين فرجع وقال لموسى بن عيسى — ما اظن القوم إلا منصورين فقال و كيف ذاك يا ابن الفاعلة ؟ قال الرجل لأني ما رأيت فيهم إلا مصليا أو مبتهلا أو ناظرا في مصحف أو مُعداً للسلاح . فضرب موسى يداً على يد وبكى ثم قال — هم والله اكرم خلق الله ، وأحق بما في ايدينا منا ، ولكن الملك عقيم . لو أن صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف (١) »

وقتلوا يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط . وأخاه إدريس الذي فرّ بعد مقتل اخيه إلى بلاد فاس وطنجة فأرسلوا اليه من سمه (٢)

« ظهر يحيى المذكور بالديلم سنة ١٧٦ هـ واشتدت شوكته فيها . فجهز الرشيد إليه الفضل بن يحيى البرمكي فخدعه بالأمان . ولما وصل يحيى إلى بغداد اخذ الرشيد صك الأمان من يحيى ومزّقه . ثم حبس يحيى في حبس مظلم ضيق وكان يخرجه كل يوم ويضربه مائة سوط ، وينقص من طعامه وشرابه حتى مات ، وقيل انه دس إليه في الليل من خنقه ، وقيل أنه سقاه سمّا

(١) من تاريخ أبي الفداء ج ٢ صفحة ١ ومقاتل الطالبيين ص ٣٠٣ (٢) بلغ الرشيد خبر اتباع البربر لإدريس هذا فغمه وشكى ذلك إلى يحيى بن خالد البرمكي فقال يحيى انا أكفيك أمره فحمل سليمان بن جرير أحد متكلمي الزيدية البترية على سمه ووعده بكل ما أحب على ان يحتال لإدريس فيقتله . فذهب سليمان واحتال عليه وسمه — انظر ذلك مفصلا ص ٣٢٦ من مقاتل الطالبيين

وقيل أنه أجاع السباع ثم ألقاه إليها فأكلته . ولقد ظهرت ليحي مكرمة عظيمة أمام الرشيد حينما تناظر يحي مع عبد الله بن مصعب الزبيري وحلفه يحي يميناً عظيمة فما برح الزبيري من موضعه حتى أصابه الجذام فتقطع ومات ولما وضعوه في قبره انخسف وخرجت منه غبرة عظيمة ، فصاح الفضل بن الربيع التراب التراب فجعلوا يطرحونه على القبر وهو يهوي ، فدعا بأحمال الشوك فطرحوها فهوت . فأمر أن يُسقف القبر بالخشب ومضى منكسراً (١) »

وقتلوا غير هؤلاء من آل ابي طالب وطاردوهم في البلدان حتى أن ابن المعتز العباسي « كان يقول — إن ولاّني الله لأفنين جميع آل ابي طالب . فبلغ ذلك وِلد علي فكانوا يدعون عليه (٢) »

وكان اشد العباسيين عداوة — بعد المنصور والرشيد - المتوكل « فإنه امر سنه ٢٣٦ ﻫ بهدم قبر الحسين بن علي (رض) وهدم ما حوله من المنازل ، ومنع الناس من إتيانه . وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن ابي طالب ولأهل بيته . وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث . كان يشد على بطنه مخدة ويكشف رأسه وهو اصلع . ويرقص ويقول — قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين يعني علياً والمتوكل يشرب ويضحك . وفعل ذلك يوماً بحضرة المنتصر فقال له — يا أمير المؤمنين إن عليا ابن عمك فكل انت لحمه إذا شئت ولا تخل هذا الكلب وامثاله يطمع فيه . فقال المتوكل للمغنين غنوا

غار الفتى لابن عمه   رأس الفتى في حَرِ امه

وكان يجالس من اشتهر ببغض علي مثل ابن الجهم الشاعر وأبي السمط من ولد مروان بن ابي حفصة (٣) »

« ولما هدم المتوكل قبر الحسين (رض) قال الشاعر المعروف بالبسّامي

---

(١) بتلخيص من المقاتل لابي الفرج ص ٣١٨ (٢) أبي الفدا ج٢ ص٢٩ (٣) تاريخ أبي الفدا ج٢ ص٣٨ »

تالله إن كانت أمية قد أتت ... قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنو ابيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميما — (١)

ولولا نصب المتوكل لما «سل لسان الإمام في اللغة ابن السكيت من قفاة حتى مات من ساعته لأنه غض من ابني المتوكل وذكر الحسنين بما هما أهله (٢)» وقد بلغ النصب بالمتوكل إلى أن «كتب سنة ٢٣٦ هـ إلى مصر بإخراج آل ابي طالب منها. فأخرجوا وقدموا العراق فاخرجوا منها إلى المدينة ولما مات المتوكل قام من بعده ابنه محمد المستنصر (٣) فكتب إلى مصر بأن لا يقبل علوي ضيعة ولا يركب فرساً، وان يمنعوا من اتخاذ العبيد. ومن كان بينه وبين احد من الطالبيين خصومة قبل قول خصمه من سائر الناس فيه ولم يطالب ببينة، وكتب إلى العمال بذلك (٤)»

وأنت تعلم أن الضغط كثيراً ما يولد الانفجار، ويوجب كراهية عيش الذلة، ويحبب الموت تحت ظلال الأسنة. فمن الطبيعي آنئذ أن ينهض الشيعة وان ينفجر بركان غيظهم المختبئ في الصدور.

ومن الطبيعي أيضاً أن يبالغ العباسيون في مطاردتهم وترويع أئمتهم الأطهار ولو كانوا في عزلة عن الخلق متجهين نحو عبادة الخالق ومناجاته عز اسمه. «وجه المتوكل إلى علي الهادي بعدة من الأتراك ليلا فهجموا عليه في منزله على غفلة — فوجدوه وحده في بيت مغلق وعليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد

---

(١) أبي الفداء ج ٢ ص ٦٨ (٢) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣١٠ وابي الفداء ج ٢ ص ٤٠ (٣) الموجود في التاريخ ان الذي قام بعد المتوكل هو إبنه المسمى بالمنتصر لا المستنصر. وهو كما مر في معارضته لابيه في استماع قول عبادة الأثيم — من محي سيد الطالبيين علي (ع) فما السر في كتابته هذه إلى مصر بشأن الطالبيين هل هو قيامه مقام أبيه ام غيره؟ الله اعلم

(٤) خطط المقريزي ج ٤ ص ١٥٣

ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى .

فأخذ على الصورة التي وُجد عليها في جوف الليل، فمثل بين يدي المتوكل والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كاس ، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه ولم يكن في منزله شيء مما قيل للمتوكل عنه ، ولا حجة يتعلل عليه بها فناوله المتوكل الكأس . فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فأعفاه منه (١) »

نعم كان من الطبيعي أن يبالغ العباسيون في ذلك لأن غايتهم الوحيدة الإمرة والتربع على اسرة الملك . وهي — في الغالب — إذا خامرت قلباً نزعت من صاحبه الأناة والرحمة ، ولوثته بموبقات الأعمال في سبيل الوصول اليها .

ولذا قتل بعض العباسيين — في سبيلها — أخاه ، وبعض عمه ، وبعض اباه ، ولذا نقض كثير منهم — لأجلها — العهود ونكث الأيمان ، وقرب الفاسق وأبعد الناسك ، واغدق عطاءه لمن انتقد في مجلسه زعماء العلويين ولفق له الادلة على أن العباس أحق بالخلافة من ابن أخيه علي عليهما السلام . وأنها وراثية والعباس أولى بالتراث وأحق به :

ولا أخال أن احدا من المسلمين يعتقد ان الخلافة وراثية لأنهم على الغالب بين قائل إنها لا تكون إلا بالنص والأفضلية . وقائل انها تكون بالانتخاب والاختيار من الأمة او من خليفة لآخر أو من خمسة من أهل الحل والعقد :

لكن للشعراء الأقدمين مذاهب طريفة وطرقاً خاصة في الكذب والتزلف كانوا يسلكونها للتوصل إلى مجالس الامراء والارتزاق منهم ومن ولاتهم :

وإليك هذه القصة عن أبان بن عبد الحميد فإنها تُطلعك على طرق أولئكم الشعراء وعلى نفوسهم الواطئة الأمارة بالسوء وعلى رخص الضمير والوجدان وتريك كرم الرشيد في سبيل الدعاية ضد أهل البيت العلوي، وتبرهن

---

(١) وفيات الاعيان ج١ ص٣٢٢ وتاريخ ابي الفداء ج ٢ صفحة ٤٤.

لك على نُصب بعض البرامكة الذين يعدُّهم البعض من الكتاب والمؤرخين في زمرة الشيعة الموالين لآل علي (ع) .

قال ابو بكر الصولي « عاتب أبانُ البرامكة في إعطاء الرشيد الأموال للشعراء وفقره مع خدمته لهم وموضعه منهم ، فقال له الفضل — إن سلكت مذهب مروان ابن أبي حفصة (وكان من مذهبه هجاء آل أبي طالب وذمهم) أوصلت شعرك وبلغتك إرادتك . قال أبان : والله ما استحل ذلك فقال له الفضل — كلنا يفعل ما لا يحل له ولك بنا وبسائر الناس اسوة فقال أبان

نشدت بحق الله من كان مسلماً	أعُم بما قد قلته العرب والعجم
أعَم نبي الله أقرب زلفة	إليه أم ابن العم في رتبة النسب؟
وأيها أولى به وبعهده	ومن ذا له حق التراث بما وجب؟
فان كان عباس أحق بتلكمُ	وكان علي بعد ذاك على سبب ؟
فأبناء عباس هُمُ يرثونه	كما العم لابن العم في الارث قد حجب

إلى آخر الأبيات ثم جاء بها إلى الفضل وقال له قد اقترحت فوفر عليَّ الجاري . فقال الفضل — ما بقيت . وما يرد على أمير المؤمنين اليوم شيء أعجب اليه من أبياتك . فركب أبان وانشدها الرشيد فأمر له بعشرين الف درهم واتصل به بعدها (١)



(١) صفحة ١٤ من كتابه الاوراق وذكر ذلك ايضاً ابو الفرج جزء ٢٠ ص ٧٥ من الاغاني

الفصل الخامس *

براءة الشيعة من الغلو والغلاة

١ معنى الغلو وتاريخه ٢ بعض اقوال الغلاة ٣ كلمات أئمة الشيعة في البراءة من الغلاة ٤ السر في عدهذه الفرق الغالية من الشيعة ٥ القرامطة وموجز تاريخهم ٦ كلمة في الاسماعلية والغاية من الطعن في الفاطميين ونسبهم :

معنى الغلو وتاريخه

قال الله سبحانه وتعالى «لاتغلو في دينكم» قالوا في تفسيره «أي لاتجاوزوا الحد بأن ترفعوا عيسى إلى أن تدعوا له الإلهية — يقال غلا في الدين غلواً من باب قعد. تصلب وتشدد حتى تجاوز الحد والمقدار.. وفي الحديث كونوا النمرقة الوسطى يرجع اليكم الغالي ويلحق بكم التالي.

فالغالي من يقول في أهل البيت ما لايقولون في انفسهم. كمن يدعي فيهم النبوة والإلهية. والتالي المرتاد يريد الخير ليبلغه ويؤجر عليه.

وفي الحديث ان فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنا تحريف الغالين أي الذين لهم غلو في الدين(١)»

وقد تكرر (في الفصول السابقة) ن عقيدة التشيع التي غرسها ﷺ في حقل الاسلام الخصيب وتعهدها في حياته الثمينة حتى نمت وتدين بها رهط من أجلة الصحابة على ما حددها النبي ﷺ من الموالاة لأخيه علي(ع) والتمسك بالثقلين الكتاب والعترة وما شاكل ذلك.

وبقيت على صبغتها وحدها الذي وضعت فيه لا تتعداه ولاتتجاوزه أبداً إلى ان تولى أمير المؤمنين منصب الامامة. فظهر في أيامه قوم وأرادوا إخراجها من قالب

(*) نشر بعضه في المجلد الاول لمجلة الحضارة النجفية الغراء

(١) مجمع البحرين في اللغة صفحة ٦٣ :

« الموالاة والتمسك » إلى قالب التأليه لعلي (ع) « ولما بلغه عنهم ذلك انكره أشد الانكار . وحرق بالنار جماعة ممن غلافيه »

والظاهر أن عبدالله بن سبأ لم يكن (وقتئذ) على هذه المقالة الغالية ولا شمله الإحراق وهذا ما يراه ابن ابي الحديد بقوله « استترت هـذه المقالة سنة أو نحوها ثم ظهر عبد الله بن سبأ بعد وفاة علي امير المؤمنين (ع) فأظهرها وأتبعه قوم فسُموا السبائية (١)

ويوافقه الشهرستاني بقوله « وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي عليه السلام (٢) » ولكن الاسترابادي يخالفهما بما رواه من « ان عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين (ع) هو الله تعالى . فبلغ امير المؤمنين ذلك فدعاه وسأله فأقر وقال نعم انت هو . فقال له أمير المؤمنين قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا وتب ثكلتك أمك . فأبى فحبسه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار (٣) » ولا يبعد أن يكون الأرجح ما قاله ابن ابي الحديد من أن ابن سبأ لم يشمله الإحراق وأنه اظهر تلك المقالة بعد وفاة امير المؤمنين (ع) ووافقه الشهرستاني على ذلك وان قال قبله « إن ابن سبأ قال لعلي عليه السلام أنت أنت يعني أنت الإله فنفاه إلى المدائن (٤) » ولا يُنافي هذا القول قوله الأخير إذ من المحتمل قريباً أن يكون ابن سبأ قد قال لعلي (أنت أنت) لكنه قد اخفاه في حياة علي (ع) أيام منفاه وبعدها إلى أن توفي علي (ع) فأظهره بعد ذلك بسنة أو بأقل :

وعلى كل حال فإن الرجل — أي ابن سبا — كان في عالم الوجود وأظهر الغلو . وإن شك بعضهم في وجوده وجعله شخصا خيالياً شخصته الأغراض الشخصية أما نحن — بحسب الاستقراء الأخير — فلانشك بوجوده وغلوه

---

(١) شرح النهج مجلد ٢ صفحة ٣٠٩ (٢) الملل مجلد ١ صفحة ١٠١ (٣) منهج المقال صفحة ٢٠٣ (٤) الملل مجلد ١ صفحة ١٠٠

وإنما نشك شكاً قويا في تصوير البعض لهذا الرجل مُتغلباً على أبي ذر الغفاري (رض) حتى « قوَّله بالاشتراكية الجائرة — ومسيطراً على عمار بن ياسر ورهط كبير من دهاة الصحابة رضي الله عنهم حتى حملهم على خذلان عثمان (رض) والطعن عليه »

وبعبارة ثانية جعلوا له قوة في البيان الساحر الجذاب فوق كل قوة حتى أنه استطاع بتلك القوة ان يتغلب على إرادة « إلهه علي؟ » ويمنعه من قبول الصلح يوم الجمل (١)

نعم غلا ابن سبا في دينه وتسرَّبت بدعته هذه إلى أفكار جماعة غير قليلة قد سُميت باسمه . وأخذت بعد ذلك بالتطور السريع حتى تجاوزت عن القول بإلهية فرد من المخلوقين إلى القول بإلهية إثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو اكثر من أهل البيت عليهم السلام . كما تجاوزت إلى القول بإلهية غيرهم من الناس : فالراوندية ألَّهوا المنصور العباسي ، والبنانية ألَّهوا بنان بن سمعان ، والرزامية ألهوا أبا مسلم الخراساني :

وكما كان الغلو في القول بإلهية جماعة من المخلوقين كان في القول بنبوة جماعة منهم بعد خاتم الأنبياء محمد ﷺ . فالخطابية زعموا انهم كلهم انبياء وكذلك المنصورية كما سترى بيانه ، وقد حكم المقريزي « بأن الغالية ليسوا بمسلمين ولكنهم اهل ردّة وشرك (٢) » ومع ذلك عدَّهم في عداد الشيعة . وهكذا فعل الشهرستاني = كما سترى قريباً — وهكذا فعل ابن خلدون رغم قوله « وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة — أئمة الشيعة فإنهم لا يقولون بها ويبطلون احتجاجاتهم عليها (٣)

---

(١) انظر المجلد الثاني لتاريخ ابن خلدون ومحاضرات الخضري المصري وفجر الإسلام وخطط المقريزي المجلد الرابع تجد كل هذه الأعمال العظيمة منسوبة إلى هذا الرجل الحقير (٢) مجلد ٤ صفحة ١٦٤ من خططه (٣) صفحة ١٣٩ من مقدمته

ولا غرابة من هؤلاء الاعلام إذا قالوا ذلك في تلك العصور السالفة التي كانت تنوء بالتعصبات المذهبية والنعرات الطائفية · ولكن من الغرابة جداً ان يقوم رحالة من بلاد مصر المثقفة ويقتفي (فى قرن العشرين الموصوف بالابتعاد عن التعصب، وبالتحري للحقيقة ؟) أثر السابقين من مؤلفي تلك العصور الوسطى ويضرب على وترهم المعروف · فيقول في كلامه عن النجف الاشرف واهلها الحاليين – «ومن فرق الشيعة من يقول بأن الصحابة كلهم كفروا بعد موت النبي إذ جحدوا إمامة علي ، وان علياً نفسه كفر لتنازله لابي بكر لكنه عادله إيمانه لما تولّى الإمامة وهذه فرقة الإمامية (١) ومن الشيعة قسم اوجب النبوة لعلي بعد النبي فقالوا إن الشبه بين محمد وعلي كان قريباً لدرجة ان جبريل اخطأ وتلك فئة الغالية او الغلاة ومنهم من قال بأن جبريل تعمد ذلك فهو اذن ملعون كافر :

ومن الشيعة طائفة الإثنى عشرية الذين يقدسون الأئمة الاثنى عشر (٢) ومنهم الاسماعلية والباطنية الذين مرّ عليهم الكلام في الشام · ثم القرامطة الذين تقوّوا حول الخليج الفارسي · ويعرف عنهم الاباحة في النساء وقد أحلوا انفسهم من كل عبادة · · و كانوا ممن يعملون على هدم الاسلام ·

وفي مصر قام الحاكم بامر الله بعد المعز (٣) بنشر مذهب الشيعة ويدرسها في دار الحكمة · و كان أساسها ان الشرائع خاضعة للعقل والعلم · وأن الانبياء رجال عاديون وغاية ما في الامر انهم فلاسفة · وقد ألّهه الدروز وقالوا بانه رفع

---

(١) هذه الفرقة من الغلاة لامن الإمامية وقد عدها الشهرستاني في الغلاة واسماها الكاملية كما سترى قريباً (٢) كان عليه – وهو في صدد الكلام عن النجف – ان ينبه على ان النجفيين هم من هذه الطائفة, وعلى ان النجف هي العاصمة الدينية (من عدة قرون) للإثنى عشرية في جميع الاقطار الإسلامية , وان يشير الى مشهوري علمائها ومجتهديها وأدبائها · ويذكر ما امتازت به من الصنائع وتفردت به من الاجتهاد بالفقه الاسلامي واصوله · (٣) الذي قام بعد المعز هو العزيز إبنه وبعده قام الحاكم لا بعد المعز

إلى السماء وسيعود لتطهير الارض كما اسلفنا · ويرى جميع(١) الشيعة ان الإمامة ليست مصلحة عامة تناط باختيار الناس(٢) » انتهى ·

هذه خلاصة مانسبه رحالة مصر إلى الشيعة ، ونحن لا نريد ان نقنع بقول إنه اخطأ وخبط خبط عشواء ، ولا أن ندع الحقيقة مغطاة بما حيك حولها من زخرف القول واظاليل الكلام ، لأن مثل هذا العمل لا يقع — في الغالب — إلا من اولئكم الذين لا تتوفر لديهم الادلة ولا يستطيعون قرع الحجة بالحجة ·

وإن مانريده ان نبحث في المواضيع المعنونة في صدر هذا الفصل مستندين في ذلك كله — الى الدليل الصريح لا إلى الهوى والغرض والتشهيات النفسية لتظهر لك — ايها القارئ الكريم — الحقيقة بأجلى مظهر وتحكم «حقاً» بخطأ الرحالة الذي أساء (بكلامه هذا وبدسه هذه الفرق الغالية في الشيعة) الى الحق والحقيقة والى الوحدة الاسلامية التي امست — اليوم — هدف المصلحين من الطائفتين وكانت من قبل هدف اجدادنا في عهد الراشدين فجنوا منها اطيب الأثمار فما يعيقنا نحن من الوصول اليها في هذا العصر العصيب والاجتناء منها ؟ حتى لا ينطبق علينا قول شاعر العراق

إنا بما نجني وهم فيما جنوا بئس البنون ونعمت الأجداد

ولنعد الآن الى ما نحن بصدده بادئين بذكر

بعض أقوال الغلاة وعقائدهم

الكاملية — هم اصحاب ابي كامل أكفر جميع الصحابة بتركها بيعة علي عليه السلام · وطعن في علي ايضاً بتركه طلب حقه ولم يعذره في القعود وكان يقول بتناسخ الارواح الإلهية في الأئمة (٣)

---

(١) لا يرى جميع الشيعة هذا الرأي لان بعض الزيدية كالسليمانية والبترية والصالحية يوافقون السنة في إناطة الإمامة باختيار الناس ويخالفون الشيعة في إناطة الإمامة بالنص والافضلية انظر ج ١ ص ٩٠ من ملل الشهرستاني (٢) ص ١٥٠ من جولته (٣) ملل الشهرستاني ص ١٠١ وخطط المقريزي · ج ٤ صفحة ١٧٥

الغرابية زعموا أن جبريل أخطأ . فانه أرسل إلى علي فجاء إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وجعلوا شعارهم إذا اجتمعوا ان يقولوا العنوا صاحب الريش يعنون — لعنهم الله — جبريل عليه السلام (١)

السبائية اتباع عبد الله بن سبأ . . كان من اليهود يقول في يوشع بن نون مثل قوله ذلك في علي . وزعم ان علياً لم يقتل وانه حي لم يمت . وانه في السحاب . والرعد صوته والبرق سوطه . وانه ينزل الى الارض بعد حين (٢).
ويقول الشهرستاني «إن السبائية أول فرقة قالت بالغيبة والرجعة» وبتناسخ الروح الإلهي في الائمة بعد علي إلى ان قال — وهذا المعنى مما كان يعرفه الصحابة وإن كانوا على خلاف مراده ، فهذا عمر بن الخطاب (رض) كان يقول فيه — اي في علي — حين فقأ عين واحد في الحرم ماذا أقول في يد الله فقأت عيناً في حرم الله ، فأطلق عمر إسم الإلهية عليه لما عرف منه ذلك (٣)

المغيرية اصحاب المغيرة بن سعيد العجلي كان مولى لخالد بن عبد الله القسري وادعى الإمامة لنفسه . وبعد ذلك ادعى النبوة ، وغلا في حق علي غلواً قبيحاً لا يعتقده عاقل ، وزاد على ذلك قوله بالتشبيه ، ولما قتل المغيرة (سنة ١١٩ هـ) اختلف اصحابه . فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ، ومنهم من قال بانتظار محمد بن عبد الله الخارج بالمدينة (٤)

المنصورية أصحاب ابي منصور العجلي . عزا نفسه إلى أبي محمد الباقر ، فلما تبرأ منه الباقر وطرده زعم انه هو الإمام ودعا الناس إلى نفسه ، ولما توفي الباقر قال — انتقلت إليه الإمامة وتظاهر بذلك . . وزعم العجلي انه هو الكسف الساقط من السماء ، وزعم انه عرج اليها ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له — يا بني انزل فبلغ عني

---

(١) انظر خطط المقريزي ج٤ ص١٧٥ (٢) نفس المصدر (٣) ج١ ص ١٠١ من ملله (٤) انظر الملل ج ١ ص ١٠٢

وزعم ان الجنة رجل أمرنا بموالاته . والنار رجل أمرنا بمعاداته ، واستحل أصحابه قتل مخالفيهم وأخذ اموالهم، واستحلال نسائهم وهم صنف من الخرمية (١)

البنانية — اصحاب بنان بن سمعان ، وهو من الغلاة القائلين بإلهية امير المؤمنين عليه السلام .. ثم ادعى بنان انه قد انتقل إليه الجزء الإلهي بنوع من التناسخ .. ومع هذا الخزي الفاحش كتب إلى محمد الباقر ودعاه إلى نفسه وفي كتابه أسلم تسلم وترتقي إلى سلم، فأمر الباقر أن يأكل الرسول الكتاب الذي جاء به فأكله فمات في الحال . وكان اسمه عمر بن عفيف (٢)

الخطابية — اصحاب ابي الخطاب محمد بن ابي زينب الأجدع الأسدي عزا نفسه إلى ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق . فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه وأخبر اصحابه بالبراءة منه ، وشدد القول في ذلك وبالغ في التبري منه واللعن عليه ، فلما اعتزل عنه الصادق ادعى الامر لنفسه . زعم ابو الخطاب أن الأئمة انبياء ثم آلهة ، وقال بإلهية جعفر بن محمد وآبائه . وان الإلهية نور في النبوة ، والنبوة نور في الإمامة ولا يخلو العالم من هذه الانوار .. وقتل بسبخة الكوفة ، ولما قتل افترقت اصحابه .

فزعمت طائفة — ان الإمام بعده بزيغ كان يزعم ان في اصحابه من هو افضل من جبريل وميكائيل . وتسمى هذه الفرقة البزيغية . وقالت فرقة ان الإمام بعد ابي الخطاب رجل يقال له معمر دانوا به وزعموا أن الدنيا لا تفنى واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات وتسمى هذه الفرقة معمرية . وأخرى زعمت ان الإمام بعد أبي الخطاب عمير بن بنان العجلي وقالوا كما قالت الثانية إلا انهم اعترفوا بأنهم يموتون .. وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق فرفع أمرهم إلى يزيد بن عمر بن

---

(١) راجع الملل ج١ ص١٠٣ والخطط مجلد ٤ صفحة ١٧٦ (٢) نفس المصدر فراجع

هبيرة فأخذ عميراً فصليه بالكناسة . وتُسمى هذه الطائفة العجلية .. وقد تبرأ من هؤلاء كلهم جعفر الصادق ولعنهم (١)

﴿ العليائية ﴾ أصحاب علياً بن ذارع الدوسي وقيل الاسدي كان يُفضل علياً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم زعم انه الذي بعث محمداً وسماه إلهاً . وكان يقول بذم محمد ، زعم انه بُعث ليدعو إلى علي فدعا لنفسه . ويسمون هذه الفرقة الذمية .

ومنهم من قال بإلهيتها جميعاً ، ومنهم من يقول بإلهية خمسة اشخاص وهم أصحاب الكساء وقالوا خمستهم شيءٌ واحد والروح حلت فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الآخر . وكرهوا ان يقولوا فاطمة فقالوا فاطم وفي ذلك يقول شاعرهم .

توليت بعد الله في الدين خمسة   نبياً وسبطيه وشيخاً وفاطما (٢)

﴿ النصيرية ﴾ اصحاب محمد بن نصير النميري أو الفهري كان من اصحاب الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا ، فلما مات الحسن ادعي وكالةً لابن الحسن الذي تقول الإمامية بإمامته ففضحه الله تعالى بما أظهره من الإلحاد والغلو والقول بتناسخ الأرواح ، ثم ادعى انه رسول الله ونبي الله وانه أرسله محمد بن الرضا وجحد إمامة الحسن العسكري وإمامة ابنه . وادعى بعد ذلك الربوبية ، وقال بإباحة المحارم . وللغلاة أقوال كثيرة طويلة عريضة (٣) أعرضنا عن ذكرها لأنا لسنا بصدد ذلك وإنما ذكرنا هذه النبذة المختصرة من عقائد تسع فرق من اكبر فرق الغلاة لتقابل بما اجملناه (في الفصل الثاني)

---

(١) بتلخيص من الخطط المقريزية مجلد٤ صفحة ١٧٤ والملل ج١ص١٠٣ (٢) من ملل الشهرستاني ج١ص١٠٢ وخطط المقريزي ج ٤ ص ١٧٦ ولايخفى ما في استشهادهما بهذا البيت فانه عكس مرادهما لانه يدل بصراحة على ان هولاء لايؤلهون اهل الكساء بل يتولونهم بعد الله وهذا لب الايمان وضد الغلو . وحذف التاء من لفظ فاطمة للترخيم كثير في كلام العرب (٣) مجلد ٢ صفحة ٣١٠ من شرح النهج

من عقائد الشيعة ويعرف بُعد الشُقّة بين عقائد الغلاة وبين عقائد الشيعة وعدم اجتماعهما في اصل من الاصول . وليعلم أيضاً ما في نسبة الغلاة إلى التشيع وما في إطلاق اسم الشيعة عليهم من التسامح الفاحش المقصود وغير المقصود :

وكيف يُعد الغلاة من الشيعة ؟ وقد خالفوا أصول المذهب الشيعي الأساسية وأنكروا أركانه القويمة حتى تبرأ منهم = لأجله = الشيعة بأمر من أئمتهم الأطهار عليهم السلام . وإليك

كلمات أئمة الشيعة في البراءة من الغلو والغلاة

كان الأئمة من أهل البيت (ع) يدأبون في تأديب الشيعة وسائر المسلمين بآداب الإسلام وتعاليمه ، ويحثونهم على اتباع كتاب الله الكريم وسنة نبيه العظيم ، ويُحذرونهم من أهل الزيغ والضلال ، ويأمرونهم بالابتعاد عنهم والتبري منهم . وكان الشيعة يتلقون تلك الأوامر الشريفة بالقبول والامتثال ويدونونها في كتبهم حتى تجمع لديهم من روايات الجرح والتعديل ما ملأ صفحات الكتب المؤلفة في علم الرجال . وقد حوت هذه الكتب طائفة كبيرة من أقوال الأئمة عليهم السلام . وأقوال علماء الشيعة الاعلام في البراءة من الغلو والغلاة ورجالات الغالية بالخصوص . اقتطفنا منها هذه الكلمات الشديدة في

البراءة من السبائية

الذين علمت انهم أول الغلاة بعد أمير المؤمنين عليه السلام « روى أبان ابن عثمان قال — سمعت أبا عبد الله (ع) يقول لعن الله عبد الله بن سبأ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين (ع) وكان والله امير المؤمنين عبد الله طائعاً والويل لمن كذب علينا . إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي لقد ادعى أمراً عظيما ماله لعنه الله ؟ كان علي والله عبد الله صالحاً ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله ﷺ

الكرامة من الله إلا بطاعته لله (١) » واتفق علماء الشيعة على أن « عبد الله ابن سبأ بالسين المهملة غال ملعون (٢)

البراءة من المغيرية والمنصورية والبنانية

روي عن هشام بن الحكم انه سمع أبا عبد الله الصادق (ع) يقول — لا تقبلوا علينا حديثا إلا إذا وافق القرآن والسنة وتجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدمة . فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله قد دسّ في كتب اصحاب ابي أحاديث كثيرة لم يحدث بها أبي . فاتقوا الله ولا تقبلوا ما خالف قول — ربنا وسنة نبينا ﷺ

وعن هشام أيضا انه سمع الصادق (ع) يقول كان المغيرة يتعمد الكذب على ابي ويأخذ كتب أصحابه ويدس فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى ابي ثم يدفعها إلى أصحابه ويأمرهم أن يبثوها في الشيعة . فكل ما كان في كتب ابي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد لعنه الله

وروي عن عبد الرحمن بن كثير أنه قال قال — أبو عبد الله (ع) يوماً لأصحابه لعن الله المغيرة بن سعيد ، لعن الله يهودية كان يختلف اليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق . إن المغيرة كذب على ابي ، وان قوماً كذبوا عليّ مالهم أذاقهم الله حر الحديد، فوالله ما نحن إلا عبيد خلقنا الله واصطفانا ما نقدر على ضر ولا نفع إلا بقدرته ، إن رحمنا فبرحمته وإن عذبنا فبذنوبنا لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا ولعن الله من ازالنا عن العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا (٣)

وعن حصين بن عمرو النخعي قال — كنت جالساً عند ابي عبد الله (ع) فقال له رجل جعلت فداك — إن أبا منصور حدثني انه رفع إلى ربه فمسح

---

(١) انظر منهج المقال في الرجال ص ٢٠٣ (٢) انظر ص ١١٤ من الخلاصة في الرجال للعلامة الحلي وهكذا ذكر النجاشي في رجاله وغيره (٣) راجع المنهج ص ٣٤٠ وص ٣٥٠

فمسح على رأسه وقال له بالفارسية يا بسر • فقال أبو عبد الله حدثني أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : إن ابليس اتخذ عرشاً فيما بين السماء والأرض فإذا دعا رجلاً اليه فأجابه ووطأ عقبه ترابا له ورفع اليه • وإن أبا منصور كان رسول ابليس لعن الله أبا منصور لعن الله أبا منصور ثلاثاً •

وعن زرارة أنه قال سمعت أبا جعفر الباقر (ع) يقول لعن الله بنان البنان وإن بناناً كان يكذب على أبي • وأشهد أن ابي علي بن الحسين (ع) كان عبداً صالحاً • وعن هشام بن الحكم قال قال أبو عبد الله (ع) إن بناناً والسري وبزيغاً لعنهم الله ترايا لهم الشيطان في أحسن صورة من قرنه إلى سرته قال فقلت إن بناناً يتلو هذه الآية — إن في السماء إله وفي الأرض إله — ويقول إن إله الأرض غير إله السماء • فقال الصادق (ع) والله ما هو إلا الله وحده لا شريك له ، إله من في السموات والأرض • كذب بنان عليه لعنة الله لقد صغر الله جل جلاله وصغر عظمته (١) •

البراءة من الخطابية وأشياعهم

عن ابي عبد الله الصادق (ع) قال : إنا أهل بيت صادقون لا نخلوا من كذاب يكذب علينا عند الناس يريد أن يسقط صدقنا بكذبه علينا • ثم ذكر المغيرة وبزيغ (٢) الحايك ، والسري ، وأبا الخطاب ، ومعمر ، وبشار الأشعري ، وحمزة اليزيدي ، وصايد النهدي وغيرهم فقال لعنهم الله أجمع وكفانا مؤنة كل كذاب (٣)

وعن حمدويه قال كنت جالساً عند أبي عبد الله (ع) وميسرة عنده •

---

(١) المنهج صفحة ٧٢ (٢) قال الاسترابادي صاحب منهج المقال — إن البزيغية اصحاب بزيغ هذا أقروا بنبوته وزعموا أنهم كلهم انبياء لا يموتون ولكن يرفعون إلى السماء • وزعم بزيغ انه رفع إلى السماء ومسح الله على رأسه ومج في فيه • وعن ابن ابي يعفور قال دخلت على ابي عبد الله (ع) فقال لي ما فعل بزيغ؟ قلت قتل • قال الحمد لله أما إنه ليس لهؤلاء شيء خير من القتل — (٣) المنهج صفحة ٦٧ •

ونحن في سنة ١٣٨ هـ فقال له ميسرة جعلت فداك ، عجبت لقوم كانو يأتون إلى هذا الموضع فانقطعت أخبارهم وآثارهم وفنيت آجالهم . قال عليه السلام : ومن هم ؟ قلت أبو الخطاب واصحابه . فقال — وكان متكئاً فجلس ورفع بصره إلى السماء — : على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس اجمعين . فأشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك . وأنه يحشر مع فرعون في أشد العذاب أما والله اني لأنفس على أجساد أصيبت معه النار (١)

وروي أيضاً أن ابا عبد الله (ع) ذكر أصحاب أبي الخطاب والغلاة فقال : لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا توارثوهم . وقال (ع) إن من الغلاة من يكذب حتى إن الشيطان ليحتاج إلى كذبه . وقال (ع) لمرازم قل للغالية توبوا إلى الله فإنكم فساق كفار مشركون . وقال لأبي بصير : يا أبا محمد إبرأ ممن يزعم انا أرباب ، وابرأ ممن يزعم أنا أنبياء (٢) .

وعن مصارف قال لما لبى القوم الذين لبّوا بالكوفة ،دخلت على الصادق (ع) وأخبرته بذلك فخر ساجداً ودق جؤجؤه بالأرض وبكى ، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على خديه فندمت على إخباري إياه وقلت : جعلت فداك ما عليك أنت من ذا فقال يا مصارف إن عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعه ويعمي بصره ، ولو سكت عما قال في أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعي ويعمي بصري .

وقال أيضاً إن قوماً يزعمون اني لهم إمام ، والله ما أنا لهم بإمام ، ما لهم لعنهم الله ؟ أقول كذا ويقولون يعني به كذا ، إنما انا إمام من أطاعني . وقال من قال بأننا انبياء فعليه لعنة الله ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله (٣)

هذا قول الصادق (ع) في ابي الخطاب والخطابية وبقية الغلاة . واليك

---

(١) انظر منهج المقال ص٣٢٤ (٢) راجع المنهج ص٣٢٥ (٣) نفس المصدر

قول علماء الرجال من الشيعة قال صاحب منهج المقال «محمد بن مقلاص الأسدي الكوفي الأجدع أبو الخطاب لعنه الله غال ملعون ، ويكنى أبو زينب الرزاز قال ابن الغضايري — إن ابا الخطاب لعنه الله امره مشهور وأرى ترك ما يقوله اصحابنا حدثنا بو الخطاب في حال استقامته (١) وهكذا قال النجاشي في (رجاله) والعلامة الحلي في (خلاصته) .

البراءة من العليائية

عن ابي عبد الله (ع) قال: لعن الله بشار الشعيري . إنه قال قولاً عظيماً فإذا قدمت يامرازم الكوفة فأته وقل له : يقول لك جعفر بن محمد ، يا كافر يا فاسق يا مشرك انا بريء منك . قال مرازم فلما قدمت الكوفة قلت له : يقول لك جعفر بن محمد يا كافر يا فاسق يا مشرك أنا بريء منك . قال بشار : وقد ذكرني سيدي ؟ قلت نعم ذكرك بهذا قال جزاك الله خيراً ومقالة بشار هي مقالة العليائية - أصحاب العليا بن ذراع الدومي — يقولون إن علياً (ع) رب وظهر بالعلوية الهاشمية . ووافقوا أصحاب ابي الخطاب في اربعة اشخاص علي وفاطمة والحسنين (ع) وان الاشخاص الثلاثة تلبيس وانهم في الحقيقة شخص علي لأنه أول هذه الأشخاص في الإمامة .

وأنكروا شخص محمد ﷺ وزعموا أن بشار الشعيري لما أنكر ربوبية محمد وجعلها في علي وجعل محمداً ع ع . وأنكر رسالة سلمان مسخ في صدره طير يقال له عليا يكون في البحر فلذلك سموهم العليائية (٢) .

وعن اسحاق بن عمار قال قال أبو عبد الله لبشار الشعيري لما دخل عليه أخرج عني لعنك الله والله لا يظلني وإياك سقف أبداً ، فلما خرج قال عليه السلام : والله ما صغر الله تصغير هذا الفاجر أحد ، إنه شيطان بن شيطان خرج ليغوي اصحابي وشيعتي فاحذروه وليبلغ الشاهد الغائب أني عبد الله وابن

---

(١) انظر المنهج ص ٣٢٣ (٢) راجع ص ٦٨ من نفس المصدر

أمته ضمتني الأصلاب والأرحام. وإني لميت ومبعوث ثم مسئول والله لأسألن عما قال فيَّ هذا الكذاب وادعاه (١)

البراءة من محمد بن نصير وجميع الغلاة أيضاً

روي عن أبي محمد الحسن العسكري (ع) أنه كتب ابتداء منه الى أحد مواليه اني أبرأ إلى الله من ابن نصير الفهري ، وابن بابا القمي فابرأ منهما . وإني محذرك وجميع مواليَّ ، ومخبرك اني ألعنهما عليهما لعنة الله فتانين موذيين آذاهما الله . يزعم ابن بابا اني بعثته نبياً وانه باب ، ويله لعنه الله سخر منه الشيطان فأغواه . فلعن الله من قبل منه ذلك ، يا محمد إن قدرت أن تشدخ رأسه فافعل: وابن الفهري هو محمد بن نصير قالت فرقة بنبوته وذلك أنه ادعى النبوة وأن علي بن محمد أرسله . وكان يقول بالتناسخ وباباحة المحارم، وكان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوي أسبابه ويعضده (٢)

وعن سهل بن زياد قال كتب بعض اصحابنا إلى أبي الحسن العسكري(ع) جعلت فداك ياسيدي = إن علي بن حسكة يدعي انه من أوليائك وأنك انت الأول القديم ، وانه بابك ونبيك أمرته أن يدعو إلى ذلك . ويزعم أن الصلوة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ، ومال إليه ناس كثير فإن رأيت ان تمن على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة ، قال فكتب عليه السلام = كذب ابن حسكة عليه لعنة الله ، ويحك إني لا أعرفه من مواليَّ . ويله لعنه الله فوالله ما بعث محمد والانبياء قبله إلا بالحنفية والصلوة والزكاة والصيام والحج ، وما دعا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا إلى الله وحده لا شريك له وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به احدا .. إبرأ إلى الله من قول ابن حسكه وانتفي الى الله منه . واهجره وأتباعه لعنهم الله والجأهم إلى ضيق ، وان وجدت منهم احداً فاشدخ رأسه (٣)

---

(١) نفس المصدر (٢) انظر منهج المقال ص ١٠٧ (٣) المنهج ص ٢٢٩

وعن سدير قال قلت لأبي عبد الله (ع) إن قوماً يزعمون انكم آلهة . فقال (ع) : ياسدير سمعي وبصري ولحمي وبشري ودمي من هؤلاء براء . برئ الله منهم ورسوله . ما هؤلاء على ديني ودين آبائي (١)

وحسبك من علماء الشيعة ان يقولوا في البراءة من الغلاة «عبد الله الأصم المسمعي البصري غال ليس بشيء ، وعبد الله الحضرمي المعروف بالبطل غال يروي عن الغلاة لا خير فيه ولا يعتد بروايته ، ومحمد بن مهران الكوخي من ابناء الاعاجم غال كذاب ، فاسد المذهب والحديث مشهور بذلك(٢) وعلى ذلك قس اقوال الشيعة في بقية الغلاة الذين لهم صلة قليلة بسند الأخبار .

وقد ألف علماء الشيعة كتبا خاصة بالرد على الغلاة والقرامطة بالخصوص وفندوا عقائدهما واقوالهما . واكثر تلك الكتب لآل نوبخت وللفضل بن شاذان ولسعيد بن عبد الله الأشعري :

فإذا كان الشيعة وأئمتهم الأطهار قد تبرأوا = كما رأيت = من الغلاة وعقائدهم وردوا عليها في كتب خاصة . فلنتساءل إذن عما هو

السر في عد الفرق الغالية من الشيعة ؟

.. إن هذا السر (وإن كان خفياً في بدء الأمر على كثير من الناس) جلي وظاهر لدى المطلعين على تلك الدعايات الملونة التي كان يستعملها خصوم العلويين وبالاخص خصوم الأئمة الميامين .

وكان الغرض المهم من تلك الدعايات الاثيمة ليس إلا إضعاف منزلة العلويين السامية في الأمة الإسلامية . او إزالة تلك الثقة التي كانت لهم في القلوب فلا تميل اليهم بعدئذ ولا تشايعهم او تبذل جهدها في نصرتهم :

وقد ذكرنا — في مطاوي الفصول السابقة — انموذجاً من اتهامات بني

---

(١) المنهج ص ٢٥٧ (٢) ص ١٥١ وص١٥٧ وص ٢٤٧ من رجال النجاشي وهكذا في منهج المقال وخلاصة العلامة

أُمية لعلي وبنيه وأحفاده عليهم السلام . وذكرنا أيضاً بعض الاحاديث التي وضعها الوضاعون (بإيعاز من بعض الامويين) في ذم علي (ع) خاصة وآل ابي طالب عامة فلا حاجة إلى الإعادة .

وإذا أردت ان تعرف إلى أي حدٍ بلغ تشنيع القوم على الشيعة بنسبة عقائد الغلاة وغيرها من العقائد الفاسدة إليهم فانظر (ج ١ ص ٣٥٢ من العقد الفريد) تجد كلاماً طويلاً عريضاً للشعبي « وهو من أخلاء عبد الملك بن مروان وسمراؤه قد أرسله إليه الحجاج بن يوسف (١) »

وعلى الرغم من تقدم هذه الدعاية الأموية ضد الشيعة وائمتهم عليهم السلام قد سبقتها الدعاية العباسية بأشواط بعيدة . لان العباسيين رأوا — أيام الدولة الاموية كيف أن القهر على البيعة ، والضغط على العقيدة . والإسراف في القتل لم تؤثر الأثر المطلوب في العلويين ؟ ولم تمح اسمهم الكريم من القلوب ، وذكرهم الجميل من الألسن = وثقتهم العظمى من النفوس بل ولم تفتّ في ساعدهم أو تفني أنصارهم وأشياعهم . وإنما الأمر كان على عكس المطلوب .

لما رأى العباسيون ذلك في الدولة الأموية . ولما كانوا يعلمون يقيناً أن الناس أميل إلى العلويين لتجمع الخصال الفاضلة في شخصياتهم الكريمة ، وخصوصاً شخصية أبيهم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ذلك الرجل الذي « قلّ أن وجد في التاريخ البشري مثله في كمال صفاته ، وكثرة فضائله ، وعلو مزاياه (٢) »

لما كانوا يعلمون ذلك التجأوا — بطبيعة الحال — إلى الخداع فبايعوا بعض العلويين محمد بن عبد الله الحسني ، وكان الصادق (ع) قد نهاه عن قبول هذه البيعة من آل العباس لعلمه بنواياهم في هذا الأمر فلم ينته . ولكنه ما لبث قليلا حتى ظهر لديه نصح الصادق له في نهيه ، وتجلى له هذا الظهور عندما رأى

---

(١) العقد الفريد ج ١ ص ١٩٨ (٢) ج ١ ص ١٣ من حاضر العالم الإسلامي

العباسيين قد هرولوا نحو الكوفة وأخذوا — بدافع الأنانية — البيعة لأنفسهم من الناس ولم يعطوا البيعة التي كانت له في أعناقهم أيّ التفات بل تعمدوا نكثها وراحوا — بعد ان ثبتوا دعائم ملكهم — يتبعون خطة الأمويين في الشيعة متناسين ما رأوه من عدم النجاح لتلك الخطة الإفنائية النجاح المطلوب:

قتل المنصور — كما تقدم — جماعة من الحسنيين وفيهم محمد وأبوه، وقتل من نهض مع محمد من علماء الإسلام، وقتل أيضاً ابراهيم أخا محمد ومن قام معه من اهل الفقه والحديث وقتل من ناصحهما من العلماء كالإمام ابي حنيفة وقتل الذين قاموا بعده جمعاً غفيراً من آل ابي طالب في الحجاز والعراق ومصر واليمن وإيران .

ولكن كان كلما ازداد الضغط والتقتيل ازداد أنصار العلويين ، وتحمّسوا كثيراً في التفاني بنصرتهم والجهاد في سبيلهم ، وكان الراسخون في العلم من بني الحسين (ع) قد اتجهوا — في هذه الفترة التي ارتبك فيها العباسيون بأمر الحسنيين — نحو بث العلوم الإسلامية وتدريسها بأنواعها في الحجاز والعراق أيضاً ، وكان مقدمهم وأظهرهم فضلا وعلماً أبو جعفر الصادق (ع) ولذلك التفوا حوله هم وغيرهم فكثر الرواة عنه على اختلاف مذاهبهم حتى بلغوا أربعة آلاف .

فغاض المنصور ذلك وأشخص الصادق اليه ووبخه وهدده واتهمه بأنه يلحد في سلطانه ، والحقيقة أنه رأى مثل هذا الظهور العلمي كحرب سلمي تكون نكايته اشد ويكون اثره اعظم من المقابلة بالسيف . فلذلك عدل قليلاً عن الإسراف بالقتل والتفت إلى الدعاية الهادئة ضد العلويين، ولم يهمل هذه الناحية من تخلف بعده وخصوصاً الرشيد الذي بذل لأبان عشرين الف درهم على ابيات قالها في التشنيع على العلويين .

وقد ساعدتهم الظروف — على هذه الدعاية الفاشلة — في تلك الأيام

التي كثر فيها ظهور البدع والغُلو من قوم كانوا يترددون (من قبل) على مجالس الصادق وابيه الباقر عليهما السلام وينسبون انفسهم إلى التشيع لهما وإلى غيرهما من العلويين .

استغلّ المنصور الفتاك المهاب من الرعية هذه الظروف وأشار مباشرة أو غير مباشرة إلى حبه الدعاية ضد العلويين بشتى الدعايات . فاغتنم المرتزقون من الكتاب والشعراء هذه الفرصة السانحة لاستدرار الدراهم عن طريق التقرب بما يرضي المنصور من وضع الأحاديث ونسبة الغلو والغلاة وكل سخافة إلى الشيعة العلوية وهكذا فعل بعض الوعّاظ من عبّاد المال .

وهكذا كان اكثر من تخلف بعد المنصور . وخصوصاً المتوكل الذي كان « يقول يوماً لبعض خاصته ويحكم قد أعياني أمر ابن الرضا وجهدت ان يشرب معي وان ينادمني فامتنع، وجهدت ان أجد فرصة في هذا المعنى فلم اجدها فقال له بعض من حضر إن لم تجد من ابن الرضا ما تريده من هذه الحال فهذا اخوه موسى يشرب ويتخالع فاحضره واشهره فان الخبر يشيع عن ابن الرضا بذلك فلا يفرق بينه وبين اخيه ومن عرفه اتهم اخاه بمثل فعاله (١) »

عرفت اكثر فرق الغلاة . وعرفت السر في حشرهم بين الشيعة ولكن لم تعرف في كتابنا هذا = فرقة القرامطة المعرفة التامة ، ولا فرقة الباطنية من الإسماعيلية ولا الغاية من الطعن بنسب الفاطميين خلفاء مصر . لأنا لم نفرد لذلك بحثا خاصا مع ان بعض الباطنية والقرامطة باجمعهم كانوا اشد غلوا من جميع الغلاة واعظم ضررا على الخلق واكثر فسادا في الارض . وهذا ما دعانا إلى البحث هنا عن

القرامطة وتاريخهم بإيجاز

« حدث مذهب القرامطة المنسوبين إلى حمدان الاشعث المعروف بقرمط

---

(١) ص ٣٥٧ من إرشاد المفيد

لقصر قامته ورجليه وتقارب خطوه في سنة أربع وستين ومائتين (٢٦٤ هـ) وكان ظهوره بسواد الكوفة ، فاشتهر مذهبه بالعراق، وقام ببلاد الشام صاحب الخال ، والمدثر (١) والمطوق ، وقام ابو سعيد الجنابي (٢) بالبحرين وعظمت

(١) المدثر اسمه عبد الله ولقبه بالمدثر ابن عمه الحسين صاحب الشامة وجعله ولي عهده ، وحارب المدثر مع ابن عمه عساكر الامير طغج في الشام سنة ٢٩٠ هـ حتى أخذوها صلحا . ثم تغلبوا على حمص وحماة والمعرة وغيرها ، واخذوا سلمية بالأمان ثم قتلوا أهلها حتى صبيان المكتب ، فخرج إليهم المكتفي من بغداد ونزل الرقة وأرسل منها الجيوش ، ولما قابلت الجيوش جماعة القرامطة في قرية تمنع . انكسر القرامطة وفر صاحب الشامة والمدثر ، فأمسكا وارسلا إلى المكتفي فسار بهما إلى بغداد وقتلهما فيها سنة ٢٩١ هـ انظر مجلد ٢ من تاريخ أبي الفداء .

(٢) كان قيام ابي سعد الجنابي – واسمه الحسن بن بهرام – في سنة ٢٨٦ هـ استولى على هجر والإحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين إلى أن قتل سنة ٣٠١ هـ قتله خادم له صقلبي مع اربعة من كبرائهم في الحمام ، فقام ابنه ابو طاهر سليمان وتغلب على اخيه الاكبر سعيد وكبس البصرة ليلا وقتل عاملها وأقام بها ١٧ يوما يقتل وينهب ، وفي سنة ٣١٥ هـ سار إلى الكوفة واستولى عليها وقتل يوسف بن ابي الساج قائد عسكر المقتدر وفي سنة ٣١٧ هـ غزا مكة ونهب الحاج وقتلهم في المسجد وداخل الكعبة ، وقتل أمير مكة وقلع باب البيت ونقل الحجر إلى هجر ، وطرح القتلى في بئر زمزم وكان موت طاهر هذا بالجدري سنة ٣٣٢ هـ . وبقي الحجر عند القرامطة حتى ارجعوه سنة ٣٣٩ هـ ثم في سنة ٣٦٠ هـ كبسوا جعفر بن فلاح نائب المعز الفاطمي خارج دمشق وقتلوه وملكوا دمشق ثم في سنة ٣٦١ هـ قصدوا مصر ومعهم خلق من الإخشيدية ، فحاربهم جوهر قائد المعز وانتصر عليهم أخيرا ، فعادوا إلى الشام ، ثم في سنة ٣٦٣ هـ عادوا إلى مصر فخرج اليهم المعز بنفسه وقتل منهم خلقا كثيرا فساروا إلى القطيف ثم في سنة ٣٦٥ هـ عادوا فقاتلهم العزيز ابن المعز في الرملة قتالا شديدا . وكان كبيرهم في هذه الوقائع الحسن المعروف بالأعصم وقد مات في الرملة سنة ٣٦٦ هـ وتولى امرهم بعده ستة نفر منهم شركة ، وسموا السادة ، فقصدوا في سنة ٣٧٥ الكوفة مع نفرين من الستة ، فجهز إليهم صمصام الدولة البويهي جيشا هزمهم واكثر فيهم القتل فانحرفت من يومئذ هيبتهم ولم تقم لهم قائمة : وإذا أردت تفاصيل وقائعهم فعليك بكتب التاريخ المطولة والمختصرة ايضا كالمجلد الثاني من تاريخ ابي الفداء والمجلد الرابع من تاريخ ابن عساكر .

دولته ودولة بنيه حتى أوقعوا بعساكر الخلفاء العباسيين ، وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز ، وانتشرت دعاتهم بأقطار الارض .

فدخل جماعة من الناس في دعوتهم ، ومالوا إلى قولهم الذي سمّوه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام ، وصرفها عن ظواهرها إلى أمور زعموها من عند انفسهم فضلوا وأضلوا عالماً كثيراً (١) .

وقيل غير ذلك في تاريخ ظهور حمدان هذا وفي تسميته بقرمط يقول الوطواط « ظهر في ايام خلافة المعتمد سنة ٢٧٨هـ من سواد الكوفة رجل احمر العينين يسمى كرميته ، فاستثقلوا هذه اللفظة فخففوها وقالوا قرمط ثم ذكر أنواع تعاليمه وبدعه الفاسدة وذكر ان المعز الفاطمي وقائده جوهر قد حاربا القرامطة حروباً دامية سنة ٣٦٢هـ (٢) »

ويقول ابن خلكان « والقرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط بكسر القاف ولهم مذهب مذموم وكانوا قد ظهروا في سنة ٢٨١ هـ في خلافة المعتضد وقيل كان ظهورهم في سنة ٢٧٨ هـ (٣) »

ويرى ابو الفداء « ان ظهورهم كان في هذه السنة اي سنة ٢٧٨ هـ في سواد الكوفة وان الرجل الذي دعاهم الى مذهبه كان شيخاً وقد تمرض بقرية من سواد الكوفة فحمله رجل من اهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية اسم لحمرة العين . فلما تعافى الشيخ المذكور سُمي باسم ذلك الرجل الذي آواه ومرّضه . ثم خفف فقالوا قرمط بكسر القاف . ودعا قوماً من اهل البادية ممن ليس لهم دين ولا عقل الى دينه فأجابوه (٤) »

ولا يهمنا أ كان الرجل الذي دعا القرامطة هو نفس الرجل المُسمى بقرمط

---

(١) ج ٤ ص١٨٣ من خطط المقريزي (٢) ص ٢١٢ وص ٢١٥ من خصائصه الواضحة (٣) ج ١ ص ٥٠٢ من وفيات الاعيان (٤) ج ٢ ص ٥٥ من تاريخه وقد روى ابن الجوزي ص ١١٠ من كتابه تلبيس إبليس هذا السبب لتسميتهم بالقرامطة والسبب الأول الذي رويناه عن المقريزي ولم يرجح أحدهما على الآخر :

او غيره ولكنه سُمي باسم قرمط ؟ وإنما يهمنا ان نعرف تاريخ ظهورهم في أي سنة كان لنعرف أكان في زمن الأئمة من أهل البيت ام لا ؟ وقد رأيت اختلاف الروايات في تحديد زمان ظهورهم . والأرجح انه كان في سنة ٢٧٨ هـ اي بعد انقضاء زمن الائمة الميامين وفي أثناء الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر (ع)

ولذلك لم نر ذكراً للقرامطة — بالخصوص — في احاديث البراءة المأثورة عنهم عليهم السلام ولكن الاحاديث التي ذكرناها قريبا في البراءة من الغلاة شاملة للقرامطة بطريق أولى لأنهم من اقبح الغلاة . فليس من الحق ان يقال «ومن الشيعة فرقة الباطنية ثم القرامطة» في حين ان علماء الشيعة قديماً وحديثا يبرأون من كل غالٍ ومن القرامطة بالخصوص وقد ألفوا كتباً كثيرة في الرد عليهم وذكروهم في كتب اللغة وفي كتب التراجم واليك أنموذجاً صغيراً منها . قال صاحب مجمع البحرين في اللغة عند مادة قرمط «والقرمطي واحد القرامطة ومنه تحوّل الرجل قرمطياً ، وهم فرقة من الخوارج عن الإسلام . وعن الشيخ البهائي أنه دخلت في سنة ٣١٠ القرامطة إلى مكة المكرمة في أيام الموسم وأخذوا الحجر الأسود وبقي عندهم عشرين سنة وقتلوا خلقاً كثيراً . وممن قتلوا علي بن بابويه كان يطوف فقطعوا طوافه وضربوه بالسيف فأنشد :

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا (١)»

وقال صاحب روضات الجنات «والقرامطه هم فرقة من الخوارج الكفرة قد كتب بعض أصحابنا الإمامية في الرد عليهم . إلى أن ذكر دخول أبي طاهر القرمطي مكة المكرمة يوم التروية وما فعله في الحاج من النهب والقتل ودفن القتلى في المسجد وفي بئر زمزم . وقلع باب الكعبة وهدم قبة زمزم ونقل الحجر الأسود إلى هجر (٢)»

---

(١) ص ٣٣٩ منه (٢) ص ٣٧٩ منها

وقد اختلفت كلمات المؤرخين اختلافاً عظيماً في التعاليم القرمطية كما اختلفت أقوالهم في أصل تلك التعاليم وفي مصدرها وفي تاريخ المذهب القرمطي الأمر الذي دعانا إلى عدم الإطمئنان والجزم بتلك الكلمات والأقوال التي لم توضح تقدم المذهب الإسماعيلي على القرمطي ولكن مما لا نشك فيه ان المذهب الإسماعيلي قد حدث في منتصف القرن الثاني أي بعد وفاة الصادق (ع) بقليل ٠

وفي هذا الوقت لم يكن اسم القرمطي في عالم الوجود ٠ وإنما وجد (كما تقدم) في أواخر القرن الثالث ٠ ولا ننكر أن التعاليم القرمطية قد وجدت في أذهان الغلاة قبل ذلك ٠ وبُثت فيما بعد بين القرامطة ٠ والذين بثوها في أذهانهم هم نفر من الغلاة الباطنية حيث سيروا الحسين الأهوازي داعية إلى العراق فلقي حمدان القرمطي ودعاه إلى مذهب الباطنية فاستجاب له ٠ والأهوازي هذا كان من الباطنية بل قيل «إنه الزعيم الأول لهم والمؤسس لمذهبهم» الذي انتشر انتشاراً هائلا في أواخر القرن الرابع (١) أي في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي تولى الخلافة سنة ٣٨٦ وفتح دار الحكمة في سنة ٣٩٥ هـ وقتل سنة ٤١٠ هـ ٠ فدخل هذه الدار جماعة من فلول القرامطة (الذين هزمهم صمصام الدولة البويهي سنة ٣٧٥) وتولوا شؤون دار الحكمة ٠ فدسوا في تعاليم الاسماعيلية الأولى ما لا يتفق والتعاليم الإسلامية بوجه ولهذا «يقال أن اصل دعوة الإسماعيلية مأخوذة من القرامطة ونسبوا من أجلها إلى الالحاد (٢)» ولا يبعد أن تكون دعوة الإسماعيلية التي نظمت في دار الحكمة مأخوذة من

---

(١) وكثر اتباعه أيضاً في أواخر القرن الخامس يوم ترأسهم الحسن بن الصباح بإصبهان وبنى لهم القلاع الحصينة وكان يسمى بعضها بقلعة الموت، فاستفحل أمرهم حتى آل إلى سرقة الملوك والامراء وقتلهم ثم رميهم في الآبار. وحتى أن الانسان كان اذا خرج خارج بيته أيس منه أهله وظنوا أنه اغتيل في الطريق ٠ وسيأتيك مزيد بيان ٠

(٢) ج ٢ ص ٢٢٣ و ص ٢٣٤ من خطط المقريزي

القرامطة الذين أخذوا تعاليمهم الأولى من زعيم الإسماعلية الأهوازي . فيكون القرامطة قد أخذوا أولا ثم أعطوا ثانياً . وكما علمهم بعض الاسماعيلية الغلوُ علموه هم لبعض آخر من الإسماعيلية الذين كانوا خلواً منه .

وعلى كلٍ فيهمنا أن نعرف الآن هل كان الخلفاء الفاطميون من غلاة الإسماعيلية ؟ وهل كان الذين كانوا بعد الحاكم يعتقدون بإلهيته كما اعتقدها غيرهم ؟ ولما كان الجواب القطعي عسراً للغاية . لأن ما كتب عن القوم كان شديد الغموض فاحش الاضطراب وخصوصاً مايتعلق بعقائدهم فإنه ـ زيادة على ذلك — في غاية المبالغة والتحامل الغريب الأمر الذي يدع الكاتب يتردد كثيراً في الإقدام على الحكم الجازم . ويشكك في كثير مما نسب إلى القوم من الخرافات والبدع والكفر والزندقة فضلا عن رميهم بكونهم أدعياء في النسب .

لما كان الأمر على هذا الحال المُريب التجأنا إلى الحكم فيما نكتب عنهم على سبيل الظن والاحتمال والترجيح ، واقتصرنا على

❋ كلمة موجزة في الفرقة الباطنية وفي الغاية من الطعن على الفاطميين ونسبهم ❋

عرفت ان الإسماعيلية اختلفوا بموت اسماعيل في حياة ابيه . « فمنهم من قال لم يمت إلا أنه أظهر ابوه موته تقية من بني العباس . ومنهم من قال — الموت صحيح والنص لا يرجع قهقرى . والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره . فالإمام بعد إسماعيل محمد بن اسماعيل وهؤلاء يقال لهم المباركية .

ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته ، ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية الذين لهم مقالة مفردة (١) » يقول الشهرستاني

---

(١) انظر ملل الشهرستاني ج ١ ص ٩٦

«وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلا ولهم ألقاب كثيرة فبالعراق يسمون الباطنية ، والقرامطة ، والمزدكية ، وبخراسان التعليمية والملحدة . ثم ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج فقالوا في الباري تعالى إنا لا نقول هو موجود ولا لا موجود . ولا عالم ولا لا عالم ، وكذلك في جميع الصفات ثم ذكر تعاليمهم وشبهاتهم وقال بعدها ثم إن اصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسن بن الصباح دعوته وقصر عن الإلزامات كلمته ، واستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع وكان بدء صعوده إلى قلعة الموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وذلك بعد أن هاجر إلى بلاد إمامه وتلقى الدعوة منه لأبناء زمانه . ثم ذكر كيفيتها بكلام طويل فراجع (١) »

هذه بعض تعاليم الباطنية أشرنا إليها إشارة لنعرف هل كان الفاطميون على هذه التعاليم السيئة أم لا ؟ ، وإن ما رأيناه — في التاريخ — من اعمال الفاطميين الشهيرة في مصر ، وأقوالهم المأثورة في التمسك بالدين لمما يوجب الظن بأنهم ليسوا على مقالة الباطنية وتعاليمهم . وإن وافقوهم بسوق الإمامة في المستورين ثم في الظاهرين بل احتمل أن الحاكم بأمر الله الذي قال بإلهيته بعض الباطنية او كلهم — كان ممن يسخر من مقالة الباطنية فيه . ويعاقب عليها لو كانت في حياته ولكنها — على الارجح — كانت بعد وفاته .

وعلى كل حال فلا يسوغ لمنصف أن يعتبر القائلين بالغلو — سواء كانوا باطنية أو غير باطنية — من الشيعة ولا من المسلمين . وهكذا كل من ينكر إحدى ضروريات الدين الإسلامي . أما الذين لا ينكرون شيئاً منها — وإن جادلوا في بعض المسائل النظرية او أنكروا دليلها — فهم مسلمون حقيقة وإذا كانوا من الموالين لأمير المؤمنين (ع) فهم مسلمون شيعيون . ويدخل في

---

(١) ص ١١٢ من ملله

هؤلاء جلّ الخلفاء الفاطميين — على الظاهر — وجلّ البيت الفاطمي إن لم نقل كلهم لأنهم كانوا متشددين في إسلاميتهم وفي ولاءهم لأمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام . وكانوا يقيمون شعائر الإسلام اينما حلوا ويعمرون المساجد والمعاهد العلمية الإسلامية . ويبالغون في الانفاق عليها وعلى فقراء المسلمين وخصوصاً في مصر حتى « قيل بحق إن أيامهم في مصر كانت كلها أعياداً » ولقد نال أهل مصر من جميلهم وبرهم ما لا يحصى عده .

ولا نبالغ إذا قلنا إن أهمّ الآثار الإسلامية الباقية إلى الآن في مصر من مآثرهم الخالدة ويكفي في التدليل على ذلك « الجامع الأزهر الذي بناه القائد جوهر بأمر سيده المُعز الفاطمي » نعم لا ننكر ان « القوم » كانوا = كغيرهم من الملوك = يستعملون التعصب لمذهبهم الإسماعيلي ويضغطون على حرية المذاهب الأخرى ولو كانت تمت إلى مذهبهم بقرابة .

وكان بعضهم يستبد كثيراً ، ويميل عن الحق في أغلب أعماله . وهذا مما لا سبيل إلى إنكاره ، وإنما ننكر ان يؤخذ من ذلك دليلاً على غلوهم وكفرهم وتزندقهم من غير ان نعلم هل كانوا في ارتكابهم لتلك المحرمات مثلا يعتقدون حليتها وينكرون تحريمها المستلزم لإنكار الكتاب العزيز الذي نصّ على تحريمها أم لا ؟

وكيف نحكم بكفرهم ؟ من دون أن يقوم لنا دليل صريح موجب لكفرهم من طريق صحيح أو من اعتراف منهم وتصريح بالكفر الذي ضيق الشارع دائرته ولعن من يتسرعون في إصدار الحكم به .

نعم كيف نحكم بكفرهم — كما حكم السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء — في حين أنا نرى الحاكم بأمر الله — وهو أعظمهم كفراً وشرهم أعمالاً بنظر البعض — « يخرج رقعة بخطه سنة ٤٠٣ هـ إلى أمين الأمناء لما توقف في الإنفاق على الناس . نسختها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله كما هو أهله

أصبحت لا أرجو ولا أتقي إلا إلهي وله الفضل
جدي نبي وإمامي أبي (١) ودينى الإخلاص والعدل

ما عندكم ينفد وما عند الله باق . المال مال الله والخلق عياله ، ونحن أمناؤه اطلق ارزاق الناس ولا تقطعها (٢) »

فهل يدل هذا الشعر والنثر إلا على محض الإخلاص، والتوحيد لله تعالى ، والعدل في الرعية بالرغم مما نسب اليه من جور ؟

على أن الرجل قد أصيب في أواخر ايامه بخلل في دماغه فلا تؤخذ أعماله مقياساً لمن تقدم عليه أو تأخر عنه من قومه الفاطميين وفيهم من عرف بالعلم والرفق والعدل .

ويكاد المرء ان يعتقد — بعد ذلك — بأن كل ما نسب إلى « القوم » مبالغ فيه او مكذوب به عليهم . لأن التعصب المذهبي ، والعداء السياسي قد بلغا الغاية في ايام القوم حتى انهم انفسهم كانوا في لجة عميقة من التعصب المذهبي البغيض، دفعتهم كثيراً إلى إكراه الناس على اعتناق مذهبهم الإسماعيلي وترك غيره من المذاهب التي اعتقدها اهلها منذ الصغر ، ولقد كان تعصب الفاطميين حتى على من هو قريب منهم في المذهب

ينقل لنا المقريزي « ان المُعز كتب إلى قائده جوهر يُحذره من بني حمدان ويقول له — إن بني حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء عليها مدار العالم ، وليس لهم فيها نصيب، يتظاهرون بالدين والكرم وليس لهم منهما نصيب، ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم للدنيا لا للآخرة ، فاحذر كل الحذر من الإستناد لاحد منهم (٣) »

---

(١) يعني به علياً امير المؤمنين (ع) لأنهم كانوا في خطبتهم يقولون — السلام على أبينا امير المؤمنين علي بن ابي طالب إمام الأمة وكاشف الغمة — انظر ج ٢ ص ٣٣١ من خطط المقريزي (٢) الخطط ج ٤ ص ٢٦٧ (٣) ج ٢ ص ١٦٥ من خططه

وهذه الكلمة من المعز الفاطمي — وإن كانت في معرض التحذير — تفهمنا ما بلغ الرجل من التعصب المذهبي الشديد لقوله فيها «ويتظاهرون في الدين»؟

ومن البديهي — في التاريخ — ان بني حمدان كانوا من الشيعة الإمامية الإثنى عشرية الذين حموا ثغور المسلمين وجاهدوا في سبيل الدين اكبر جهاد حتى أن سيف الدولة قد جمع الغبار الذي تجمع عليه أيام غزواته لأعداء الدين وجعله بصورة «لبنة» وأوصى أن توضع معه في قبره ، أضف إلى ذلك احترام العلماء ، وصلة الشعراء ، وتقديس الشعائر الدينية

دخل الفاطميون إلى مصر يرافقهم التعصب لمذهبهم ، والتفاني الصريح في حب أهل الكساء (ع) حتى أن المعز «امر في رمضان سنة ٣٦٢ ه ان يكتب على سائر الأماكن بمدينة مصر — خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام (١)»

وفي سنة ٣٦٥ ه «جلس القاضي بالجامع الأزهر وأملى المختصر المعروف بالاقتصاد وقرأه على الناس وهو يشتمل على فقه الإسماعيلية. وفي سنة ٣٧٢ه أمر العزيز بقطع صلاة التراويح من جميع البلاد المصرية ، وفي سنة ٣٨١ ه ضرب رجل بمصر وطيف به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك ابن أنس (٢)»

هكذا كان الفاطميون حين دخولهم إلى مصر في الوقت الذي تملك فيه التعصب للأمويين قلوب المصريين «فكانوا إذا لقوا أحداً — في الطريق — قالوا له من خالك؟ فإن لم يقل معاوية وإلا بطشوا به وشلحوه ، ولما دخل جوهر قائد المعز الفاطمي الى مصر وبنى القاهرة أذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها ، حي على خير العمل ، وأعلن بتفضيل علي بن أبي طالب على غيره ، وجهر بالصلاة على الحسن والحسين وفاطمة الزهراء (رض) فقابله الرعية ونادوا

---

(١) ج٤ ص١٥٦ من خطط المقريزي (٢) الخطط المقريزية ج٤ صفحة ١٥٦ و ١٥٧

معاوية خال علي وخال المؤمنين، فأرسل جوهر رجلا إلى الجامع فنادى: أيها الناس أقلوا القول ودعوا الفضول، فلا ينطقن أحد إلا حلت به العقوبة الموجعة (١) ».

فكان من المعقول أن يشتد التصادم بين ذينك التعصبين، وأن تجري حوادث خطيرة. ولكن سرعان ما خضع المصريون ودان أكثرهم بالمذهب الإسماعيلي وصدق فيهم يومئذ قول المقريزي « إن من طبيعة المصريين قلة الصبر والجلد، وأخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شيء إلى شيء والدعة والجبن (٢) ».

وإذا ألقيت نظرة إجمالية على تاريخهم أيام استعباد الفراعنة إياهم، وأيام الخصي جوهر، والحاكم بأمر الله، والمماليك وغيرهم تصوب المقريزي بنسبة الجبن اليهم . واذا سبرت تنقلهم من التشيع ايام علي إلى النصب ايام معاوية ومن بعده، ثم منه إلى التشيع للعباسيين ثم منه إلى التشيع للفاطميين ثم منه إلى التشيع للأيوبيين وهلم جرا . اذا سبرت ذلك توافق المقريزي أيضاً على قوله « وأخلاقهم يغلب عليها الإستحالة والتنقل من شيء الى شيء »

دان المصريون بالمذهب الإسماعيلي نيفاً ومائتين سنة وأخلص له القليل وكاده الباقون وكان « لهم خبرة بالكيد والمكر . وفيهم بالفطرة قوة عليه . وفي مكرهم يقول أبو نواس

فإن يك باق إفك فرعون فيكم فإن عصى موسى بكف خصيب (٣)

لذلك لا يبعد ان يكون ما نسب الى الفاطميين ورموا به — ناشئاً من المصريين الذين لم يخلصوا للمذهب الإسماعيلي وأئمته الفاطميين . وعاضدهم على ذلك العباسيون الذين رأوا مزاحمة الفاطميين الشديدة حتى زاحموهم على الخلافة الاسلامية بالمناكب وقربوا من بغداد عاصمة العباسيين فالتجأوا الى الدعاية ضد العلويين عامة والفاطميين خاصة حتى أنهم « كتبوا سنة ٤٠٢ هـ محضراً بأمر القادر يتضمن القدح في نسب العلويين خلفاء مصر (٤) »

---

(١) الخطط مجلد ٤ صفحة ١٥٥ و ١٥٦ (٢) الخطط مجلد ١ صفحة ٧١
(٣) مجلد ١ صفحة ٧٨ من الخطط (٤) تاريخ ابي الفداء مجلد ٢ صفحة ١٤٢

«و كتب (ايضاً) محاضر في بغداد سنة ٤٤٤ بالقدح في نسب الخلفاء المصريين وتفيهم من الانتساب لعلي بن أبي طالب وسُيرت الى الآفاق (١)»

ولكن تلك المحاضر الفاشلة لم توهن عزيمة الفاطميين ونشاط دعاتهم في الامصار بل ظلوا مثابرين على العمل الجدّي حتى «أخذ لهم البساسيري بغداد سنة ٤٥٠ ﻫ وأقام فيها الخطبة للمستنصر الفاطمي . وفر الخليفة القائم بأمر الله العباسي، وسُيرت ثيابه وعمامته وغير ذلك إلى مصر وفي سنة ٤٥١ أُقيمت دعوة المستنصر بالبصرة وواسط وجميع تلك الاعمال، فقدم طغرلبك إلى بغداد وأعاد الخليفة العباسي وقتل البساسيري الذي خطب اربعين خطبة في بغداد للمستنصر الفاطمي (٢)»

نعم لم تؤثر تلك المحاضر – على مايظهر – في دولة الخلفاء الفاطميين بل عاشت بعد ذلك مايقرب من قرن وربع قرن . لكنها قد أفادت أولئك الكتاب المرتزقين الذين سطروها في كتبهم على غير تفكير وتعقل في الدافع اليها والغرض منها ولولا ان يُقيض الله سبحانه من فضح تلك المحاضر لبقينا نعتقد بان القوم أدعياء في نسبهم الفاطمي :

واليك ما قاله ابن خلدون غير المتهم بالنسبة الى القوم لانه كان يراهم من الملاحدة في الدين ومن الكفرة ومع ذلك حامى عن نسبهم أبلغ محاماة حيث يقول «ومن الأخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين في العبيديين خلفاء الشيعة في القيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت والطعن في نسبهم الى اسماعيل يعتمدون في ذلك على أحاديث لُفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفاً اليهم بالقدح فيمن ناصبهم .. الى أن قال بعد كلام طويل – والعجب من القاضي أبي بكر الباقلاني يجنح الى هذه المقالة ويرى هذا الرأي الضعيف . فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدين والتعمق في الرافضية (؟) فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم ، وليس اثبات منتسبهم بالذي يغني عنهم من الله

(١) مجلد ٢ صفحة ١٧٠ من الخطط (٢) نفس المصدر

شيئاً في كفرهم الخ (١) »

وهناك محاماة ثانية عن نسب القوم لها قيمتها التاريخية لانها من المقريزي المصري الذي هو أدرى بخلفاء بلاده مصر، واكثر اطلاعاً على دقائق احوالهم وكيفيات انتسابهم ·

قال « إعلم ان القوم كانوا ينسبون الى الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ، والناس فريقان في امرهم · فريق يثبت ذلك · وفريق يمنعه ويزعم انهم أدعياء من ولد ديصان البوني وأصله من المجوس · وبعض منكري نسبهم في العلوية يقول — إن عبد الله المهدي (جدهم) من اليهود ·· الى ان قال — وهذه اقوال إن انصفت تبين لك انها موضوعة فإن بني علي (رض) قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد · وجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعتهم على الإعراض عنهم والدعوة لابن مجوسي او يهودي ؟ فهذا مما لا يفعله احد ولو بلغ الغاية في السخف والجهل :

وإنما جاء ذلك من قبل ضعفة بني العباس عندما غصُّوا بمكان الفاطميين · فإنهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحواً من ما ئتين وسبعين سنة ، وملكوا من بني العباس بلاد المغرب · ومصر · والشام وديار بكر والحرمين ، واليمن ، وخُطب لهم ببغداد نحو اربعين خطبة ، وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ إلى تنفير الكافة عنهم بإشاعة الطعن في نسبهم ، وبثّ ذلك عنهم خلفائهم ، وأعجب به اوليائهم وامراء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين · كي يدفعوا بذلك عن انفسهم وسلطانهم معرّة العجز ·· حتى اشتهر ذلك الطعن ببغداد وأسجل القضاة بنفيهم من نسب العلويين وشهد بذلك من اعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضي والمرتضى في عدة وافرة عندما جمعوا لذلك في سنة ٤٠٢ أيام القادر (٢)

(١) صفحة ١٥ من مقدمته (٢) قد جعل ابن خلدون تاريخ هذه الشهادة سنة ٤٦٠هـ في أيام القادر وهو خلاف الواقع لان القادر هذا توفي سنة ٤٢٢هـ كما في مجلد ١ صفحة ١٥٨ من تاريخ ابي الفداء – اي قبل تاريخ ابن خلدون لهذه الشهادة بثمان وثلاثين سنة

وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع (١) لما اشتهر ببغداد واهلها إنما هم من شيعة بني العباس الطاعنين في هذا النسب، والمتطيرين من بني علي (رض) والفاعلين فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل. فنقل الاخباريون واهل التاريخ ذلك كما سمعوه، ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر. والحق من وراء هذا فتفطن .ولا تغتر بزخرف القول الذي لفقوه من الطعن في القوم (٢) »



---

(١) ذكر ابن ابي الحديد في ترجمة الرضي – مجلد ١ صفحة ١٢ من شرح النهج « ان الرضي لم يمض المحضر المكتوب في إبطال نسب الفاطميين، وان والد الرضي قد حاوله على ان يمضيه فما اجابه وكذلك حاول اخوه المرتضى فما اجابه ايضا فحلفا على أن لا يكلماه تقية من القادر وتسكينا له، ولكنه أجابهما على إنكار الأبيات المشهورة التي أولها

ما مقامي على الهوان وعندي   مقول صارم وأنف حمي

* * *

أحمل الضيم في بلاد الأعادي   وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولا   ي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيدا النا   س جميعا محمد وعلي »

والقرائن قوية على ان إنكاره الأبيات نزولاً على إرادة أبيه وأخيه الذين حذرا عليه من انتقام القادر العباسي وعلى انفسهما أيضاً ولذلك شهدا على المحضر لالأجل السماع والشهرة

(٢) ج ٢ صفحة ١٥٩ من خططه

الخاتمة *

خطأ ثابت في «الرسالة» أو دفع التهجم على شيعة ايران

٠٠ جعلنا هذه الكلمة خاتمة الكتاب لانها لم تكتب له وإنما كتبت قبل تأليفه بل وقبل التفكير فيه بثلاثة اشهر اواربعة أي يوم اطلعت على العدد ٣١ من مجلة الرسالة المصرية لسنتها الثانية وقرأت ما حواه من الابحاث القيمة الطريفة والقصص التاريخية والادبية الحافلة بشتى الفوائد الجليلة ٠ وأعجبت كل الاعجاب بأسلوب الاستاذ الزيات الجذاب ٠ وذوقه الحسن ٠ وابتعاده كثيراً عما يثير الضغائن ويسبب التباعد بين الأمة :

ولكن سرعان ان انقلب ذلك الإعجاب - بابتعاده عما يسبب التباعد- الى تعجب شديد من نشره في العدد نفسه رحلة الاستاذ محمد ثابت المصري «الى خراسان » (١) المليئة بالسبات الطائفية البغيضة لانها كانت =ولم تزل= هي وحدها الداء العضال الذي أنحل جسم المجتمع الإسلامي وأوهى قواه ٠ وأمكن عدوه الجشع من قبضه بكلتا يديه وتشريحه بمبضعه السام ٠ لتذهب بقايا قواه ٠ اويمحى ذكره الجميل من صحيفة الوجود كما كان قبل بزوغ النور المحمدي من صحراء الجزيرة العربية :

وبنظرة بسيطة في المشاريع الجمة (٢) التي نظمها رجال الغرب في القرون الماضية * وفي طليعتهم البابوات * والتي كان هدفهم الاول فيها محو تركيا أو تقسيمها

(*) نشر اكثرها في الجزء الاول من مجلد ٢٥ لمجلة العرفان الزاهرة

(١) ادرج الرحالة هذا مقاله بهذا العنوان في كتابه «جولة في ربوع الشرق الادنى صفحة ٢٠٠ إلى صفحة ٢٢٢ وزاد عليه اموراً كثيرة خليقة بأن تصدر من غير معلم الآداب» في كلية فاروق الثانوية بمصر (٢) انظر ما كتبه الأمير شكيب في حاضر العالم الاسلامي عن هذه المشاريع لتعلم إلى اي حد بلغ لؤم القوم وجشعهم ٠

—وهي يومئذ موئل الاسلام وساعده المتين= يعلم صدق ما قلناه :

على أننا بغنى عن الاستشهاد بالماضي البعيد. لان مايقع نصب أعيننا في العصر الحاضر—عصر الإنسانية والديموقراطية كما يسمونه— من اعمال «القوم» الفظيعة في نفس مصر بلد الزيات وبلد الرحالة المصري. وفي جزؤها السودان كما يقولون وفي جارتها فلسطين الشهيدة . وسوريا المقسمة. وفي شقيقاتها طرابلس الغرب وتونس. والجزائر . وجاوى وغيرها= كاف لان يكون عظة لمتعظ، وعبرة لمعتبر، ورادعا قويا عن نبش الدفائن البالية ونشر جرائمها الموبوءة على هذه الامة العليلة . المبتلاة =مع علتها المزمنة =بالعدوين الداخلي والخارجي :

نعم تعجبت كثيراً من حامل مشعل «الرسالة المصرية» ليهدي بها الأمة ويلم شتاتها، لنشره أمثال تلك اللسبات في مجلة الرسالة الراقية . حتى أحوجنا إلى مناقشة «الرحالة»، ومجادلته بالتي هي أحسن خدمة للحق وبيانا للحقيقة المهضومة في قول الرحالة هذا «والسيارات الكبيرة تمر تباعاً .ذهاباً ورجعة في كثرة هائلة، تحمل جماهير الحجاج (؟) لان « مشهد » خير لديهم من مكة المكرمة تغنيهم عن حج بيت الله الحرام في زعمهم»

وقد كرر هذا اللسب القاسي بعد كلمات فقال «والذي شجع الفُرس على اتخاذ مشهد كعبة مقدسة، الشاه عباس الصفوي أكبر ملوك الصفويين هناك . . صرف قومه عن زيارة مكة لكراهيتهم للعرب ولكي يوفر على قومه ما كانوا ينفقون من مال طائل في بلاد يكرهونها فاتخذ «مشهد» كعبة وجّه الشعب اليها . ولكي يزيدها قدسية حج اليها بنفسه ماشيا على قدميه مسافة تفوق ألف كيلومتر وما تبين فتحول الناس اليها .

ويندر من يزور الحجاز منهم اليوم . وهم يحترمون كلمة مشهدي عن كلمة حجي لان من زار «مشهد» لا شك أكثر احتراما وطهارة من زار مكة بزعمهم» ولقد ذكرتني كلمته هذه بكلمة لكاتبة افرنسية ورحالة ايضاً مثله . نشرتها الاحرار

البيروتية — ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ م · ملخصها «إنه على أساس ذبح علي واولاده في كربلاء (؟) قرب بغداد قامت الشيعة في الإسلام (؟) ذلك لان أقرباء علي وخلفائه وتلاميذه وعلماء الشيعة · وفلاسفتها لم يطيقوا خلافة عمر (؟) الذي بسببه أُريق دم علي واولاده (؟) فافترقوا عن السنة ، واجتازوا جزيرة العرب الى العجم (؟) تسير في طليعتهم أرملة علي فاطمة (؟)» ولو أراد مريد تلفيق الاعذار عن هذه المرأة الافرنسية لأمكنه ذلك لأنها امرأة غربية غريبة قليلة الإلمام بتاريخ الاسلام والمسلمين · وبعيدة عنهم وطناً ولغة ودينا · وقد يكون لها غرض سياسي كما يظهر من كلامها هذا خصوصاً قولها «لم يطيقوا خلافة عمر الذي بسببه اريق دم علي واولاده» وعلى هذا الوتر البغيض يضرب الكثير من كتاب الإفرنج الذين أصبحوا القدوة — وباللأسف — لكثير من كتاب الشرق الادنى :

وعلى أي حال فما عذر الرحالة المصري ؟ عن تلك اللسبات الاثيمة وهو شرقي أولاً ، ومسلم ثانياً وعربي ثالثا ، وعقائد شيعة الفُرس شرقية اسلامية عربية أيضاً ومُدونة بلسان عربي ومطبوعة بأحرف عربية كبيرة وصغيرة ، ومنتشرة في بلاد العرب وفارس التي طبعت اكثرها في مطابعها العربية · ومنتشرة أيضاً في الهند والافغان ، وتبّت وغيرها من البلاد الشرقية والغربية :

فليطلبها أولئكم الذين يعتذرون بندرة المصادر الشيعية ويجعلون ذلك مبرراً لأخطائهم أو مسوغاً لاعتمادهم على المصادر الاجنبية أو المصادر التي أُلفت للتقرب من الحكام · ليطلبوها كي يعلموا منها حقيقة العقيدة الشيعية · وان الشيعة الإمامية فرساً كانوا أو عرباً أو تركاً أو غير ذلك من العناصر — يحترمون أئمتهم من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا · ويزورون مشاهدهم المشرفة كما يزورون مدينة جدهم صلى الله عليه وآله وسلم المنورة من غير خصوصية - عندهم — لزيارة مشهد» الإمام الرضا (ع) زائدة على غيرها ·

نعم يحكمون بزيادة الثواب للزائر من مسافة بعيدة على ثواب الزائر من

قريب : فالزائر الذي يزور الحسين — مثلا — ويقصده من بلاد الهند يكون ثوابه أعظم من ثواب مجاوري الحسين (ع) ، لكن مع اتحاد النية و كونها خالصة لله سبحانه وتعالى :

وهذا الحكم مطابق للفطرة ، وللعقل السليم ، وللمشهور من أن « أفضل الاعمال أحمزها » ، « والاجر على قدر المشقه »

ثم إن الزيارة — باصطلاح الشيعة — غير الحج . وإن كان معناهما اللغوي واحداً وهو القصد ، إلا أن الحج — عندهم — مختص بالسير لأداء المناسك الخاصة في مكة المكرمة لا (في مشهد) مع شروطها الخاصة من وقت وغيره . والزيارة لم يكن لها وقت خاص . بل هي مستحبة في كل وقت . وإن كان فعلها في بعض الاوقات — كالجمعة مثلا — افضل منه في غيرها

وهي عندهم من المستحبات ، بمعنى أن تركها جائز ، وفعلها راجح . وتاركها غير عاص . بعكس الحج إلى بيت الله الحرام . فإنهم يرونه من أعظم الواجبات لا يجوز تركه لمن استطاع إليه سبيلا . وتاركه عاص معاقب أشد عقاب ، ومن يتركه منكراً وجوبه فهو خارج عن ملة الاسلام . أما من يتركه مقراً بوجوبه ولكنه يتساهل في الأداء فقد ارتكب كبيرة مهلكة :

والحج إلى مكة المكرمة واجب في العمر مرة على كل بالغ عاقل ذكراً كان او أنثى مع شروط كثيرة اهمها وأولها الاستطاعة (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) ومكة = عندهم = اشرف من « مشهد » وغير مشهد من بقاع الارض وهذه أخبارهم الصحيحة الصريحة تنص على افضلية مكة واشرفيتها :

« روي عن الصادق (ع) انه قال = إن الله اختار من كل شيء شيئاً ، واختار من الارض موضع الكعبة : وقال عليه السلام == ما خلق الله تعالى بقعة في الارض أحب اليه منها واوماً بيده الى الكعبه ولا اكرم على الله عز وجل منها لها حرم الله الأشهر الحرم في كتابه ..

وقال ايضاً أحبُّ الارض إلى الله تعالى مكة ، وما تربة أحب إلى الله عزّ وجلّ من تربتها ، ولا حجر أحب إلى الله من حجرها ، ولا شجر أحب إلى الله شجرها ، ولا جبال احب الى الله من جبالها ، ولا ماء احب الى الله من مائها . وهكذا روي عن الباقر (ع)(١) »

نعم الاستطاعة شرط لوجوب الحج . فإذا حصلت لدى البالغ العاقل وجب عليه الحج ووجب عليه أداءه في مكة لا في غيرها ولا يجوز له تأخيره عن عام الاستطاعة إلا إذا طرأ عليه مرض مانع عن السير أو إذا لم يأمن الطريق التي لا يمكنه سلوك غيرها بأن تمكن منه الخوف على نفسه او عرضه او ماله المُضِر بحاله فقده ، او ظن أن السلطة الحاكمة في مكة المكرمة لا تمكنه من فعل بعض الأركان والمناسك على ما يطابق مذهبه :

وبهذا ينبغي ان نعلل ندرة الحجاج في بعض السنين الأخيرة . وعلى هذا يجب ان نحمل « صَرْف الشاه عباس قومه عن مكة » اذا صح هذا الصرف المزعوم وصدق زاعمه . لا على « أن الشاه فعل ذلك كراهة للعرب وبلاد العرب »

ويكاد المطلع (على ما كان بين الصفويين ، والعثمانيين من العداء المذهبي والسياسي ايضاً) أن يجزم بأن السبب الوحيد الذي حمل الشاه على صَرف

(١) انظر المجلد الثاني من الوسائل للحر العاملي صفحة ٣٦١ وصفحة ٣٦٤ لتعلم منه ان لاقيمة بعدئذ لذلك الخبر الذي تصيده الاستاذ أمين الخولي نصير « الرحالة » على الاستاذ عزام . تصيده من كتاب مجهول لرجل فارسي اسمه الكوزه كناني واسم الكتاب « روضة الامثال » على ان الخبر الفارسي كان خاصا بتفضيل كربلاء على غيرها فأي شاهد به لتفضيل مشهد الرضا على مكة الذي هو محور النزاع بين ثابت وعبدالوهاب عزام . وعلى كل فاذا وجد في أخبار الشيعة ما يدل على تفضيل غير مكة عليها فلا يدل صرف الوجود على اعتقاد الشيعة بذلك الخبر المعارض بأشهر منه واوثق : وكذلك ما يوجد في كتب السنة « من ان النبي (ص) قال ـ إن كورة إتريب وكورة الفيوم وكورة سمنود ليس على وجه الارض أفضل منها ولا تحت السماء لهن نظير ـ انظر ج ١ صفحة ٢٨٦ من خطط المقريزي

قومه عن مكة = كما زعم = هو ظنه بخصومه العثمانيين أن لا يمكنوا قومه من أداء المناسك على طبق مذهبهم .

ويمثل هذا الظن ندر من حج من الشيعة والسنة ايضا بعد دخول الملك الوهابي جلالة عبد العزيز بن السعود - الحجاز . وبعد هدمه قبر بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وقبور الصحابة وغيرهم في مكة والمدينة المقدستين . وبعد منعه من إقامة بعض الشعائر في تلك الأيام وما بعدها ، ومن حج يومئذ فقد لاقى نصباً وضغطاً على الحريات المذهبية .

وقد حصل وقتئذ شجار عنيف بين الجند الوهابي وبين حراس المحمل المصري أدى الى توتر العلائق بين الحكومتين المصرية والسعودية .

وكذلك توترت بين حكومة اليمن وحكومة نجد والحجاز بسبب اغتيال الجند النجدي اربعة آلاف حاج من حجاج اليمن - على ما قيل - الأمر الذي كادت الحرب - من اجله - ان تشب في الجزيرة العربية المحبوبة (١) وتقر - وقتئذ - عيون الأجانب الشاخصة دائماً الى الجزيرة ترقب

---

(١) لقد شبت - مع الاسف - نار الحرب بعد كتابة هذه الكلمة بشهرين ، وسفكت فيها الدماء البريئة ، وتشابك المسلمون بالحراب - ومخرت أساطيل ذوي الاطماع في ميناء الحديدة بحجة حماية رعاياها = وتشجع الانكليز فأنذر الإمام يحيى وطلب منه التخلي عن عدن . وكان انذاره في اليوم الذي انذر فيه الملك ابن السعود الإمام يحيى = انظر العدد ٤٠٧ الصادر في ٣ ذي القعدة سنة ١٣٥٢ هـ من جريدة الجامعة الإسلامية الفلسطينية : وكان نشوب هذه الحرب البغيضة في آب سنة ١٩٣٣ م وربيع ثاني سنة ١٣٥٢ هـ وبقيت ناشبة ما يقرب من سنة ثم توسط وفد المؤتمر الإسلامي المؤلف من سماحة رئيس المؤتمر السيد محمد امين الحسيني . والامير شكيب ارسلان ، وهاشم بك الأتاسي ، ومحمد علي علوبا باشا - في الصلح فسافر إلى جدة وتكلم مع جلالة الملك . وكان عبد الله فلبي الانكليزي يعرقل مساعي الوفد المشكورة . ثم سافر إلى صنعاء وفاوض الإمام في الأمر حتى تم الصلح - والحمد لله - ونشرت بحف بنوده فخاب امل الطامعين وانقطع الجنيه عن أولئك المرتزقين من إثارة الفتنة بين المسلمين ومن بث الأكاذيب المفضوحة أمثال فرار ولي عهد

ادنى انشقاق فيها لتدخل عن طريقه ٠

اما اليوم وقبله بأيام كثيرة ـ حيث تساهل النجديون بعض التساهل ، وأمن الشيعة الأمن التام ، ونالوا بعض حريتهم المذهبية ـ فقد كثر حجهم الى مكة المكرمة كثرة هائلة بالنسبة الى حالتهم الاقتصادية ٠ ومن يشك في ذلك فلا نكلفه سوى الاطلاع (في دوائر السفر الى مكة) ٠ على جوازات القادمين الى الحج من شيعة إيران ، وسوريا والعراق والهند ، والافغان وغيرها ٠ ليتبين لديه خطأ الرحالة في قوله «ويندر من يزور الحجاز منهم اليوم» ٠ وليعلم أن كعبة الشيعة التي يولون وجوههم شطرها في اليوم خمس مرات والتي يحجون اليها في كل موسم من مواسم الحج ٠ هي بيت الله الحرام لا «مشهد» ولا غير مشهد من الاماكن الكثيرة المقدسة :

وإذا أردنا أن نبهت كل من يزور مقاماً أو يقدسه بقولنا «اتخذه كعبة عوضاً عن مكة» فلا يسلم مسلم – في الغالب – من هذا البهتان العظيم ، لأن مقامات الأولياء كثيرة في بلاد الإسلام ، ويزورها المسلمون ، ويتبركون بها الاماثل منهم ٠ بل قد يتبرك من زارها ويحترمونه أكبر إحترام ، خصوصاً أهل مصر وحلب

وإليك قصة شاهدتها بنفسي بل – على الأصح – جرت معي في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٢ هـ حيث سافرت يومئذ من بغداد إلى حلب ومنها إلى بيروت واجتمعت في محطة القطار الحلبية بثلاثة نفر من الحلبيين عليهم أبهة الجلالة وسيماء التقوى حتى أن أحدهم قد أسدل على وجهه منديلاً وسد أنفه بإصبعيه من فوق المنديل لما رأى بعض اللبنانيين يشربون الخمر في القطار :

الإمام من ساحة الوغى إلى حيث لا يعرف ؟ وأمثال عزمه على خلع ابيه من الإمامة ؟ وامثال هجوم أهل صنعاء على قصر الإمام ورميه بالرصاص ؟ وامثال ان الإمام قتل ودخل ولي عهد الحجاز إلى صنعاء عاصمة الإمام ؟ وان ولي عهد الحجاز طارد ولي عهد الإمام ، وان اهل صنعاء بايعوا ولي عهد الحجاز الخ = انظر العدد ١٣ والعدد ١٧ من جريدة الدفاع الفلسطينية

ومجمل القصة أنني سألتهم إبتداء عن محل قطع التذاكر للركاب . فأجابوا ذلك هو وأشاروا إلى جهة من جهات المحطة ، وقبل أن أذهب إلى تلك الجهة قالوا — وين رايح وين كاين؟ رايح إلى بيروت وكنت في بغداد . أصحيح في بغداد ؟ نعم صحيح ، أرأيت مقام سيدنا عبد القادر الكيلاني؟ رأيته طبعاً فاقبلوا فوراً على جبهتي يقبلونها قبلات حارة . ثم ذهبوا معي بأجمعهم وقطعوا لي تذكرة السفر وحملوا أسبابي إلى القطار ، وجلسوا حولي يتحدثون عن مناقب عبد القادر وكراماته حتى بلغوا بها إلى أعلى مراتب الغلو . ورحت أحدثهم عن مقامه الفخم وبنائه البديع إلى ان جاء وقت « الترويقة »

فقمت وأتيت بما كان باقياً لدي من الزاد الذي صحبته معي من بغداد وقدمته إليهم ودعوتهم اليه (وكان فيه فتيت كعك وبعض تُميرات) فاختاروهما على غيرهما وابتدأوا بقسمة الفتيت فالتهم كلٌ سهمه بلهفة مدهشة ثم تقاسموا التميرات ولف كلٌ سهمه بورقة وقالوا — معتذرين — نبقيها للبركة ثم قاموا وجاءوا بزادهم الفاخر فأكلنا جميعاً . ولا تسل عن خدمتهم لي طول الطريق حتى وصلنا بيروت وافترقنا قسراً :

فهل يسوغ لي أولاً ي مسلم أن يبهت هؤلاء النفر أو يرميهم بقول «إنهم يحترمون كلمة قادري أو بغدادي عن كلمة حجي» أو بأن «من زار عبد القادر أكثر إحتراماً وطهارة عندهم ممن زار مكة»؟ اللهم لا : لأن ذلك بهتان عظيم وفتق بين المسلمين كبير ، خليق بكل مسلم غيور رتقة . وصد فاتقيه لئلا يتسع فيسهل على المستعمر الدخول منه . وحينئذ لا تبقى كعبة الرحالة ثابت ولا كعبة الشاه عباس المزعومة :

ثم إن الفُرس وزعيمهم الصفوي أيضاً لو كانوا يكرهون العرب لما زاروا مشهد الإمام الرضا (ع) وهو — كما هو معلوم لديهم ولدى غيرهم = من أشرف بيت في العرب . أو لما اتخذوا مشهده كعبة — على زعم الرحالة — وهم يكرهون

قومه العرب . بل لو كان الفُرس طبق زعم الرحالة لمازاروا النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء . وبنو اللائمة فيها — وهم عرب هاشميون علويون — المقامات الفخمة . وشادوا على قبورهم الزكية شامخ القباب المذهبة بالذهب الإبريز . وأهدوا اليها الجواهر الثمينة . والسجاد الفاخر النادر الوجود حتى عند اكبر دولة في العالم . مع أن أهل هذه المدن العراقية الأربعة بالمائة ٩٥ من العرب الخُلّص وأهل سامراء مع كونهم عرباً فهم سنة أيضاً كأهل مكة المكرمة :

فلو كان الشاه عباس الصفوي أو غيره من ملوك الفُرس يريد « توفير المال على قومه لصرفهم إياه في بلاد يكرهونها » لصرفهم عن زيارة هذه البلاد العربية التي كان يحكمها الترك اعداء الصفويين الألداء . لا أنه يصرفهم عن مكة وحدها :

ولا أريد من هذا أن أنكر وجود التعصب في الفُرس بل اعترف بوجوده من قديم ولم يزل باقياً إلى اليوم عند كثير من افراد الشعب الفارسي : ومن الغريب تعصب بعضهم للساسانية وأغرب منه تعصب بعض المصريين للفرعونية أم الاستبداد والاستعباد :

نعم لا أريد ذلك وإنما اريد إنكاره هو « إتخاذ الشاه عباس — لمشهد — كعبة وحجه إليها ماشياً على قدميه » لأني تصفحت ما لدي من تاريخ الصفويين فما وجدت لهذا الإدعاء أثراً . نعم وجدت « ان انتشار التشيع في إيران منسوب إلى هذا الشاه الصفوي .. » على أنني لا استبعد زيارته لمشهد ماشيا أو راكباً . وان الذي استبعده وانكره هو « انه زارهـا ليزيدها قدسية » لأن من الثابت المتيقن ان ملوك الشيعة في إيران من زمن الصفويين إلى آخر أيام القاجاريين كانوا يزورون مشهد الإمام الرضا وبقية الأئمة عليهم السلام ليزدادوا هم عند الشعب رفعة وقدسية . وليتقربوا إلى الله تعالى بزيارة أوليائه المقربين . لا ليزيدوا مشاهدهم المقدسة قدسية أو مشهد الرضا بالخصوص كما زعم الرحالة .

وكيف يعقل ذلك ؟ وهو باعتقادهم إمام مقدس وابن أئمة وأبو أئمة مقدسين . وكانوا يعتقدون أن زيارته تكسب الشرف وتسبب النصر المبين من رب العالمين . ولذلك لما توجه محمد شاه إلى حرب التتر ابتدأ بزيارة الإمام الرضا (ع) ولما أراد نادر شاه أفشار غزو الهند نذر غنائم الحرب إلى الحضرة الحيدرية في النجف الأشرف . ولما تم له الفتح المبين وفى بنذره وأرسل كل الجواهر التي غنمها من الهند إلى الحضرة ولم تزل إلى الآن وهي من تحف الزمان النادرة الوجود .

وقيل إن ناصر الدين شاه مشى حافياً – يوم زار مدينة النجف الاشرف من باب المدينة إلى أمام الضريح المرتضوي المقدس . ولقد شاهدت (في النجف) استقبال احمد شاه القاجاري ومشيه بخضوع حينما زار ضريح الإمام الأعظم علي (ع) سنة ١٣٤٠ ه وشاهدت ايضا خضوع جلالة رضا شاه بهلوي أمام الضريح العلوي يوم زاره وزار مسلم بن عقيل في مسجد الكوفة بعد أن قصد ذلك من المحمرة التي استلمها يومئذ من سلطانها العربي الشيخ خزعل عقيب القبض عليه وعلى ابنائه وصحب أحدهم معه إلى النجف :

وكانوا – زيادة على ذلك – يوصون بدفن جثمانهم في مقامات الأئمة في النجف أو كربلاء او الكاظمية . ولقد دفن في النجف من ملوك آل بويه « عضد الدولة ابو شجاع فناخسرو البويهي الذي توفي سنة ٣٧٢ ه ببغداد وحمل إلى مشهد علي بن أبي طالب (رض) فدفن به : وولده شرف الدولة ابو الفوارس شريك المتوفى سنة ٣٧٩ ه وحمل إلى مشهد علي بن ابي طالب (رض) فدفن به : وبهاء الدولة بن عضد الدولة المتوفى سنة ٤٠٣ ه ودفن بمشهد امير المؤمنين علي رضي الله عنه (١) » .

---

(١) انظر ج ١ صفحة ٤١٨ من وفيات الاعيان وج ٢ ص ٢٢٢ من تاريخ ابي الفداء ومجلد ١ صفحة ٣٧٥ وصفحة ٣٨١ من تاريخ منقريوش الصيرفي

ودفن منهم بمقابر قريش في الكاظمية « معز الدولة البويهي توفي سنة ٣٥٠ هـ ونقل إلى مشهد بني له في مقابر قريش (١)

ودفن — في النجف أيضا — كثير من الصفويين والقاجاريين وغيرهم وآثار قبورهم لم تزل موجودة في إيوان العلماء وحجرة السلاطين ، وفي هذه الحجرة صخرة صقيلة من المرمر عليها عدة صور في غاية الإبداع .

وقبل ثلاث سنين اي في سنة ١٣٤٩ هـ دفن السيد محمد حامد خان ملك رامبور الهندية بوصية منه . وكان دفنه بتاريخ ٦ شهر رمضان من تلك السنة دفنوه شمال الحضرة الحيدرية في إيوان مرجع الشيعة في أيامه المرحوم المقدس السيد كاظم الطباطبائي ولقد شاهدنا دفن هذا الملك الشريف و كنا في تشييعه المهيب .

وقد بقي هناك كثير من لسباته واخطائه أحوجتنا الإطالة في رد ما تقدم إلى الإشارة لبعضها والاختصار في تفنيده ورده مثل قوله « ويتوسط احد الأفنية سبيل مذهب في داخله نافورة حولها السلاسل تحمل القعاب للمحتذين ينبعث منها مكروب المرض .. والسعيد من يتذوق هذا الماء الطاهر » أما انه ماء سبيل طاهر فهو الحق . والسبيل — كما هو معلوم — موضوع لأن يتذوقه السعيد والفقير مجانا . ولكن السعيد اي الموسر يتجنب عنه كثيراً إما لأنه يؤثر المعوزين على نفسه أولا يحب مزاحمتهم ، وإما لأنه يترفع عن التذوق منه خشية من ذلك المكروب اللعين ان ينبعث إليه فيبتلعه ؟

وقوله أيضا « هنا أمرع شيخ يطوف بي وناولني ادعية مطبوعة يجب أن أقرأها وأركع واسجد وأقبل » وإنا لم ندر = باحضرة المدرس = من أين علمت بهذا الوجوب المزعوم ؟ ولو تحققت الأمر وترويت في الحكم لعلمت بأن الركوع والسجود لا يحلان — عند الشيعة — لغير الله تعالى ولو

---

(١) مجلد ١ ص ٥٦ من وفيات الاعيان

فرض أن بعض العوام فعلها عن قصد او غير قصد فلا يسوغ ان ينسب إلى الشيعة انهم يجوزونه ويوجبونه حتى على الغير نعم تقبيل الضريح عندهم جائز مباح (لا واجب) وهو على حد تقبيل ورق القرآن الكريم وغلافه بنية الاحترام والتبرك: وجوازه مشترك بين الطائفتين : وقوله أيضاً «وبجانب الضريح قبر هارون الرشيد . . و كثير منهم يلعنه ويركله برجله ويقول لعن الله المأمون وأباه . وذلك لأنه سني أولاً ثم لأنه والد المأمون الذي اتهم بدس السم للامام»

سلمنا -- يا استاذ -- ان بعض العوام يلعن المأمون وأباه الرشيد لكن لا نسلم معك ان ذلك «لانه سني اولاً» ولا نحب سماع هذا النغم المُعوج ولا هذه التعليلات المخترعة لغرض ذميم ممقوت لدى كل مسلم ينشد الوحدة ويبتعد عن التفرقة : أضف الى ذلك ان العلة الوحيدة في اللعن المزعوم هي أن التاريخ أخبرهم بأن الرشيد أمر بسم الامام الكاظم -- كما بينا -- بلا ذنب ولا جرم :

فلا ملامة عليهم ولا تبعة -- إذا صح ذلك -- وانما التبعة كل التبعة والإثم كل الاثم على نفس الرشيد الذي عمل ما يوجب اللعن من هؤلاء وغيرهم :

وأما قوله «سمعت من شرفة الباب الأوسط طبولا تقرع في نقرات مثلثة أعقبها صياح وتلا ذلك نفخات في أبواق . . وظل هذا حتى غربت الشمس كأنهم يودعونها كما يفعل المجوس (؟) فقلت في نفسي أهكذا يلعب رؤساء الدين في عقول البسطاء لا ابتغاء مرضاة الله (؟) بل لملء جيوبهم وذراريهم الذين لا يحصيهم عد الخ» فخطأ محض ولسب عام سام لجميع المسلمين لأن قرع الطبول ونقر الدفوف موجودة بكثرة مدهشة في حلقات الذكر بمصر وسوريا ، وغيرها :

على أن هذه الأمور كلها محرمة عند جمهرة العلماء الشيعيين أشد حرمة ولم يحللها إلا الشاذ النادر ، ولكن في موارد خاصة ليس هذا المورد -- الذي زعم الرحالة سماعه -- منها وظن آثماً أنه برضا رؤساء الدين وأمرهم حتى تهجم عليهم بتلك الألفاظ «المهذبة» .

ولو توخى الحقيقة لسألها من أهل المشهد الرضوي الذين يقولون - كما أخبرني بعضهم « ان هذا العمل قديم قد فرضته الحكومات المتتابعة على حراسة الحرم الرضوي وأوقافه الكثيرة، وجعلوه كإشارة لانقضاء وقت الحراسة النهارية، أو إيذان لانصراف المتولين هذه الحراسة كي يأتي بدلهم من يحرسون في الليل »

فلا صلة له بوداع الشمس: وإنما هو كالإشعار « بالبرزان » الذي كان يستعمله الترك لدلالة الجند على زوال الشمس ومغيبها وغير ذلك: ثم إن الصياح الذي أعقب النقرات لم يكن صياحاً صرفاً وإنما هو صلوات على النبي وآله عليهم السلام بصوت عال لكن الرحالة عبَّر عنها بالصياح ليتسنى له قول « كأنهم يودعونها كما يفعل المجوس »

وقال أيضاً عن إيران « دهشت كيف تكون بلاد متأخرة كهذه نحن نفوقها في التقدم بخطى واسعة قد تحررت من الامتيازات الاجنبية ونحن نرسف في أغلالها أليس الامر مجرد جرأة في الاقدام على إلغائها في غير تردد فنحفظ بذلك كرامتنا وندل على انا شعب جدير بالاحترام »

غيرة وطنية، وعاطفة حامية، واعجاب بالنفس كل ذلك مشكور عليه — يا استاذ — لو لم تمزجه باحتقار الغير وهضم الحقيقة في الحكم على إيران بالتأخر وفي استهجان تحررها من الامتيازات الأجنبية :

ونحن لا نريد من هذا ان نفضل إيران على مصر التي برهنت على ثقافتها وتقدمها فيها بخطى واسعة حتى أمسى ذلك ملموساً، ومفخراً لكل عربي. وباعثاً قوياً للغبطة والسرور :

ولا نريد — أيضاً — أن نقنعك بعدم تأخر إيران عن مصر في اكثر الأمور لأن ما تحقق واشتهر من صمود إيران للحوادث، وحفظ كيانها الاستقلالي، وتقدمها الباهر في كثير من العلوم والفنون وفي أساليب الحكم الدستوري (في العصر الاخير) ما يغني عن ذلك وهذا مما اعتقد به كبار الرجال وبالغ بعضهم في اعتقاده، من هؤلاء مورغان شصطر الامير كي الذي يقول

« إني أعتقد ان تاريخ العالم كله لم يحو بين دفتيه ذكراً طيباً لأمة مثل ما يحوي

من ذلك للأمة الفارسية التي انتقلت فجأة من دور الملكية المطلقة إلى دور الحكم الدستوري النيابي ، فما أسرع ما كانت تنتظم انتظاماً يدل على أن أمة ذات مقام عال في الحكمة السياسية وفي معرفة أصول الاشتراع الى حد يكاد لا يصدق (١)

ومنهم الامير شكيب أرسلان الذي يقول «ومن في الدنيا ينكر مزايا الأمة الفارسية واستعدادها للرقي ، وهي الأمة المتمدنة منذ آلاف من السنين التي أوتيت في العلم والصناعة مواهب قلما وهبها الله لأمة من الأمم (٢)

وأخيراً فان ما نريد ان نقول للرحالة هو أن الجرأة لا غنى عنها لمن يريد الاستقلال الكامل وبدونها لا يجدي «التقدم بخطى واسعة» كما ان الجرأة وحدها لا تجدي أيضاً ما لم يكتنفها الإتحاد والتعاضد .

ولو كان التقدم بخطى واسعة يجدي وحده لكان لبنان في طليعة البلاد المستقلة من عدة سنين .

اما لو اجتمع الإتحاد والتعاضد والجرأة ورافقها بعض التقدم في الشعب لحصل الاستقلال قهراً كما حصل في العراق الباسل لما اجتمعت لديه هذه العناصر سنة ١٩٢١ م أما الشعب المصري فكثيراً ما يفتقر - مع الأسف - الى اجتماع هذه العناصر الثلاثة مع تقدمه الباهر الملموس . وخصوصاً الجرأة فإنها نادرة بين أكثرية المصريين من قديم الزمان ، والشواهد على ذلك كثيرة . وقد تقدم نبذة منها عن المقريزي «المصري» واليك (زيادة عليها) ما حكاه الطبري وابن الاثير من «ان عمرو بن العاص وفد على معاوية في سنة ٦٠ هـ ومعه أهل مصر فقال لهم عمرو - انظروا إذا دخلتم على ابن هند فلا تسلموا عليه بالخلافة فإنه أعظم لكم في عينه وصغروه ما استطعتم فلما قدموا على معاوية قال لحجابه كأني أعرف ابن النابغة وقد صغر أمري عند القوم فانظروا إذا دخل الوفد فتعتعوهم أشد تعتعة تقدرون عليها فلا يبلغني إلا وقد همته نفسه بالتلف . فكان أول ما دخل عليه

---

(١) ج ٢ ص ٧٥ من حاضر العالم الإسلامي لستودارد (٢) نفس المصدر

رجل من أهل مصر يقال له ابن الخياط فدخل وقد تُعتم فقال السلام عليك يا رسول الله فتتابع القوم على ذلك فلما خرجوا قال لهم عمرو لعنكم الله نهيتكم ان تسلموا عليه بالإمارة فسلمتم عليه بالنبوة(١) »

وهناك كلمة للرحالة عن «المتعة» في النجف أحببنا ان نلحقها بهذه الخاتمة الخاصة بكلامه عن الإيرانيين لأن زواج المتعة في إيران أكثر منه في غيرها من البلاد الشيعية بل يكاد ان يكون في النجف وجبل عامل كالمستهجن لعدم اعتياد اهل هذين البلدين الأصليين على ذلك وإن اعتقدوا حليته وشرعيته

قال في جولته « لقد استرعى نظري في النجف كثير من الاطفال الذين يلبسون في آذانهم حلقات خاصة هي علامة انهم من ذرية زواج المتعة المنتشر بين الشيعة (وخصوصاً في ايران) في موسم الحج إذا ما دخل زائر فندقاً لاقاه وسيط يعرض عليه امر المتعة مقابل أجر معين فإن قبل أحضر له جمعاً من الفتيات لينتقي منهن وعندئذ يقصد معها الى عالم لقراءة صيغة عقد الزواج .

وللفتاة ان تتزوج مرات في الليلة الواحدة . والعادة ان يدفع الزوج نحو خمسة عشر قرشاً للساعة وخمسة وسبعين لليوم . واربع جنيهات للشهر، ولا عيب على الجميع في ذلك العمل، ولا يلحق الذرية أي عار مطلقاً، وعند انتهاء مدة الزواج تتزوج المرأة بعد ذلك بيوم واحد ولا تعتد ، فان ظهر حمل فللوالد ان يدعي الطفل له . . . ويخال البعض(٢) ان منشأ تلك العادة بابل يوم ان كان الفتيات يستأجرن للحجاج في معابد اشترو مردوك . ولا تزال لها بقية في عاهرات الإله بين الهندوس » انتهى .

ولا اظن ان احداً من إخواننا اهل السنة يوافق هذا المصري على ما ابتدعه من ان منشأ المتعة بابل ، وانها عادة بابلية لانهم مجمعون على انها موضوع شرعي

---

(١) ج ٦ ص ١٨٤ و ج ٤ ص ٤ من تاريخهما (٢) الظاهر انه نفس الرحالة وإنما أراد التعمية والتلبيس فعبر بالبعض

شرعه النبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم لا «البابلي» وفعلها المسلمون في حياته صلى الله عليه وآله وسلم وحياة أبي بكر وبرهة طويلة من ايام عمر (١) ونتج منها امثال عبد الله بن الزبير كما روى ذلك الراغب الاصبهاني في محاضراته.

وكان فعلهم لها بتأثير التشريع المحمدي الحق لا بتأثير العادات البابلية كما يظهر من كلام الرحالة المصري الذي أراد أن يشنع على الشيعة بالخصوص فأوقعه التعصب فيما يمس حتى نبي الاسلام الأقدس ، وحتى نفس الخليفة الذي اجتهد في تحريم المتعة لأنه (رض) قد اعترف بحليتها الشرعية على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما أسند التحريم إلى نفسه لأمور رآها باجتهاده موجبة للتحريم وتلك الأمور لا علاقة لها — طبعاً — ببابل ولا «بمعابد اشترو مردوك»

نعم وافقه — في غير ذلك — رجل بغدادي أسمى نفسه «خادم العلماء» زعم مع الرحالة «أن المرأة المتمتعة لاتعتد» وأسمى هذا النوع «بالمتعة الدورية» وفسرها بتناوب ثلاثة إلى عشرة رجال على امرأة واحدة بحسب الساعات (٢)

ولو طالع — خادم العلماء — كتب علماء الشيعة الكثيرة لعلم ان هذا النوع من النكاح يُعد عندهم من أنواع الزنا المحرمة بشدة. ولذا تراهم يوجبون الحد على فاعله ولا يلحقون به الولد الحاصل من هذا النكاح البغيض عملا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «الولد للفراش وللعاهر الحجر»

وعلى الإجمال - فزواج المتعة — عند الشيعة - كزواج الدائم له شروطه وأحكامه (إلا ما استثني) أما العدة فمشتركة بين الدائم والمنقطع (وهو المتعة) ولذا لو تزوجت في عدة المتعة يحكم عليها بالزنا. وبعبارة ثانية إن هذا الزواج هو نفس الزواج الذي شرعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعمل به الصحابة لم يتبدل له

---

(١) روى مسلم في صحيحه – ج ١ ص ٣٩٥ - «ان جابر بن عبد الله الانصاري قال = استمتعنا على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر : كنا نستمتع بالقبضة من الدقيق والتمر على عهدهم حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث»

(٢) انظر ج اول ص ١٦٢ من مجلة الاعتدال النجفية الراقية .

شرط ولم يتغير له حكم ولم يدنس بما حيك حوله من التهم ونسب اليه من الأباطيل واذا فرض ان أوقعه بعض العصاة من الشيعه على غير وجهه الشرعي فلا يليق بذوي العدل والانصاف ان ينسبوا ما يرتكبه الفرد من الاعمال المخالفة للمذهب إلى نفس المذهب ولا إلى اهله على العموم. كما لا يليق — اذا صادف ان لبس بعض اطفال الشيعة الحلق في آذانهم = ان يجعل ذلك «علامة ذرية المتعة» كما جعله الرحالة الذي لو فكر في الأمر لعلم ان تلبيس الحلق للأطفال عادة قديمة عند العرب بالخصوص وجدت قبل زواج المتعة وبعده كما وجدت عند غير العرب أيضاً ولم تزل باقية عند الهنود والأكراد.

فلو جرينا على نظرية هذا الرحالة لجاز الحكم على بعض أطفال المصريين «الذين يلبسون الحلق في آذانهم والأساور — أيضاً — في ايديهم ويسمونهم في مصر الخول» بأنهم من ذرية زواج المتعة المحرم عند آبائهم أشد تحريم. وكذا يلزم من هذه النظرية الخاطئة أن لا يكون لذرية زواج المتعة في فارس اثر ولا عين لان أهلها لا يلبسون اطفالهم الذكور حلقات خاصة ولا غير خاصة مع ان الإكثار من زواج المتعة في فارس لم يوجد مثله في غيرها من بلاد الشيعة. وقد اعترف نفس الرحالة بذلك حتى ادعى «ان في طهران وحدها ثلاثين ألفاً من المبتذلات في الطرق وان ذلك بلاء زواج المتعة»

ومن العجب كثيراً ان نرى أهالي مصر وتركيا وغيرهم قد نجوا من بلاء هذا الزواج الشرعي ومع ذلك فالطرق مليئة بالمبتذلات من بلادهم. فالبلاء إذن ليس من زواج المتعة الذي لو عمل به المسلمون اليوم — كما عملوا به في الصدر الأول — لما وقعوا — غالباً — في هوة عميقة من الفساد الأخلاقي المنتشر في بلادهم اليوم انتشاراً هائلا من جراء السماح من السلطات بالتعاطي لمهنتي الزنا واللواط. ولعلموا ايضاً صواب حبر الامة في قوله «ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها أُمة محمد ﷺ — انظر ج ٢ ص ٢٢٩ من نهاية ابن الاثير»

فهرس اول لكتاب « الشيعة في التاريخ »

فهرس ثاني لحواشي كتاب «الشيعة في التاريخ»

الصحيفة

الصحيفة

الصحيفة

جدول الخطأ والصواب

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
٦	٧	الاخر	الآخرة
٨	٦	ويلبسونهم	ويلبسونه
«	«	ليبعدونهم	ليبعدوهم
١٠	١٦	الاغر	الغراء
١١	٤	ان رايناه	ما رأيناه
١٩	٥	معاني	معانٍ
٢١	٢٦	ما لقدرها	لقدرها
٢٦	١٧	حباب	خباب
٣٣	٢١	شمال جدة	شمال جده
٣٣	٢٤	٢٩٠	٢٦٠
٣٤	٢٣	سنة	المتوفى سنة
٣٥	١٣	والزيت	والزبيب
٤٥	١٩	وجعلهم	وصلبهم
٤٨	١٤	يكونوا	يكونون
٥١	١٣	فاقره	فاقرأه
٥٤	١٩	محمد	محمداً
٥٥	١٤	يعقوت	يعقوب
٦١	١٠	قائدة	قائده
٦٢	٩	لتحتار	لتحار
«	١٠	يرغبون لون	يرغبون في لون

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
٦٤	٢	لا تخلوا عن	لا تخلو من
٦٦	٢	بتسليمه	بتسلمه
٦٧	٦	امام القلب	إمام القلوب
٦٩	٢٣	من معاهدة	من معاهد
٧٦	١٢	الطلوسي	الطوسي
٧٨	٦	المقدار	المقداد
٨٧	١٣	يتكتمون	كانوا يتكتمون
٩٣	٣	إذ تولاه	إذا تولاه
٩٦	١٣	لا يعلم	لو يعلم
٩٩	١٤	لاجله يختار	لاجله يحار
١٠٧	١٠	يقال له	يقال لها
١١٧	٤	شاتما	شامتا
١٢٧	١٣	تمكن	تكمن
١٢٨	١٣	لما	لمأ
١٣٠	١٢	اليزيدين	اليزيديين
١٤٣	٤	من الحق	مع الحق
١٤٧	١٤	باللطف	بالطف
١٧١	٥	واظاليل الكلام	وأضاليل الكلام
١٧٥	١٠	بالابتعدد	بالابتعاد
١٨٥	٤	الشامة وحلعه	الشامة وجعله
١٩٦	٢٢	هده الشهاده سنه	هذه الشهادة سنة
١٩٨	٨	سرعان ان	سرعان ما

(جل من لا يسهو)

تنبيه : لقداعدنا النظرفي الكتاب (بعد الفراغ من طبعه مع بعض الاخطاء التي رأيناها في النظرة الاولى) فوجدنا هذه الاخطاء المهمة ووجدنا غيرها ولكنها غير مخلة في المعنى فلذا لم نذكرها وقد يرى القارئ الكريم غير ما رأيناه فيعذرنا بلا شك والكريم من عذر .

الصحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٩	٥	ماصيه	ماضيه
٥٤	٨	فسقة	فست
٧٦	٨	الحسن بن روح	الحسين بن روح
٨٣	٤	تشيعهم	تشعبهم
١١٩	٦	المنع	الإمتناع
١١٩	١٤	ليحي	ليحيا
١١٩	١٨	خائقا	خائفا
١٢٠	١٣	اعزلا	أعزل
١٢٠	١٥	الارحية	الأريحية
١٢٨	٥	وبئس	وبؤس
١٢٨	٨	تمحوا	تمحو
١٣١	٤	واماؤك	واماءك
١٣١	١٧	واسعى	واسع
١٣٣	٤	الصحابي الثقة	الثقة
١٣٤	١٠	يا ابن عامرة	يا ابن عمارة

الصحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٣٤	١١	وانظر	وانصر
١٤٠	١٢	احباش	أحابيش
١٤٥	٣	خلفائه	خلفاؤه
١٤٥	٥	استبدا	استبدوا
١٥٥	٨	نقوى	تقوى
١٥٧	٤	تخطأة	تخطئة
١٦١	٣	جميا	جميعاً
١٦٤	٥	من قفاة	من قفاه
١٦٦	٩	العرب والعجم	العجم والعرب
١٦٧	٤	القراطمة	القرامطة
١٦٧	٥	الاسماعليه	الاسماعيلية
١٧٢	١٨	الى ابي محمد	إلى محمد
١٧٤	٣	اصحاب علياً	اصحاب عَلْيا
١٧٩	١٣	بالعلوبة	بالعلوية
١٨٨	١٤	٤١٠	٤١١
١٩٦	١٧	خلفائهم	خلفاؤهم
١٩٦	١٨	أوليائهم	اولياؤهم
١٩٩	٤	جزوها	جزئها
٢٠٦	٥	الاربعه	الأربع
٢٠٩	١٤	البات	الباب
٢١٣	٤	المحدى	المحمدي





يطلب هذا الكتاب

من « إدارة العرفان » — صيدا — سوريا

ومن « المكتبة العصرية » — بيروت — شارع سوريا

عبد الكريم الزين

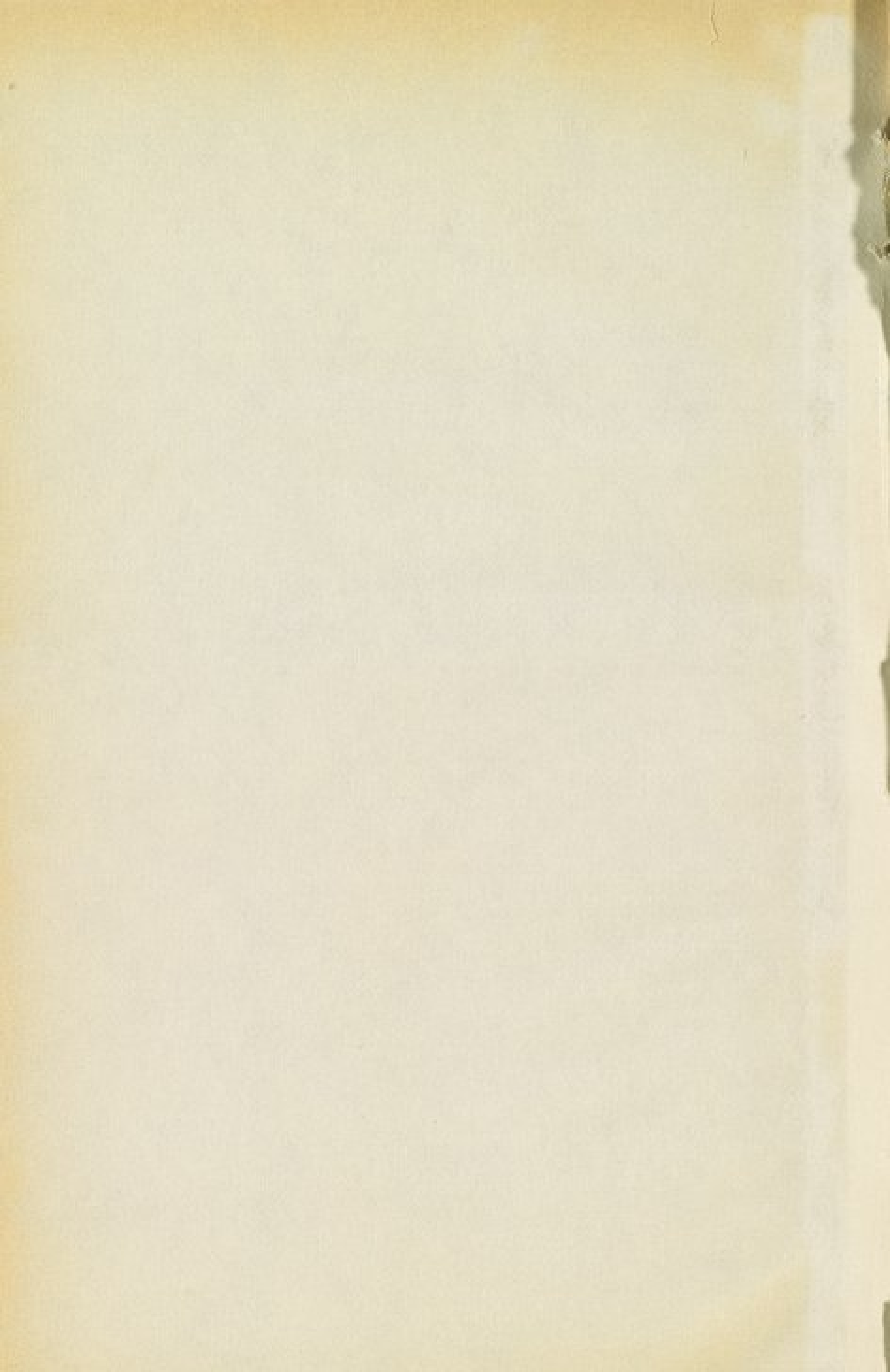
ومن « مكتبة بيروت » — بيروت — شارع سوريا

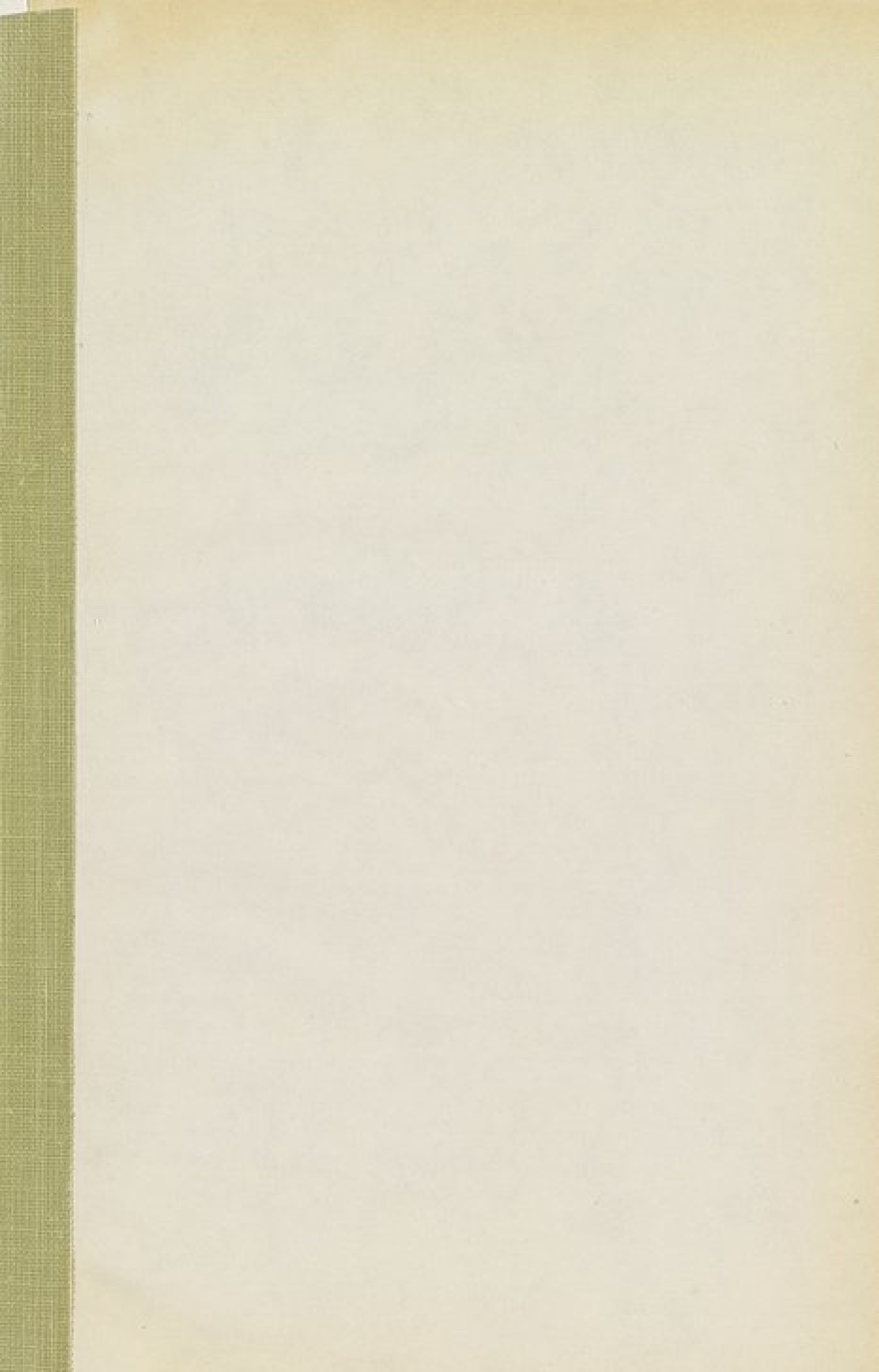
السيد محمود صفي الدين

(وكان لكل من هذه الإدارة وهاتين المكتبتين يد مشكورة على إنجاز طبعه)

ويطلب أيضاً

من الشيخ خليل عسيران في صيدا — ومن السيد محمد حسن يوسف في النبطيه · ومن الشيخ علي زين شراره — والشيخ محمد حسين شراره — في بنت جبيل — صور






Princeton University Library
32101 056178328